

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 00979 3211

00-B4994

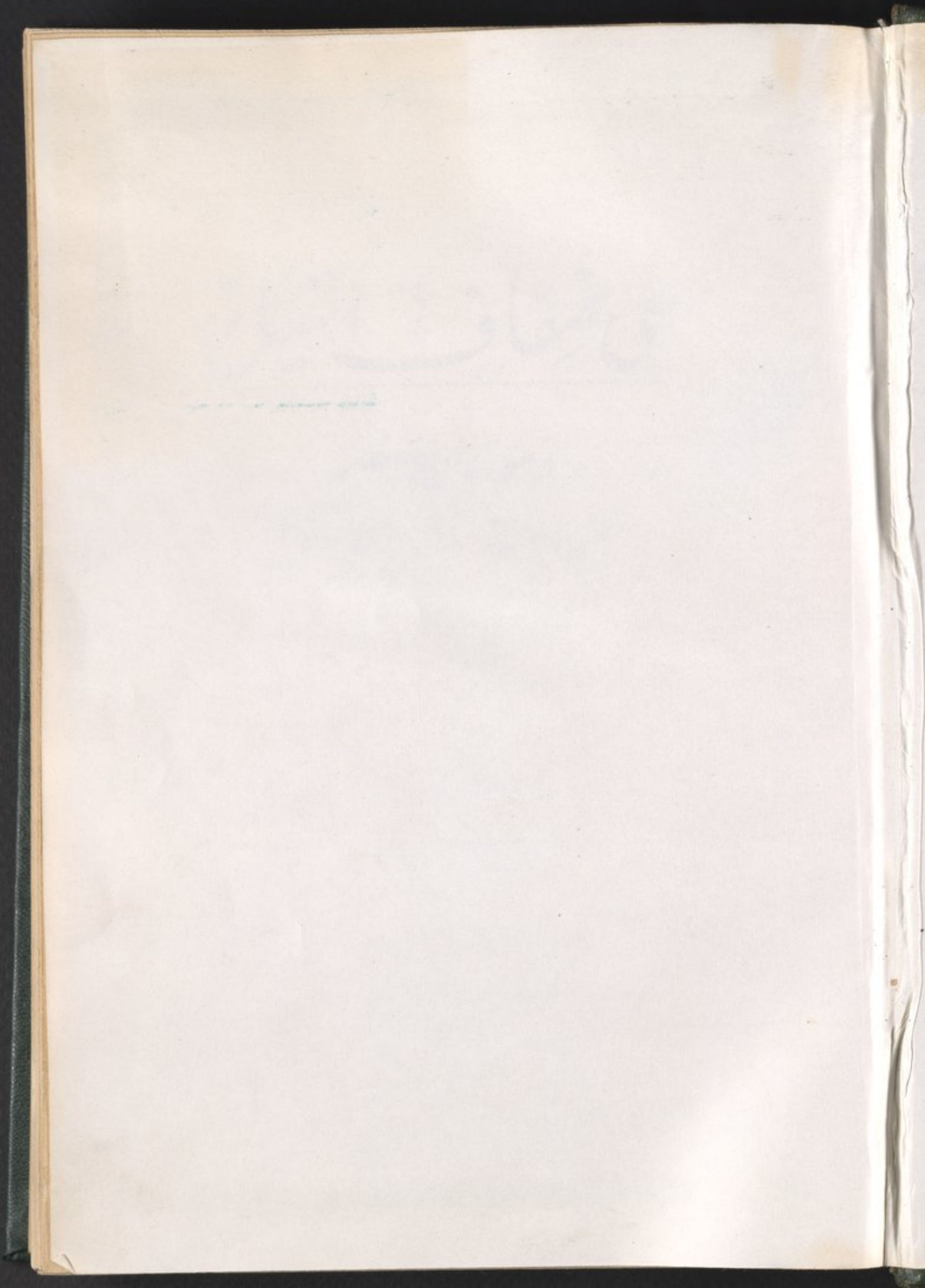
PT 26-600

+



FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الأمريكية بالقاهرة



FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الأمريكية بالقاهرة

AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
CAIRO

DT
72
Mdx
1949

على ضفاف النيل

وهو تاريخ مصر
من مينا إلى يومنا

بقلم

توفيق مفسرج

خبر تيج جامعة كولومبيا

صاحب كتابي الآم وأحلام
ورباعيات عمر النجسيات

AMERICAN ORIENTAL LIBRARY
CAIRO

932
M89

٩٦٢
٢٠٤

29327

الطبعة الأولى

أهـدأ الكِتَابُ

محضرة صدّيقى الكبير، صاحب المقام الرفيع، الرئيس الجليل
مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد المِصرى

بين يديّ وأنا أكتب هذه السطور، ثلاثون مجلداً
ونيف، فى مختلف اللغات، فى تاريخ مصر.

وقد استخلصتُ من كلّ هذه المجلدات الضخمة، الطويلة المملّة،
المنبسطة فوق ألوف السنين، كتابى هذا، على ضفاف النيل،.

وكنْتُ، وأنا أضع هذا التاريخ، أرى بعينى فكرى، أولئك
الأبطال الميامين، الذين جاهدوا فى سبيل استقلال مصر،
وحياتها، وضخّوا بأنفسهم لإعلاء مجدها، وعزّها، ورفع نير الظلم
عن شعبها.

بل كنت أرى قوافل الشعب المِصرى تحترق بجاهل التاريخ،
وهى تنّ تحت نير الاستعباد والاستبداد، زاحفة مع الأجيال،
تحمل الظلم، والاضطهاد، والفقر، والجوع، والألم، فى سبيل
المثل العليا، التى تمثّت إليها مصر!

ووسط هذا التاريخ الطويل ، الحاوى جميع أنواع الجهاد ،
والعذاب ، والكفاح ، فى سبيل مصر ، رأيتك يا صديق الكبير ،
وأنت تجاهد ، وتكافح ، وتناضل ، وتحمل مرارة السجن ، والنفي ،
والتشريد ، وذلّ الغربة ، والألم ، والعذاب ، فى سبيل مصر أيضاً .
وشاهدتك تتمشى مع أولئك الأبطال القدماء ، الذين جاهدوا
سعيًا وراء استقلال مصر ، منذ فجر التاريخ إلى الآن .

وشاهدت بجانبك سيّدة كريمة النفس ، عالية التهذيب ، عريقة ،
الأصل ، تحيطك بحبها ، وتغمرك بعنايتها ، وتسهّل عليك مرارة
الجهاد ، وتحمل وإياك قسوة الحياة ، وتعرض معك للخاطر ،
فتشدُّ أزرّك ، وتدفعك إلى الأمام ، فى سبيل مصر .

فإليكم أقدم هذا الكتاب ، وهو : تاريخ جهاد مصر ،
فى سبيل الاستقلال ، منذ أقدم الزمان ، إلى الآن .

المخلص

نوفير مفرج

مصر القاهرة ١٥ أبريل سنة ١٩٤٩

بعض المصادر التاريخية التي اعتمدت عليها في وضع هذا الكتاب :

○○○○○

- (١) تاريخ مسبيرو — مدينة مصر .
- (٢) الهر أدولف أرمن — الحياة عند قدماء المصريين .
- (٣) تاريخ عهد الإمبراطورية المصرية — للدكتور جيمس هنرى برستد ،
أستاذ التاريخ بجامعة شيكاغو .
- (٤) لوحات تل العمارنة الموجودة في المتحف البريطاني بلندن .
- (٥) تاريخ هيرودوتس (زار مصر في القرن الخامس قبل الميلاد) .
- (٦) مانيتون — أول مؤرخ مصرى — وهو كاهن من سمنود عهد إلميه
بطليموس الثانى كتابة تاريخ مصر .
- (٧) ديدرو الصقللى .
- (٨) استرابون .
- (٩) يوسيفوس .
- (١٠) ماكس مللر — الخرافات المصرية .
- (١١) تدى — الحياة الدينية عند المصريين القدماء .
- (١٢) رينر — فكرة الخلود عند المصريين .
- (١٣) ويدمان — ديانة قدماء المصريين .
- (١٤) بدج — أوزوريس والقيامة من الأموات .
- (١٥) سبنس — خرافات قدماء المصريين .

- (١٦) فلندرس بترى — مصر قبل التاريخ . و تاريخ مصر .
(١٧) توميسون — صحراء الفيوم .
(١٨) جامعة كبرديج — التاريخ القديم .
(١٩) ويجل — تاريخ مصر .
(٢٠) ييكي — تاريخ مصر منذ أول التاريخ إلى الدولة الثامنة عشرة .
(٢١) برستد — التقدم الديني والفكري في مصر .
(٢٢) سايس — تاريخ ديانة المصريين القدماء .
(٢٣) ستندورف — تاريخ ديانة قدماء المصريين .
(٢٤) دروس — الفن المصري القديم .
(٢٥) كابرث — أييدوس وهيكل ساقى الأول .
(٢٦) موراي — الهياكل المصرية .
الخ... الخ...



يا مصر

تحت سمائك الزرقاء ، زحفت الأجيال ، والدهور ! .
وعلى ضفاف نيلك المبارك ، مشى الأمم والشعوب ! .
تغير الأيام ، وتندثر الأمم ، وأنت ، أنتِ يا مصر .
عظمتك ، كما نيلك — ترتفع أحياناً ، وتنخفض أحياناً .
وكتلك المياه أيضاً ، فياضة في ارتفاعها ، هادئة ، متواضعة
في انخفاضها .

* * *

أنت ابنة النيل ، والنيل أبوك يا مصر .
يشبعك إذا جعت ، ويسقيك إذا عطشت .
فحدثني عن أبيك يا مصر وقولي لي :
من أي عهد في القرى يتدفق ؟
فيقطع الجبال والوديان ، ويخترق البحيرات ، ويحطم
الصخور ، ويسحق الغرائث ، راكضاً إليك يا مصر .
ثم يحول الفيافي والقفار ، إلى جنات تجري من تحتها
الأنهار .

إن ضفافه احتضنت حضارة الفراعنة كل هذه الأجيال .
ومياهه !

ما ذاك ماء يجري في النيل ، إن هو إلا ذهب إبريز .

* * *

أنتِ يا مصر ، خيطٌ من زمرّد ، يمتدُّ من أسوان ، إلى أوّل .
 وعلى هذا الخيط بزغت أنوار المدينة ، الخالدة ، المقدّسة .
 فشيدت المدن ، وعمرت القرى ، وانتشرت الخيرات ،
 وهبطت الأديان ، وقامت الهياكل والمعابد .
 في أدفو ، وأبيدوس ، وإسنا ، وطيبة ، ودندرة ، وتلّ
 العمارنة ، وممّفيس .

هذه المدافن ، وتلك الهياكل ، هنّ قصور ، وسرايات قائمة
 تحت التراب ، حفظوا بها العلم ، والفرن ، والدين ، والتاريخ .



منظر عام للنيل والفيضات وأهرامات مصر

لقد جئت من أعالي لبنان ، لأقف أمام أعالي الأهرام .
 جئت هارباً ملتجئاً وما أنا أول الهاربين يا مصر (١) .

(١) جاء المؤلف الى مصر مع جلالة الملك فيصل بعد صدور الحكم بالاعدام عليه
 في أثناء القضية العربية .

تركت دمشق ، وتحدّرت مع نهر الشريعة ، ماراً على اليرموك ،
قاطعاً أقدس تراب العالم في طريقى إليك .

اجتزت صحراء سيناء في بضع ساعات ، خلّتها أربعين سنة (١)
من شدة شوقى إليك يا مصر .

التفتُّ إلى تلك الصحراء الواسعة ، فأبصرت أولاد يعقوب ،
(وقد عمّت المجاعة في كل الأرض) ، آتين من فلسطين
هرباً من الجوع ليشتروا قمحاً من مصر .

ثم عدت بأفكارى ألفى سنة إلى الوراء ، فرأيت « يسوع » ،
على جحش ابن أتان ، يقطع المسافات الشاسعة ، مضطجعاً
على الرمال الصفر ، ملتجئاً إلى مصر ، هرباً من غضب « هيرودس » ،
وظلمه ، واستبداده .

ثم وصلت إلى شواطئك الجميلة ، وأغمضت عينيّ ، فرأيت قارباً
صغيراً تدفعه الأمواج ، وقد ظهر فيه رجلٌ طويل القامة ، عريض
الجبهة ، عرفت حالا أنه فيلسوفى المقدس العظيم « أفلاطون » .
فمشيت وراءه إلى أن رأيتَه وقد جلس أمام داره في
هليوبوليس ، يشرب من كأس فلسفته ، وقد فضّل شمس
مصر المحرقة ، بما فيها من الحقائق ، على شمس بلاده المنعشة ،
المملوءة بالجهل والتعصب .

لقد اضطهدوه في بلاد الحكمة ، ففرّ هارباً إلى مصر .

(١) أربعون سنة قضاها بنو اسرائيل تأمّنين في الصحراء .

ثم رأيت «ديموقراطيس» ، وقد جاءك ملتجئاً مبتسماً للحرية
التي كان يتمتع بها شعبك .

أما «زينوفانوس» ، فقد عبس تحت سمائك الصّافية ، لأنه لم
يحتمل الغربة ، وقد طال زمن منفاه والتجائه إليك يا مصر (١) .
حتى بالأمس فرّ إليك أحرار العثمانيين هاربين من ظلم عبد الحميد .
وبالأمس أيضاً جاءك الفوج الأخير هارباً من ظلم «جمال»
السفّاح .

وكم من جمال ، وكم من هاربٍ ملتجئٍ إليك يا مصر ! .

لقد تغلغلت في تاريخك القديم ، فأبصرت شبه ثورة بين
شعوبك الكثيرة .

ورأيت «مينا» الذي يلقبه المؤرخون بشارلمان مصر ،
يؤسس مملكة على أنقاض الحكومات المحلية الكبرى ، التي
كانت قائمة في عين شمس منذ آلاف السنين ، ويوقظ روح
القومية المصرية في صدور أبناء بلاده .

لقد ترك طيبة تظل المدينة المقدسة التي يحجُّ إليها المصريون ،
لكنه بنى ممفيس بالقرب من المكان القائمة عليه مصر الآن .

ومن هذا التاريخ ابتدأت أن تكوني يا مصر دولة مستقلة ،
وأمة مترابطة ، متكاتفه ، متضامنة ، فالتفت نحوك العالم الصغير
في ذلك الحين ، وأسرع ابن هلاس النشيط ، راكباً زورقاً

(١) جميع فلاسفة اليونان جاءوا الى مصر — منهم مضطهد ، ومنهم للعلم والمعرفة .

صغيراً من أخشاب بلاده ، ليستفيد من الخيرات التي يسكبها النيل في سهولك ، وعلى ضفاف نهرك المبارك العظيم .

لقد بقيت أجيالاً طويلة يا مصر ، وأنت جزيرة واقعة بين بحر من الرمال ، وبحر من الماء ، إلى أن أتتك عصابة قرصان من أبناء اليونان ، فكانت تطوف بمكر حول شواطئك الرملية لا تتجاسر على الدخول .

لكني أراها الآن ، وقد اغتنمت فرصة هرب ملكك « سكاو » إلى السودان فدخلت بزوارقها الضيقة ، وسط نيلك الواسع .
وقد أكد « سميثكوس » للمصريين أن اليونان لا تخرج زيتاً فقط لكنها تخرج رجالاً أيضاً .

إن هذه أول مرة في التاريخ داست أقدام الأوربيين ترابك المبارك ، ومنذ ذلك الحين تلاعبت بك الأيدي الأجنبية فكانت سبباً لتذمر شعبك المستمر حتى هذا اليوم .

ومن أغرب ما رأيت في تاريخك ، أنه رغم وطنية شعبك ، ومحبة لبلاده ، لم يقم منه بيت ملكي ، بل جميع الذين جلسوا على عرشك الذهبي ، كانوا ملوكاً أجانب متمصرين .

فالفراعنة الأولون ، جاءوك من السودان .

والهكسوس الرعاة ، من بلاد العرب .

والبطالسة ، من اليونان .

والإسلام ، من الجزيرة .

ومحمد علي ، من قوله في ألبانيا التابعة للأتراك .

أما في ذلك الحين ، فقد قاوم المصريون الاحتلال اليوناني
مقاومة عنيفة إلى أن ارتقى عرشك ملوك متمصرون ، دعاهم الشعب
أصدقاء اليونان ، فتألم فتيان المصريين لأنهم كانوا
ينظرون لبلادهم كأنها هيكل مقدس ، ويعتبرون كل الأجانب
غرباء يدنسون ذلك الهيكل .

لكن هؤلاء اليونان خدموا مصر خدمة تذكر ، وأوصلوها إلى
أعظم درجات الرقي والعمران ، وأخضعوا لها سورية ، واستولوا
على غابة الأرز في لبنان ، وبنوا من خشبها أسطولا اقتحموا به
العالم ، ونشروا سيطرتهم بسرعة غربية على شواطئ البحر المتوسط .
ثم حفروا قناة السويس لأول مرة ، فأصبح أسطول
مصر ، يدور حول جميع أفريقية .

لكن يا للغرابة ، فإن كل ذلك لم يبهج أبناءك ، وقد عجز
اليونان مع كل علومهم وفرط ذكائهم ، وجمال أجسامهم ،
أن يستجلبوا محبة المصريين .

وكما رواه المؤرخ «هيرودوتس» ، أن في كل مصر لم تكن
فتاة مصرية واحدة ترضى أن يقبلها يوناني غريب .

إن اليونان هذبوا العالم بأسره ، ونشروا فلسفتهم على
شواطئ البحر المتوسط بل قذفوا بها إلى أواسط أوروبا .

لكن مصر كانت منذ فجر التاريخ ، مدرسة كبرى
لليونان ، وللعالم أجمع .

فقد زارها «أوفيدس» ، و«هوميروس» وفي مدارسها درس

« صولون » الشريعة ومنها أخذ « بيتوكوريوس » نظريته ومبادئه .
في مصر تعلم « تاليس » أبو الفلسفة مبادئ الهندسة ، ونادى
وهو جالس في عين شمس (١) إِنَّ الزَّمَانَ أَهَمُّ كُلِّ شَيْءٍ ، لأنه
عرف كل شيء مضى ، وسيعرف كل شيء آتٍ .

وكان « تاليس » أول من قال إن الماء هو أول الكائنات ،
وأن منه وجد كل شيء ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ .

وهو رأى قديم ، ذهب إليه قدماء المصريين وقالوا إن الخلية
البشرية الأولى ، جاءت من البحر . وكان الكهنة المصريون أول
من نادى بأن الماء أصل كل حياة ، وعندهم أخذ « تاليس » نظريته
المشهورة . وفي هياكل مصر تعلم « فيثاغورس » الفلسفة وعاد إلى
أثينا ليعلمها لليونانيين ، حتى أن نظرية الخلود التي نادى بها
أفلاطون ، كانت معروفة لدى كهنة مصر ، ولا يبعد أن
أفلاطون أخذها عنهم كما أخذ قصة الطوفان ، وحكاية انهيار
الأطالس المريع .

وفي مصر سكن « هيرودوتس » سنين طويلة ، ولم يقم
في اليونان ، عالم أو مفكر ، إلا جاء مصر ليكتسب من
علومها ، وحكمة كهنتها ، يوم كانت جامعة العالم بأسره ، وملجأ
لكل طالب معرفة ، أو سرٍّ من أسرار الطبيعة .

مصر هي البلاد التي ولدت فيها « الميثولوجيا » ، وعندها أخذ
اليونان كل ما عندهم من الخرافات ، والأساطير ، والتقاليد .

(١) مكان بالقرب من هليوبوليس .

لقد وجد قبل التاريخ في « أور » ، المعروفة الآن « بعين شمس » ،
دولة قوية ، عظيمة ، ذات مدنية وعبقريّة خاصّة ، عرفت الكثير
من العلوم ، والمعارف ، والأسرار ، وأصل الوجود ، والكائنات ،
والديانات ، وعبدت إلهاً واحداً منزهاً عن المادة ، خالداً ، أبدياً ،
هو البداية ، والنهاية .

وكان كهنة المصريين القدماء الذين أسسوا مملكة هليوبوليس ،
قد هاجروا إليها منذ ألوف السنين ، من بلاد كانت على
جانب عظيم من المدنية ، والعمران ، والفنون .

هذه هي بلاد « الأطلسة » ، التي وجدت قبل ظهور البحر
الأبيض المتوسط ، حينما كانت أوروبا ، وأفريقية ، وآسيا ، قارة
واحدة متصلة ، غير منفصلة .

وكانت دولة الأطلسة في مكان ما ، في اليابسة التي يقوم
البحر المتوسط عليها الآن .

ثم طغى الأوقيانوس الأتلنتيكي ، على هذه البلاد العظيمة ،
فغرقت في قاع البحر بما فيها من سكان ، وجبال ، ووديان ،
وضاعت علومها ، وآدابها ، ومدنيتها .

وحدث قبل ضياع بلاد الأطلسة ، أن هاجر بعض أبنائها ،
لسبب مجهول ، وجاءوا إلى مصر ، وتركوا بلادهم قبل أن يبتلعها
البحر الأبيض المتوسط ، واستقروا في عين شمس وهليوبوليس ،
وكانوا على جانب عظيم من العلوم والدين والحضارة .

وربما كان ذلك هو ما وصل إلينا من قصة الطوفان .

إن قصة الطوفان كانت معروفة عند كهنة مصر ، وعندهم أخذها اليونان ، وتحدثوا عنها ونشروها في العالم .

هؤلاء العلماء الحكماء ، الذين هاجروا من بلاد الأطلالسة ، منذ عشرة آلاف سنة قبل ظهور الملك مينا ، وقيام الدولة المصرية الأولى ، هم كهنة مصر الحقيقيون ، الذين أنشأوا دولة عين شمس وعلموا المصريين أسرار الطبيعة والكون ، وربما كانوا على إمام بالكهربائية وسواها من العلوم والفنون والآداب والدين ، وهم الذين وضعوا أسس المدنية المصرية القديمة .

وقد جاء أفلاطون ، إلى مصر قبل المسيح بأكثر من ثلاثمائة سنة ، وسمع أخبار القارة الأطلالسية (الأتلنتيد) من كهنة مصر ، ووصف حضارة الأطلالسة في أحد مؤلفاته ، وأرجعها إلى ما يقارب عشرة آلاف سنة قبل المسيح ، ووصف ما سمعه من كهنة عين شمس ، عن الانهيار الفجائي الذي طمرها في قاع البحر ، فكان منها الجاليات التي عمّرت مصر وأمريكا ولبنان ، وقد قدر بعض المؤرخين سكان الأطلالسة ، بنحو خمسة وستين مليون نسمة .

إن وادي النيل في نظر العالم اليوم ، أشبه بمقبرة مهجورة ، ومزار تاريخي قديم ، يقصدها الأوروبي والأمريكي للسياحة والنزهة ، لكنها كانت لأبناء العالم القديم ، مرجع كل علم ومعرفة ، وفن ، وتاريخ . وكانت هياكلها مدارس سرية لتعليم الدين ، والفلسفة لأبناء السكينة والملوك .

أمام هياكلها العجيبة ، وقف اليوناني مندهشاً ، صامتاً ، ساكناً ،

صاغراً ، ومن تلك الهياكل سرق معرفة نحت التماثيل ، وصنع الأجسام .
كان يرى بعينه أطفال المصريين ، يداعبون التماسيح الأليف ،
ويشاهد جثة أبيس المحنطة ، مرزومة بالجدار الأحمر ، والكتّاب
ينقشون لغة الحيوانات على الغرانيت .

وكان هؤلاء اليونانيون الأذكىاء يطوفون في معابدك ،
ويدهشون من عظمة أبي الهول ، مضطجعا على الرمل المحرق ،
وبين مخالبه الهيكل العظيم .

أما كلبه أبي الهول ، فلا علاقة لها بالكلمة العربية ، لأنها
جاءت من كلمة الإله « هورأى هورس » .

لقد دخلوا فسحة السكرنك المملوء بالأعمدة العظيمة ، كأنها
غابة أشجار باسقة ، مؤلفة من فدادين مبلطة بالحجر الصلب .
إن اليونان مدينة لمصر بكل ما فيها من الفلسفة ، والعلوم ،
والفنون ، وقد ذهب المؤرخون إلى أن الفضل فيما وصلت
إليه « هلاس » ، ناتج عن التجارة الحرة بين القطرين . . .

وكانت اليونان تأتى بجميع أوراق الكتابة من مصر ، ولولا
الورق الذى كان يصنعه المصريون ، لما سجلت وحفظت فلسفة
اليونان ، بل ربما كانت قد ضاعت كما ضاع غيرها من
تواريخ الأمم وعلومهم .

أما جلود الحيوانات فكانت نادرة جداً ، وكان تحضيرها لكي
تصلح للكتابة أمراً عسيراً ، يقتضى نفقات كثيرة .

ومصر وحدها كانت معمل « الببيروس » العظيم وهو ورق البردى .

وإني أعتقد أن اليونانيين أخذوا العلوم ، والفلسفة ،
والطبيعات ، والهندسة ، وعلوم الفلك ، والدين ، عن مصر
وفينيقية ، ثم صاغوا جميع ذلك في قالب جديد قدّموه للعالم ،
تحت اسم الفلسفة اليونانية .

ها إنى أرى قافلة كبيرة ، آتية إليك يا مصر .
لإنها تحمل الصمغ ، من بلاد العرب !
واللؤلؤ ، من خليج العجم .
والسجاد ، من بابل .
والفلفل والزنجبيل ، من ملبار .
والوشاحات ، من كشمير .
والقرفة ، من سيلان .
والشاش ، من بنغال .
والخام ، من كورمندان .
والكمون وكبش القرنفل ، من الأرخبيل الهندي .
والحرير ، من الصين .
والعقاقير ، من سوريا .
والأسفلت للتحنيط ، من البحر الميت .
والخشب الطيب ، من أرز لبنان .
والخمر والزيت ، من فينيقية وفلسطين .
وقد كانت جميع تلك القوافل تخرج منك حاملة الخبواب والمواشى

والزجاج الجميل الملون ، والسبحات المختلفة الألوان ، والأدوات
الفنية والأقشة الجيدة ، وقد كان السكتان يصدر من مصانع
ممفيس كما يصدر اليوم من مصانع منشستر ؟

أنظري إلى أسطول - فينيقية التجارى - لقد وصل في
النيل إلى أمام ممفيس ، إنه مؤلف من خمسة وأربعين مركباً
شراعياً مملوءة بالتحف والنفائس .

لقد كنت في ذلك الزمان يا مصر ، أعظم مملكة ترعاك
عين حكومة ديمقراطية عادلة .

وإذا استغرب الناس ذلك ، وذكروني بينان الأهرام ،
فليذكروا هم أيضاً أن مصر بلاد غنية ، كثرت فيها الخيرات ،
والأيدي العاملة . نخاف الكهنة من ثمرة البطالة ، ونتائجها ، فدفعوا
الجمهور لإقامة التماثيل والمباني .

ولا ينسى القارىء ، أن السودان لا يسكب النيل فقط في
مصر ، لكنه يصب أيضاً على مصر نهراً من الرجال والفتيان ،
الذين لم ينقطع مجراهم حتى يومنا الحاضر .

فلا يتخيل لنا أن المصريين هم الذين بنوا الأهرام .
إن كهنتهم وضعوا تصميم شكله الهندسى ، ورسموا قواعده
وطريقة تشييده ، لكن الذين بنوا الأهرام هم الغرباء من
أسرى الحرب من أبناء جميع الأمم والشعوب .

أما المصريون أنفسهم فقد كانوا يفتخرون بأنهم رفعوا
الأهرام ، وأقاموا أبا الهول ، دون أن يشتغل مصرى
واحد في ذلك العمل العظيم .

والأهرام مربع الشكل ، وكل قسم من قاعدته يبلغ ٧٥٠ قدماً ،
وارتفاعه ٥٠٠ قدم ، مبنىً بحجارة صلبة جاءوا بها من جبل المقطم
رغم أن بعضها يبلغ طوله نحو عشرين ذراعاً ، وعرضه
ثلاث . وهى من حيث الدقة فى الصنعة ، والإتقان فى البناء ،
بحيث لا تدخل شعرة بين الحجر والحجر .

وما الأهرام يا مصر ، سوى دموع متحجرة ، ذرفها شعب
بأس إرضاء لشهوة ملك ظالم ، فحفظها التاريخ شاهد عدل
ينطق بظلم الإنسان .

أما الكهنة الحكماء الذين وضعوا الأساس الهندسى ، فقد
كانوا منصرفين إلى ما هو أجل وأعظم ، إذ كانوا يراقبون مجرى
النيل ليصونوا البلاد من المجاعة . وقد لاحظوا فى بدء فيضانه
ما دعاهم للاعتقاد بأن لذلك الفيضان علاقة بظواهر جوية ، فقادهم
ذلك إلى درس علم النجوم ، واكتشاف السنة الشمسية .

والمصريون اخترعوا السنة الشمسية ، وقسموها إلى ٣٦٥ يوماً
مع إضافة يوم واحد لكل أربع سنوات ، وعنهم أخذها
«يوليوس قيصر» ثم نقحها البابا غريغوريوس الثانى عام ١٨٥٢ ،
فنسب إليه (التقويم الغريغورى) مع أنه فى الحقيقة من وضع
كهنة مصر القدماء .

والأرقام التى يستعملها الأطباء اليوم للإشارة إلى الجرام
والقمحة مأخوذة عن حكماء مصر وأطبائها .

وما اختراع الكتابة الهيروغليفية ، إلا دليل واضح على أن

في مصر وجدت غاية سامية ، نبيلة ، فوق السياسة ، والفتوحات ،
وحب المال .

ولقد كان لهؤلاء السكهنة الأذكاء ، نفوذ عظيم في مصر ،
فقيّدوا الملوك بقيود منعّتهم من الاستبداد بالرعية ، ومن وضع
يدهم على ثروة البلاد وأطيانها .

فكانوا أول من اخترع آلة الحرث ، ومسح الأتبان ،
وقسّطوا الخراج على الناس ، ووضعوا الشرائع والقوانين .

وقد راجعت تاريخك يا مصر ، وقلّبت صفحة من تاريخ
ملوك الأولين ، فوجدت أن رئيس جمهورية أمريكا اليوم ،
مع كل ديمقراطية تلك البلاد ، يتمتع بحقوق كثيرة لم يحصل عليها
ملوك مصر مع كل ما كان لهم من العظمة والجبروت .

لقد كان الملك ينهض باكراً لسماع صلوات السكهنة ، وليس له
من السلطان أن يحكم من تلقاء نفسه حتى على أصغر المصريين .
إن ما اقترفته بعض دول أوروبا الهمجية من معاملة الأسرى
إبان هذه الحرب الأخيرة ، يذكرني برقي المصريين يوم كانوا
يحتفلون بأسيرهم الحربى الذى يقاومهم بشدة وبأس ، وليس ذلك
فقط ، بل كانوا يخلعون عليه النعم والهدايا ، اعترافاً بشجاعته .

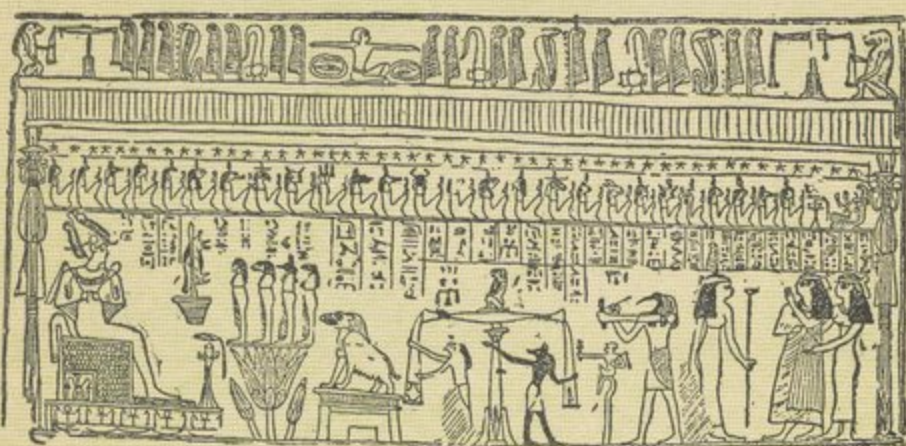
إن تاريخ مدينة مصر ، زاخر بأفضل وأرقى الآداب الاجتماعية
التي تفتخر بها أوروبا اليوم .

فقد كان الجندى المصرى لا يحمل سلاحاً إلا حين الحرب .
أما الأهلون فلم يكونوا بحاجة إليه البتة لاستتباب الأمن والعدل .

وقد كان للمرأة احترام ومقام ، يضارع مقام الرجل ، فستقبل
الضيوف ، وتجلس معهم ، كما نراها في الرسوم القائمة على جدران
الهياكل .

وقد كانت تدفن مع الرجل ، جنباً إلى جنب .
وقد رأينا في مجموعة القوانين التي أصدرها رمسيس الثالث
سنة ١٢٠٠ قبل الميلاد ، ما هو بالحرف الواحد :
« يحق للمرأة أن تعيش في هذه الحياة كما تريد ، وليس لأحد
حق في اعتراضها على الإطلاق » .

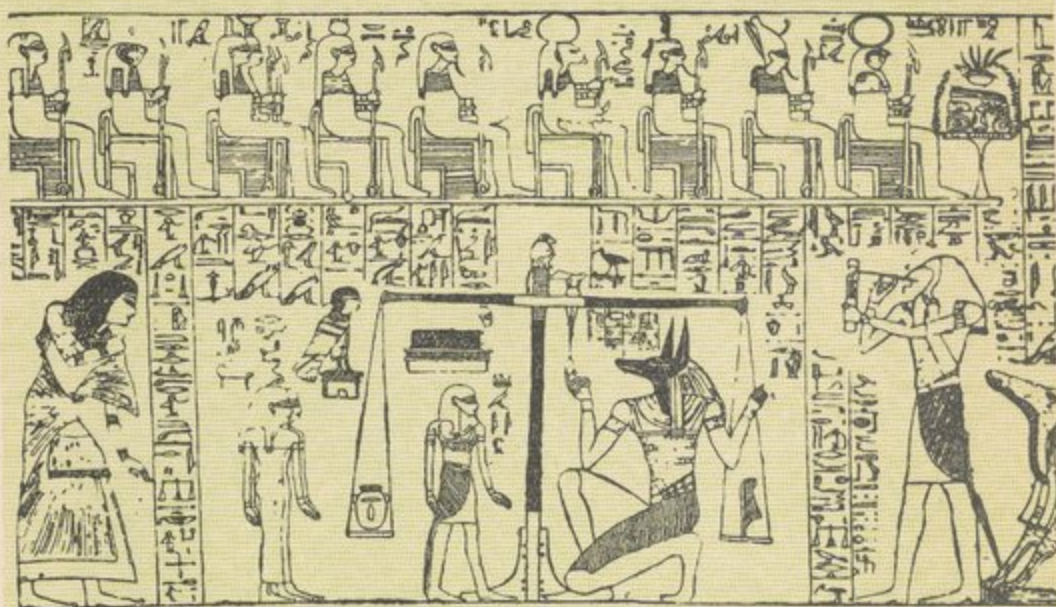
لقد قلبت صفحات كتاب محكمة الأموات المشهور ، فوقفت
مندمهاً من ذلك القانون العسكري المقدس الذي يستحيل إيجاد
قوة أفضل منه لحفظ نظام المجموع .



محكمة الميت ووزن قلبه وروح الانسان واقفة تراقب الوزن والاله انبيوس
يسجل في دفتر الأموات نتيجة المحاكمة

ورأيت جميع ملوكك يحاكمون بعد موتهم أمام جماهير الشعب
ليكونوا عبرة لسواهم . فقلت في نفسي : إن هذه المحاكمة العلنية

وحدها كافية للتأثير على العامة ، وتدريبهم على الصلاح ، وتعويدهم
على الارتياح عند كل إتيان عمل شريف مجيد .
تعالى نحضر جلسة محكمة الأموات يا مصر .
إنهم يحضرون جثة الميت أمام كرسي القضاء ، فإن شهد الناس
له بالصلاح والتقوى ، أمر القضاة بدفنه مكرماً محترماً .
وإن شهد الناس ، أنه كان شريراً أو مجرمًا قاتلاً ، حرّم
عليه الدفن داخل قبره الذي بناه في حياته ، ومنعت عنه
الاحتفالات المقدسة .



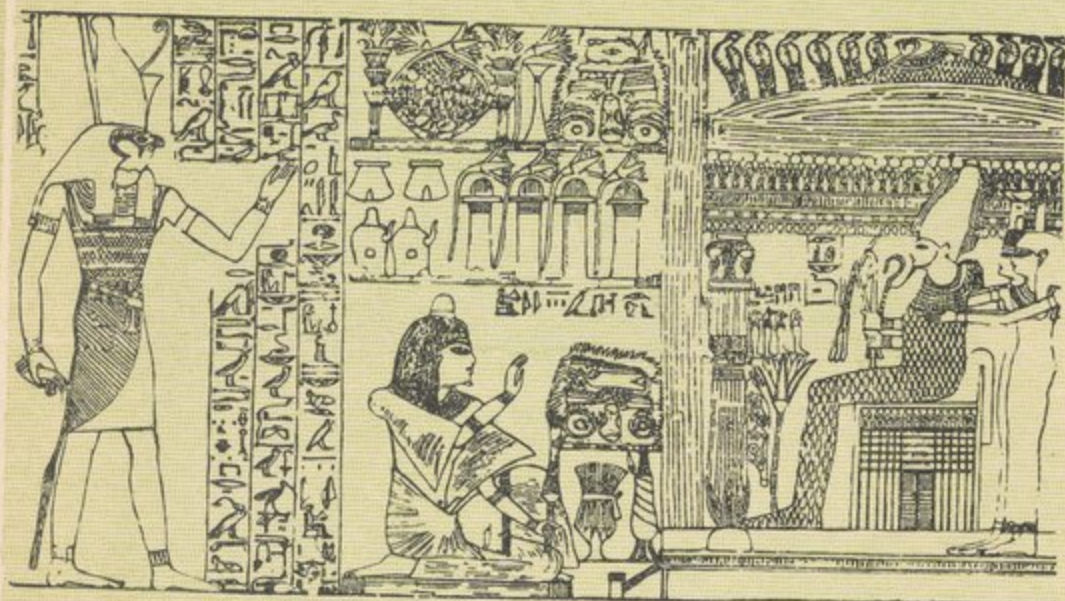
محكمة النفس بعد الموت ووزن قلب الميت

في فصل من كتاب الأموات نجد أوزيريس جالساً وسط غرفة سقفها من النار
دليلاً على الحق ، وأمامه الإله انيبوس يزن قلب الميت ، وأولاد حورس
الأربعة ، ثم الإله توت يسجل الوزن ووراءه الوحش بابي منتظراً ليأكل
الميت إذا وجد قلبه ناقصاً . وفي أعلى الرسم نجد صورة لاثنتين وأربعين قاضياً
الذين يحاكمون الأموات . أما إذا وجد قلب الميت كاملاً فيدخل الميت إلى
السماء إلى أفراح أوزيريس ليعيش هناك بهناء إلى الأبد

وإذا استدان المصري مالاً ولم يفِ ذلك المال ، كان جزاؤه
ألا يدفن أيضاً في قبره أو قبر آبائه وأجداده .

ويجري هذا الحرمان على أولاده ، وأولاد أولاده ، إلى أن
يبنى أحدهم دين والده .

وفي أثناء المحاكمة يضعون قلب الميت في الميزان الإلهي
المقدس ، وفي الكفة الأخرى يضعون رمز العدل والصلاح .



محاكمة الروح . تقديم الميت الى الاله أوزوريس

وتقف الروح أمام الميزان تراقب الوزن ، فإن لم يكن
القلب ناقصاً في الوزن ، صعدت الروح إلى أحضان أوزوريس ،
لتنمتع بأبجاد الآلهة ، ونعم السماء .
أما إذا وجد القلب ناقصاً ، فيلقى الميت الفناء ، والهلاك ،
ويبتلعه الوحش الكاسر المدعو « بابي » .

التحنيط

ها إني أرى الكاهن الأكبر ، يحنط جثة فرعون العظيم .
إنه يخرج دماغ القحف من الأنف ، ويشقب الخنصرة ، ثم
يخرج الأمعاء والكلى فيغسلهما بخمر النخل ، ويردهما إلى الجوف .



التحنيط عند قدماء المصريين

ها إني أراه يملأ الرأس ، وجوف الأمعاء بالمرّ والقرفة ،
والأطياب ، والعقاقير ، والعطور ، ويدهن الجسد بالزيت المعطر
مدة ثلاثين يوماً ، وبعدها يضعه في ماء النطرون أربعين يوماً .
أنظر إليه يلفّه بلفائف مغموسة بالمرّ بعد أن تدهن اللفائف
بماء الصمغ ، للوقاية من الهواء .

ولم يكن التحنيط سوى الدليل المفهم على إيمانهم
بالقيامة ، والحياة الأبدية .

إن المصريين جعلوا كل اهتمامهم للحياة بعد الموت .

وهذا الإيمان بالحياة الأخرى ، هو الذى قادم لتحنيط الأجسام
والهمهم فكرة بناء الأهرام ، والمقابر الكثيرة الكائنة فى طيبة ،
وبنى حسن ، والدير البحرى . لأنهم اعتبروا الروح خالدة ،
وبعد مفارقة الجسد تعيش فى عوالم أخرى ، لكنها تحتاج إلى
الجسد لتعود ثانية إلى الحياة .

فإن اضمحل الجسد وتلاشى ، فالواجب إيجاد مثال له من
الخشب لىكى تتعرف الروح عليه ، وتعود إليه .
ومن هنا نشأت فكرة التحنيط .

وهذا هو السر فى أن المصريين كانوا يحفرون رسوم
أجسادهم على خشب توابيتهم .



ويقدر المؤرخون أنه من زمن مينا ،
إلى ظهور السيد المسيح ، حنط المصريون نحو
مائتى مليون جثة ، وضعوها فى قبورها ،
ووضعوا بجانبها الماء والغذاء .

أما أجسام الفقراء فكانت تنظف
أحشاؤها ثم تغطس فى ماء النظرون ،
ثم تجفف وتلف بحصير وتدفن .

تابوت رعمسيس الثانى
وبداخله المومياة محنطة

الطب عند قدماء المصريين

إن الطب قديم في مصر كالدين ، لا تستطيع أن تحدّد ابتداءه بل إننا نعلم أن السكينة كانوا الأطباء ، والأطباء كانوا السكينة . وقد سرّت هذه العادة من مصر إلى جميع الأمم الشرقية . لقد كنت بالأمس في قرية من قرى لبنان ، فرض طفل في مزرعة ليس فيها طبيب ، فأحضروا الكاهن الموجود بالقرية ليشفيه . وبما أن الكاهن كان هو الملك ، لذلك كان الملك هو الكاهن والطبيب أيضاً .



أمنحوتب — إله الطب

وفي عصر الدولة الأولى كان الملك « أتونيس ، طبيباً ، وقد أُلّف وكتب في الطب حسبما ذكر لنا المؤرخ « مانيتون » . ويبدأ التاريخ المصري للطب من الدولة الثالثة في مدينة ممفيس ، في عهد الملك « زوسر » فقد كان وزيره الأول كاهناً وطبيباً ومهندساً ، وأصبح هذا الكاهن ، الطبيب ، والمهندس ، الوزير — إلهاً للطب عند قدماء المصريين ، وتورّط المصريون في عبادته ، فأصبح إلهاً يعطي الحياة لمن

يشاء . وعُرف هذا الطبيب باسم « أمنحوتب إله الطب » .
ثم جاء بعده حكيم وطبيب اسمه « أمن هوتب بن هابو » ، فرفعه
المصريون إلى درجات الآلهة . وكان الأطباء كثيرين بقدر الكهنة
وعدد الملوك . وكان على كل كاهن أن يتخصص في فرع واحد
من الطب كما أصبحت الحالة في عصرنا الحالى .

وقد كان المصريون أول من مارس عادة الختان ثم أخذها عنهم
الفينيقيون وبقية الأمم ، إلى أن جاءت الديانة المسيحية فأبطلتها .
وقد استدعى الطبيب المصرى إلى بلاد العراق ، لعلاج ابنة
أمير بوكتان .

ولا شك أن علم الكيمياء بدأ أيضاً فى مصر ، بل أن مصر
نفسها كان اسمها فى القديم « كمت » ، أى الأسود — نسبة إلى تربة
مصر السوداء — لكن علم الكيمياء لم يتقدم ولم يعرف كما هو على
حقيقته إلا أيام العرب ، وهم الذين دعوه علم الكيمياء مشتقاً من
اللفظة المصرية القديمة « كمت » .

والسحر يمتزج بالطب ، يتعاونان يداً بيد ، بل إن كثيراً من
الأمراض العصبية التى عجز الطب عن شفاها ، جاء السحر فشفاهها .
وكان الاعتقاد السائد ، أن الجسد قد يدخله الشيطان ، فلا يخرج
منه إلا بالتأمم والتعاويد .

وإننا لنجد كثيراً من تعاويد الشفاء مكتوبة على أوراق البردى ،
حتى أن الكثيرين يعتقدون أن الكلمة الأولى التى يكتبها الأطباء
على وصفاتهم هذه الأيام (الروشة) هى الكلمة القديمة التى كان

يستعملها الأطباء المصريون القدماء وهى كلمة « Ra » أى الإله « رع » .
فقد كان الكاهن المصرى يبدأ كتابة وصفته باسم « رع » ، وهذا
أشبه بالكثيرين فى هذه الأيام الذين يبدأون عملهم باسم الله ،
ويكتبون كل شىء مبتدئين باسم الله أيضاً .

أما الوصفات التى كانت مستعملة فى مصر فى عهدها الأول ،
فكثير منها لا تزال نستعملها فى هذه الأيام .

وقد وجد الباحثون والمنقبون قراطيس كثيرة فى مدافن مختلفة أشبه
شىء بكتب الطب فى هذه الأيام ، وجميعها مدرجة على ورق البردى .
فمنها الدرج البردى المعروف باسم أدوين ، ومنها درج هرست ،
ودرج إيبرس ، ودرج برلين ، ودرج كاهون ، وسواها ، حتى
أنهم وجدوا على أحد الدروج البردية عبارة خاصة برجوع الشيخ
إلى صباه ، ووجدوا فى هذه الدروج ، وصفات لإخراج حصوات
الكلى ، وسلّ العامود الفقرى ، والنقرس ، والروماتزم ، والتهاب
المفاصل ، والشلل ، والكساح ، والبول السكرى .

وقد كانوا يكثرّون من وصف الخضروات ، وذلك دليل على
أنهم علموا شيئاً عن الفيتامينات ، وهم أول من استعملوا النشادر
ولا تزال نحن نستعمله حتى اليوم .

وهناك وصفات مصرية تحتوى على الشبث (Dill) لإيقاف نزف
الدم ، والكزبرة (Coriander) والكمون (Cumin) والكرأوية (Caraway)
والحلبة (Funigreek) .

وزرعوا شجر الخروع ، واستعملوا زيتة علاجاً للإمساك ،
ووصفوا الأفيون للأرق ، كما ورد فى درج إيبرس .

هياكل ومعابد قدماء المصريين

إن تاريخ مصر، محفورٌ ومنقوشٌ ومسجلٌ على واجهات المعابد وأعمدة الهياكل، وجدران المقابر، ولوحات القصور، حيث تجد اليوم فصولاً من كتاب الموتى، وتاريخ المواقع الحربية، والأعياد والحفلات الرسمية، ومناظر الحياة الخاصة والعامة، وصور الملوك والآلهة بأشكال مختلفة حسب الحوادث ومجرى الأحوال.



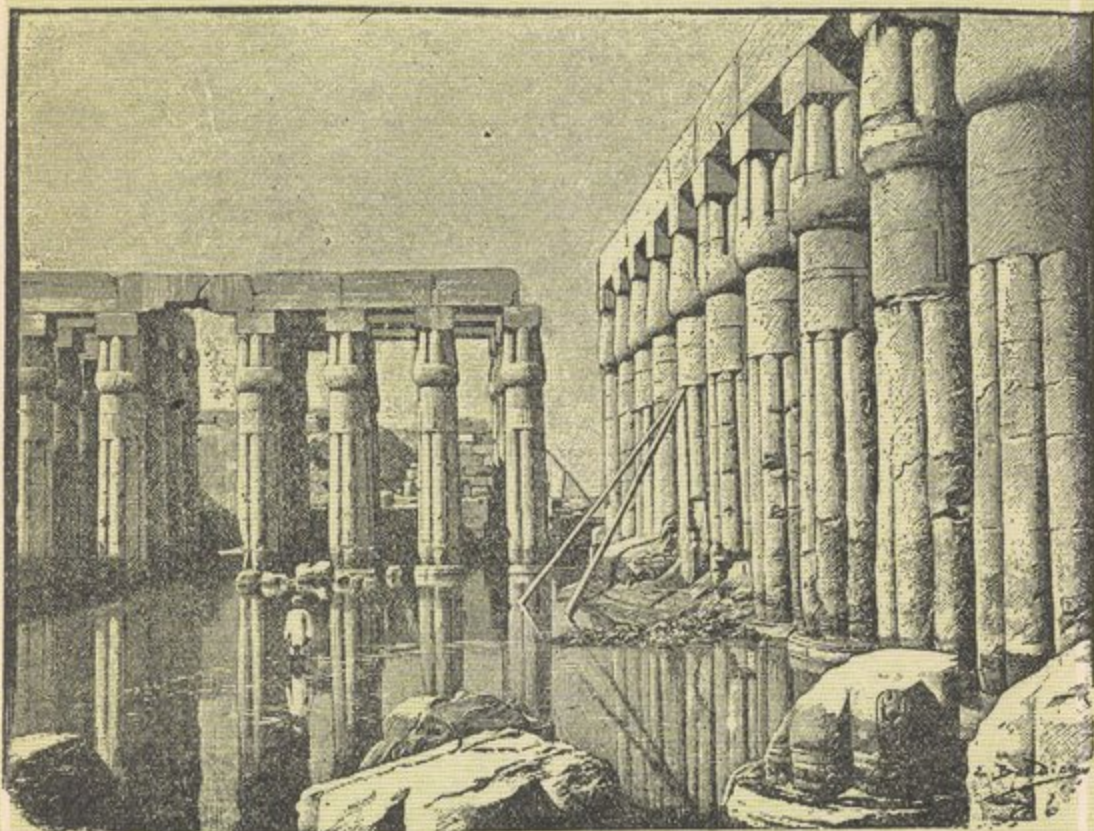
ساتي الأول وابنه رمسيس الثاني وقائمة أسماء الملوك
في هيكل أبيدوس

ومما يستوقف النظر أن المدن المصرية القديمة هي لا تزال
 قائمة كما كانت أيام الفراعنة الأقدمين .
 تبدلت أسماؤها وتغيرت معالمها ، لكن مواقعها ومعابد آلهتها
 لا تزال شاهدة على ما كانت عليه .
 وكانت كل مدينة مصرية ، مركزاً لإله تعبد ، وتجله وتقده .
 والحقيقة أن المدينة كانت تقوم إلى جانب المعبد لا إن المعبد يبنى
 في المدينة كما يجب أن يكون .



هيكل الإله حورس في ادفو — وهو الابن الوحيد لازيس وأوزوريس
 فهذه هياكل أنس الوجود ، وإسوان ، وإدفو ، التي يقوم فيها
 هيكل الإله حورس ، وهذه كوم امبو ، وهذه طيبة المعروفة الآن

بالأقصر . لقد كانت طيبة مدينة قديمة جداً تدعى « أبت » ، فتحوّلت
مع الزمن إلى « قبط » ، وكانت أعظم المدن المصرية في عصور
الدولتين ١٨ ، ١٩ إلى أن هدمها قبيل الفارسي .



طيبة — هيكل الأقصر وقت فيضان النيل

وورد ذكرها في أشعار « هوميروس » ، والياذته حيث تغنى بجمالها
وأعجب بغناها .

وذكرتها التوراة في سفر النبي « ارميا » ، ٢٥ - ٤٦ . وقد
أطلق عليها اليونانيون اسم طيبة وهو اسم إحدى مدنها ، أما اسمها
المصري فهو « نو » ، أى المدينة .

وقد تخصصت طيبة لعبادة الإله آمون ، فشيّدوا فيها هيكلًا لهذا
الإله غاية في الفن وخلاصة الإبداع ، أعنى به الكرنك ، وبنوا
أيضاً معبد الأقصر وهو من الجلال والمهابة والفن والإتقان بحيث
يعدُّ ثاني الهيكل بعد هيكل الكرنك .

وقام بجوار طيبة معابد ومدافن أهمها وادى الملوك والدير
البحرى ومدينة « هبو » .

وكانت مساحة طيبة تزيد على تسعة أميال ، وقد دعاها
اليونان بالمدينة ذات المائة باب ، وكانت طيبة تجنّد نصف مليون
جندي في حالة الحرب .

أما الآن فالمعابد والهيكل باقية لكن المدينة التاريخية العظيمة
تقلّصت إلى قرية صغيرة .

وهذه أيضاً دندره . كانت المسكن المقدس للآلهة « هاتور » ،
آلهة الحب والجمال والنساء .

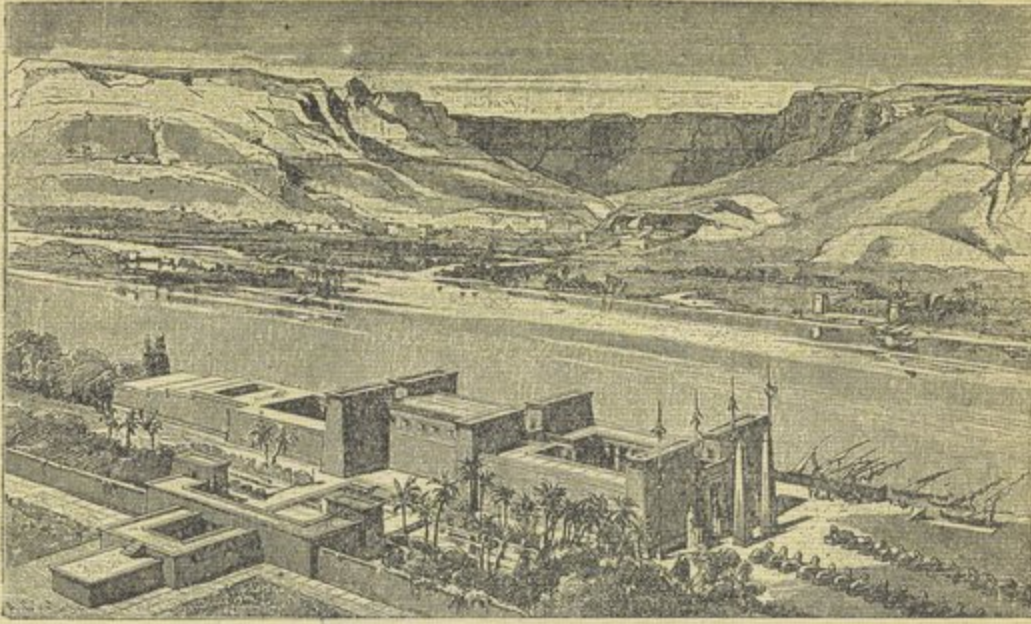
أما إبيدوس ، التى تدعوها العامة بلدة العرابة المدفونة (البلينا) ،
ففيها معبد ومدفن « أوزوريس » ، حيث كان يتهافت قدماء المصريين على
أن يدفنوا بعد موتهم بالقرب من إبيدوس ، تبركاً من أوزوريس ،
وطمعاً فى الوصول إلى الجنة بشفاعته ومسعاه .

وهذه « سوط » المعروفة الآن بأسىوط مركز عبادة أنوبيس
إله الموتى ، وقد كانت رأسه رأس ابن آوى ، وكان ابن آوى يتردد
كثيراً على المقابر والمدافن فى ظلام الليل . فاعتقدوا أنه يحمى الموتى
والمقابر فجعلوه إله الموتى .



طيبة — معبد الكرنك من الشمال

ومنها «هرموبوليس» المعروفة الآن بأشمون وكانت مركز عبادة
الإله «توت» إله الحكمة والمعرفة .



مدينة طيبة (الأقصر) وهيكل الكرنك

وأمامه الى الجهة الثانية من النيل تقع مدافن الفراغة في وادي الملوك

أما « تل العمارنة » مركز عبادة الإله الواحد ، فتقوم مكانها
الآن قرية « الشيخ قنديل » .

وهكذا تمرّ على مدن قديمة سائراً مع النيل إلى مدافن
بنى حسن ، واهناس ، إلى ممفيس وأبو سير (بوزيروس) وسقارة ،
ودهشور ، إلى أن تصل إلى مدينة الاطالسة « أون » ، المعروفة
الآن بمدينة الشمس « هليوبوليس » حيث خرجت أديان المصريين
وفلسفتهم وآدابهم وتاريخهم .

وإذا سرت تماماً مع النيل ، وصلت إلى « تايس »
حيث يقوم هيكل إله الحرب « نيت » ومنها إلى بوباسطيس
« تل بسطه » حيث هيكل ومدفن القطط المحنطة المعبودة - ومنها
إلى « تنيس » (صا الحجر) حيث معبد الإله « سات » .

وبعد « تنيس » ، تصل إلى أرض « جاسان » ، بين البحر الأحمر
والأبيض ، حيث سكن اليهود في عهد زعيمهم ، يوسف بن يعقوب
ابن إسحق بن إبراهيم .

وقد كانت « جاسان » ، في ذلك الزمن ، أفضل أرض مصر
وأخصبها .

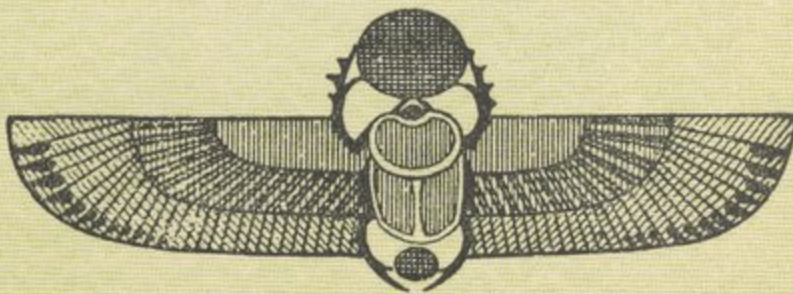
وبمدينة « أفاريس » ، على مصب النيل تنتهى المدن المصرية ،
الحافلة بالعلم ، والدين ، والتاريخ .

وقد كان لآمون أعظم آلهة المصريين ، هيكلٌ فخْمٌ في واحة
سيوة ، بالقرب من الإسكندرية .

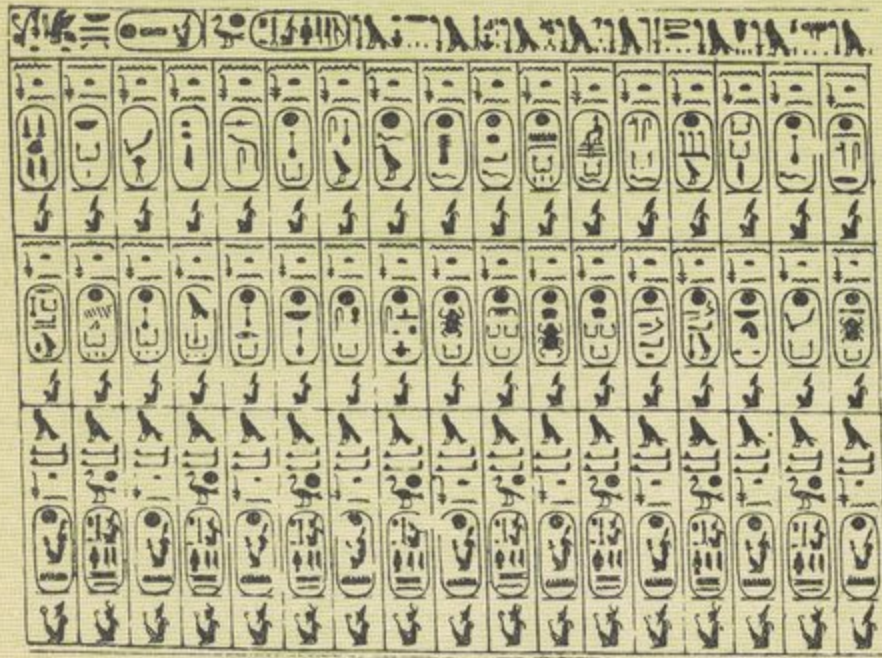
وقد ذهب الإسكندر الكبير ، يسأل كهنة آمون ، إذا
كان هو ابن جوبيتر أم لا !

بل إن كبار اليونان ، والرومان ، كانوا يقطعون
المسافات الشاسعة لزيارة معبد آمون .

وقد زار هذا الهيكل القائد القرطاجنى الشهير « هانيبال » ،
ليستشيرَه في هجومه على روما ، فجاء الجواب يتحمل النصر والفشل
في آن واحد .



لغة المصريين



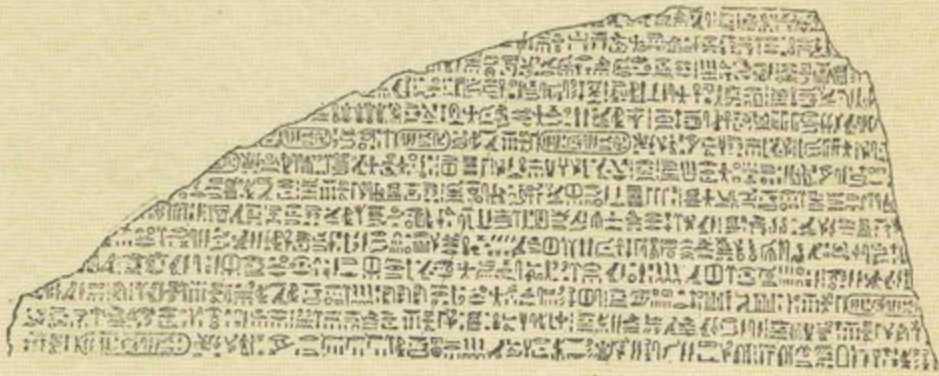
اللغة الهيروغليفية القديمة

كانت اللغة الهيروغليفية ، لغة العلم ، والأدب ، والدين ،
عند قدماء المصريين .
وأقدم ما وصل منها إلينا ، نقوش الكهنة في الدولة الأولى .
وهي صورٌ تكتب عمودية أو من اليمين إلى اليسار .
واللغة الهيروغليفية هي لغة الدين المقدسة .
واستمر استعمالها إلى القرن الرابع بعد الميلاد ، فاختفت
الديانة الوثنية ، واختفت معها اللغة الهيروغليفية .
أما الخط الثاني فهو الخط الهيراطيق ، وهو مختصر الهيروغليفية
ويكتب من اليمين إلى اليسار .

أما الخط الديموطيقى فهو خط الشعب في أواخر التاريخ المصرى
فى عهد الأسرة السادسة والعشرين .

أما الخط الأخير فهو الخط القبطى وأكثره مكتوب بالأحرف
اليونانية .

ولم يستطع العلماء فك رموز اللغة المصرية القديمة ، حتى اكتشف
حجر رشيد « روزيتا » عام ١٧٩٩ وهو مكتوب على أيام بطليموس
الخامس وعليه ١٤ سطراً باللغة الهيروغليفية و ٣٢ سطراً باللغة
الديموطيقية و ٥٤ سطراً باللغة اليونانية (١) .



حجر رشيد (روزيتا) الذى كان الوسطة لاكتشاف معرفة اللغة الهيروغليفية

وقد حلّ رموزه البحّارة « شامبليون » الفرنسى مع زميله
الدكتور « توماس بنج » الإنكليزى ، فسَهّل على العلماء قراءة جميع
الحروف المصرية المحفورة على الأعمدة والهياكل والمقابر .
وانفتح تاريخ مصر على مصراعيه أمام المؤرخين والباحثين
والمنقبين .

(١) حجر رشيد اكتشفه فى رشيد المسيو « لاشاد » أحد ضباط الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨
أثناء اشتغاله بترميم قلعة رشيد فحملوه الى فرنسا حيث حل رموزه المسيو شامبليون .

ديانة المصريين

أما ديانة المصريين ، فكانت صورة مصغرة ، من الديانة المسيحية نفسها .

« أوزوريس » ، تزوج أخته « إيزيس » ، فولدت ابنها الوحيد : « هورس » ، (الأب والابن والروح القدس) .

والحق يقال إن مصر علّمت العالم خلود النفس ، والحياة الثانية ، فسّلت الطريق لمجيء المسيحية .

وقد جاء في الأساطير أنه لما ولد « أوزوريس » ، سمع المصريون صوتاً من السماء يقول « هذا هو الإله العظيم الآتى إلى العالم » . ويقابل ذلك ما جاء في الإنجيل عن ولادة السيد المسيح من أنه سُمع صوت من السماء يقول « هذا هو ابني الحبيب الذى به سررت » .

أما « ساقى » ، فكان الشيطان كما نعرفه في توراة العهد القديم . ولا شك أن اليهود أخذوا فكرة الدينونة من قدماء المصريين ثم اقتبسوها عنهم ببقية الأديان .

وقد رأيت أثناء زيارتي لمعبد الأقصر ، صورة الإله آت يَبشِّر « إيزيس » ، بميلاد طفلها الذى سيكون إلهاً . إن ذلك منقوش على جرانيت المعبد ، وهو أشبه بصورة الملاك جبريل آت ليَبشِّر العذراء بميلاد السيد المسيح .

وقبل أن يظهر «مينا» الملك المصرى الأول ، كانت هليوبوليس
(بيت الشمس) مدينة عظيمة مشهورة بالعلم والدين وعاصمة
المملكة المصرية القديمة التى لا نعرف شيئاً عنها .

وقد ظهر الدين فى هليوبوليس بمعناه الحقيقى وهو عبادة
إله واحد ، رب السموات والأرض خالد لا يموت .

ومن هليوبوليس ، انتشر
الدين فى جميع ممالك مصر ،
فأصبح لمفيس إله ، ولطيبة
إله ، بل لكل مدينة
وقرية إله . لكن مرجع
جميع هذه الآلهة ، هو
الإله الواحد الذى علمته
هليوبوليس لمصر ، وهو الإله
القادر على كل شيء ، وجعلوا
الشمس رمزاً له ، لأنه أصل
كل حياة — أما اسمه فكان
«آتون» .



إن المصريين لم يعبدوا
الحيوانات كأنها حيوانات .

تمثال «أمن أن» رئيس كهنة «أون» هليوبوليس
والأصل موجود فى متحف تورين فى إيطاليا
بل كانوا يعتقدون ، أن

أرواح الآلهة تتقمص أو تحلّ ، في بعض الحيوانات . ومن
هنا نشأت عبادة هذه الحيوانات ، التي تقمّصت فيها أرواح
الآلهة . كالعجل أيس ، والبقرة هاتور .

لقد وجدوا ، الجعل ، مخفياً في الرمال ، فاعتقدوا بأقدميته ،
وأزليته وتجده ، وخالوه موجوداً بذاته وجوهره ، يتوالد من
نفسه ، فقادهم ذلك إلى الإيمان بأن الإله «رع» ، أى الشمس
تقمص فيه .

أما في منفيس ، فكانوا يعبدون الإله «فتاح» ، واعتقدوا أن
روح «فتاح» حلت في العجل «أيس» ، وكلها مات عجل حلت روح
«فتاح» في عجل آخر ، فقادهم ذلك إلى عبادة العجل أيس الذى تجد
جثته المحنطة في معبد السرايوم بسقارة ، مقبرة مدينة ممفيس .

وفي طيبة كانوا يعبدون الإله «أمون» ، وزوجته «توت» ،
وابنه الوحيد «خونسو» ويعتقدون أنهم ثلاثة في واحد وأن
المصريين عبدوا آلهة كثيرة متعددة ، لكن هذه الآلهة كانت
بمشابة الأنبياء الكثرين عند المسيحيين . وكلهم تابعون للإله
الثالوث الأعظم ، الإله الأكبر الواحد المتعالى .



عبادة الأشجار

على أن عبادة الأشجار لم تكن نادرة في مصر ، فمثلا نجد
أن شجرة الجُمُيز كانت مأوى للآلهتين «نوت» و«صخور» ، وقد



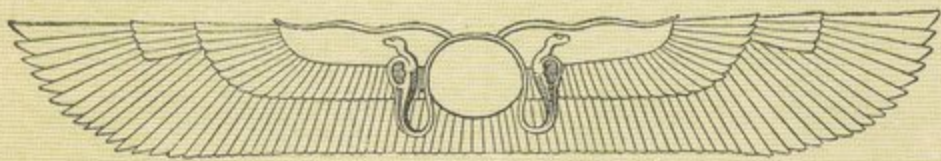
مصرى قديم وزوجته يتضرعان أمام شجرة الجُمُيز التي تسكن بها روح الآلهة

وضع تابوت أوزوريس في جنبها ، وكذلك شجرة السُّرو كان يحل
فيها روح الإله «مين» ، وقد كان وجود أى شجرة من هذه
الأشجار في مكان ما يجعلها موضع تقديس ، لأن روح

الإله التي هي رمز له كانت تسكن فيها .
 وكانت السماء في نظرهم على شكل امرأة منحنية الجسد ، مستندة
 إلى الأرض ، بيديها ورجليها .



السماء كما تصورها المصريون امرأة منحنية الجسد مستندة إلى الأرض بيديها ورجليها
 وتخيلوا أن للشمس جناحين تطير بهما في الأفق ، ولذلك
 صار قرص الشمس رمزاً دينياً هاماً .
 أما شعاع الشمس فكان رمزاً لدموع الآلهة التي تسكبها
 حزناً على البشر .



الدين

لقد بحثت في صميم التاريخ الديني القديم .
لقد درست ، وأطلعت على مؤلفات ومجلدات كثيرة .
فوجدت أن المصريين عبدوا طول حياتهم ، وجهادهم
على هذه الأرض ، إلهاً واحداً جعلوا له في كل بلد من أقطار
مصر ، اسماً غير اسمه في القطر الآخر .
فهو « أتوم » ، في هليوبوليس ، و « رع » ، في منفيس ، و « أمون » ،
في طيبة ، و « أوزوريس » ، في إبيدوس (البلينا) والعراة .
ثم جعلوا لأنفسهم إلهاً لكل غرض ولكل غاية ، للريح ،
والهواء ، والماء ، والموت ، والحرب ، والحب ، والطب ، والأطفال ..
لكن جميع هذه الآلهة كانت تابعة للإله الأكبر ، كما هي حالة
القديسين عند النصارى ، والأولياء عند المسلمين .
إن المصريين عرفوا هذا الإله الواحد ، وعبدوه
بأشكال مختلفة وأسماء مختلفة .
وعرفوا آدم ، وجعلوه اسماً للإله الأكبر ، ثم حرقوه
إلى « أتوم » . . .
إن الصلاة والسلام على الأنبياء ، وإنزالهم في أكثر الأحيان
منزلة الإلهة ، أمر مألوف في مصر وجميع البلاد العربية .

بالأمس رأيت سيدة مصرية تتضرّع إلى السيدة زينب طالبة
منها الرحمة والمساعدة .

ورأيت رجلاً يتضرّع للسيد البدوي ، وآخر لسيدنا الحسين .
وفي كثير من البلاد الشامية والعراقية يبتهلون إلى الحسن
والحسين أولاد علي بن أبي طالب .

وإذا زرت اليوم الأقطار النصرانية في لبنان ، وجدت في
كل قرية قديساً يعبده الناس ، ويلجأون إليه ضارعين ، طالبين
رحمته ومساعدته في الشفاء ، والنجاة من المصائب والأمراض .
ففي قرية ، تجدد مار يوسف ، يسيطر على أهالي تلك القرية .
وفي سواها ، تجدد مار جرجس ، وفي غيرها مار يوحنا ،
ومار إلياس ، ويعقوب ، وبطرس ، وبولس ، وتجد دميانة ، ومريم ،
وألوفاً من هؤلاء القديسين والقديسات .

حتى في إيطاليا نفسها ، تجدد مريم العذراء ، أم السيد المسيح
في كل مدينة ، تخالف مريم العذراء في المدن الأخرى .
وهكذا كان للمصريين ، آلهة كثيرة كأولياء المسلمين
وقديسي النصارى اليوم .

أنها آلهة كثيرة مرجعها إله واحد .
لقد اعتقدوا بوحداية الله ، ثم تطرّقوا مع الزمن إلى عبادة
صفات الإله الواحد ، فجعلوا لكل صفة منها إلهاً مستقلاً عن الآخر .
فلم تسكن البقرة هاتور ، سوى رمز للعطف والحنان .
كما كان العجل إيبس ، رمزاً للقوة والنشاط .

وقد كانت جميع الهتهم رمزية ، دائرية ، ترمز في نهاية الأمر إلى الإله الواحد ، الذى كان مركزه فى منتصف الدائرة .
وقد كانت زهرة اللوتس مقدسة لأنها كانت مستديرة تشبه الدائرة — وكان العقل عندهم دائرة أيضاً ، وهو مظهر الإله الأكبر ، يتوسط الدائرة .

وكانت حبوب اللوتس تنمو داخل غلافها ، ثم تمزقه وتنمو فى الماء رافعة نفسها فوقه على شكل دائرة .
ومن المدهش ، أن أميراً هندياً ، جاء قبل المسيح بخمسمائة سنة ، فأخذ فكرة الدائرة عن المصريين .

وكان هذا الأمير الشاب ولىّ العهد لمملكة أبيه ، وعلى جانب عظيم من الجاه ، والثروة ، والنفوذ ، لكنه وهب جميع ما يملك ، وتنازل عن الملك وطاف فى الهند وتبت ، يبشر بهذا المبدأ الدينى ، إلى أن وصل به الطواف إلى بلاد الصين ، فاعتنقت الصين هذا المبدأ ، وجعلته دينها الرسمى ، المقدس .

أما الأمير الهندى ، فكان اسمه « جوتاما » لكن أتباعه دعوه « بوذا » أى الرجل العالم بكل شىء .
وعُرف الدين الجديد بالديانة البوذية التى نادى بها الإله الهندى « جوتاما » ، الذى اقتبس حكمة مصر . وجعل ديانته كدائرة يتوسطها الإله الأكبر .

وليس فى العالم بأجمعه شعب ، تغفلت مراسيم الدين ، فى حياته العامة ، والخاصة ، كالشعب المصرى .

ففى البيت والمعبد ، وفى الأفراح والآتراح ، وفى الطب والعلم
والآدب ، وفى الحفلات والمراسيم ، وفى الرسم والنقش ، وفى المقابر
والهياكل ، وفى الاهرام وأبى الهول ، تجسد فى كل صورة من
صور حياتهم رمزاً للدين ، مبدأه الدين ، ومرجعه الدين .

ذلك لأن الدين طغى على كل شىء سواه .

وأصبح المصرى يعيش للعالم الآتى ، لا لهذا العالم الفانى ، لأن
المبدأ الأساسى فى حياة المصريين كان الروح لا الجسد ،
لأن الروح خالدة إلى الأبد ، أما الجسد فيفنى .

واعتقد المصريون — كالمسيحيين — بالحياة الخالدة ،
واعتبروا أن الأموات تتحول إلى طيور بعد وفاتها ، وتعلو فى
السماء إلى فوق طبقات الهواء حتى تصل إلى «رع» أى الشمس
فتصبح هناك نجوماً أزلية تعيش إلى الأبد .

وإنى أعتقد أن الخلود أو الأبدية عند قدماء المصريين كان

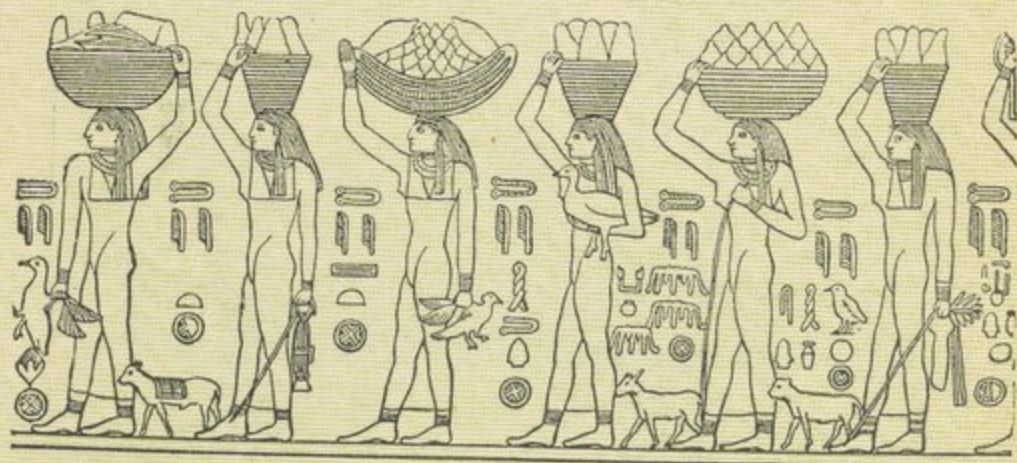


مراكب الجنائز حاملة أمتعة الميت وأصدقاءه

معناه التجدد الدائم ، وتكرار حلقة الزمن وسلسلة الوقت ...
وقد كان الموت في نظرهم طريقاً يعبر منه الإنسان ليجدد حياة
أخرى . لذلك كانوا يدفنون مع الميت أمتعته وأثاث بيته وكل
ما كان يملك في حياته ، ولم يكن الموت سوى نوم طويل الأمد .
وإني أجزم أن الكثير من الطقوس الدينية الموجودة
عند النصارى مأخوذ من عبادات قدماء المصريين .



المراكب تحمل الندابات وأهل الميت



وجدت هذه الصورة محفورة على الجرانيت في مقبرة الملكة ثي أم الفرعون اخناتون
ونجد كثيراً منها في المقابر لأنها تمثل حياتهم التي سيمودون إليها بعد الموت. وهي منظر
فلاحات مصريات حوامل محصولات مزرعاتهن ويدهن الفراخ
والغريب أننا نرى اليوم ذات المنظر في جميع أسواق المدن والقرى

عبادة العجل

أما عبادة العجل ، فقد بدأت منذ القدم ، وهي معروفة في التاريخ حتى أن اليهود في فترة من تاريخهم ، قدسوا العجل وعبدوه بعد أن تعلموا عبادته في مصر .

إن الشعوب بأجمعها عبدت هذا العجل . لأنها وجدت أنه الحيوان القوى الأليف ، الذي يحسن التوليد ، ويحتمل الحرب والقتال ، وتمثل فيه القوة الجسدية العنيفة .

وقد ذكر منيتو المؤرخ المصرى القديم - أن كينخوس - أحد فراعنة الدولة الثانية كان أول من عبد العجل .

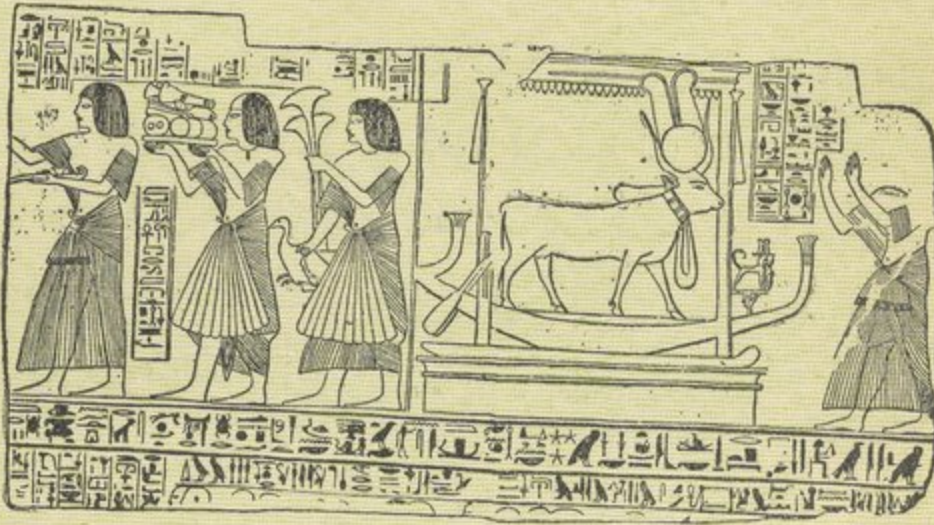
لكن المؤرخ «إليان» ، يعود بعبادة العجل إلى فرعون مينا ، أول ملوك المصريين .

وبقيت عبادة العجل في مصر ، إلى أيام الاسكندر ، والإمبراطور تيطوس - وكل منهما قدّم القرابين إلى العجل ، وسجد له . وكان إذا مات العجل المعبود ، حنط السكينة جسده ، ودفنوه باحتفال عظيم .

والاعتقاد السائد أن البرق يهبط من السماء على بقرة ، فتلد هذا العجل بلونه ووصفه المرغوب ، فسكانها تتحد بالسماء لتلد هذا العجل المختلف بشكله عن بقية العجول .

إذا فعبادة العجل لم تكن لجميع العجول بل لعجل واحد مقدس مخصوص هبطت على أمه قوة السماء والآلهة .

وفي سنة ١٨٥١ ميلادية ، اكتشف مريت باشا ، معبد السرايوم
 الشهير في سقارة ، حيث وجدت أجساد هذه العجول مَحْنَطَة ومدفونة
 في توابيت من حجر الجرانيت ، الذي يزن كل نافوس منها على
 حدة نحو ٥٨ طناً ، نقلوها من إسوان ، إلى سقارة .
 وهي مزيَّنة بالرسوم ، والصور ، والحروف الهيروغليفية ،
 والنقش ، والحفر ، الذي يكاد يسلب العقول .



العجل ايس على سفينة الشمس وأمامه الكاهن يقدم له العبادة
 وفي الجانب الآخر ترى الكاهنات يقدمن الذبائح والقرابين

وكان الاعتقاد ، أنه إذا مات العجل ، صعدت روحه إلى
 السماء ، واتحدت بروح أوزوريس .
 حتى أن عبادة العجل المتحد بأوزوريس ، عمت الإمبراطورية
 الرومانية بأكملها ، ودخلت منها إلى جميع ممالك أوربا ، ووصلت
 إلى الجزائر البريطانية ، حيث أقام الإنكليز الأقدمون معبداً
 للعجل المتحد بأوزوريس ، في مدينة يورك الشهيرة .
 وإذا حضرت احتفال المسيحيين ، بجنّازة السيد المسيح ،

يوم قيامه من الأموات ، لوجدته أشبه شيء باحتفال قدماء المصريين
بعيد «أوبيت» (OPET) الذى يحتفل فيه بنقل تمثال الإله
آمون ، من معبد الكرنك إلى معبد الأقصر .

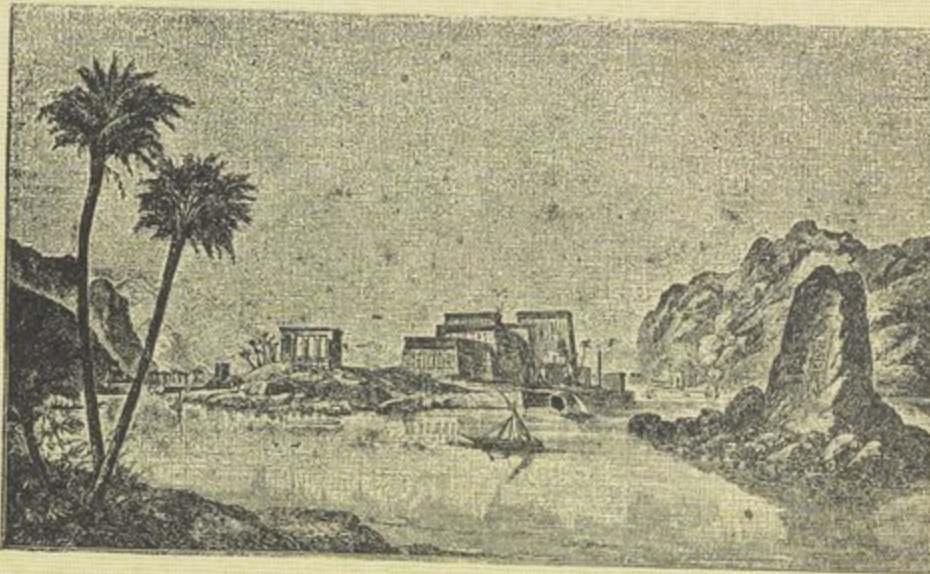


(معبد الأقصر) قاعة ساني الأول وتمثيل رمسيس الثانى

وقد أخذ الرومان ، واليونان ، أديان المصريين ،
وتبنوها لأنفسهم ، لكنهم غيروا الأسماء ، لتتفق مع لغتهم ، وعوائدهم .
فقد دعوا أوزوريس — ديونيسوس .
ودعوا إيزيس — ديميترس .
وهورس — أبولو .

وسات - تيمفون .
 وآمون - زيوس .
 وهاتور - أفروديت .
 وخنسو - هرقل ،
 وباست - ارتاميس .
 وفتاح - فلكان .
 والعجل أبيس - سرايس .

وقد أخذ اليونانيون بديانة المصريين ، وعبدوا آلهتهم جميعها ، حتى أن هياكل ومعابد كثيرة ، بنيت في أيام البطالسة ، على نمط معبد دندرة ، وإدفو ، ومعبد كوم امبو ، وأنس الوجود ، حيث أقام يوليوس قيصر وكليوباترا ، عاموداً للعبادة ، تذكراً لزيارتهما لذلك المعبد في رحلتهما الشهيرة في النيل^١ . لقضاء شهر العسل بعد زواجهما .



جزيرة أنس الوجود (فيلى المقدسة) بعد أسوان في منتصف النيل وقد زارها يوليوس قيصر وكليوباترا وأقاما بها عموداً أثرياً تذكراً لتلك الزيارة

القطط

وكانت القطّة مقدّسة في جميع العصور في مصر ، لأن الإله « باست » تجسّد وتقمص فيها .

وفي كتاب الموتى نص صريح ، على أن القطّة ، هي التي قطعت



رأس الحية المنسابة في الظلام ، وساعدت على قتل أعداء أوزوريس .

فكان

المصريون

يحترمون

القطط ، ويحرمون

قتلها ، ويحنّطون

جسدها بعد موتها ،

ومن قتل قطّة

كان جزاؤه الموت .

لقد قتل رجل

روماني قطّة خطأ ،

فرجمه الشعب

المصري إلى أن

مات .

القطط المحنطة التي عبدها المصريون القدماء اعتباراً أن أرواح الآلهة تقمصت فيها وقد وجد الملايين من هذه القطط المحنطة

في مدافن « بني حسن »

آلهة قدماء المصريين

قامت دعائم الدين المصرى القديم ، على مثلثين تشعبت
منهما بقية الآلهة والعبادة .

الثالوث الأول : ثالوث إيبيدوس (عرابة المدفونة بالقرب

من جرجا) .

أوزوريس - الأب ، وعبادته فى مدينة

إيبيدوس .

إيزيس - الأم .

حورس - الابن ، وعبادته فى طيبة .

الثالوث الثانى : ثالوث طيبة .

آمون - الأب وعبادته فى طيبة .

مُت - الأم .

خونسو - الابن .

الثالوث الثالث : ثالوث منف .

فتاح .

سكمت - زوجته .

هرماكوس - الابن .

ومن الغريب ، أنه لم يقيم إله مصرى ، إلا
كانت له امرأة ، سواء كانت زوجة ، أو رفيقة .



الاله حورس



الاله خنسو



الاله رع اله الشمس

أما آلهة المصريين فاهمهم ما يأتي :

١- الإله « رع » - إله الشمس . ورع هو الإسم الذي أطلقه المصريون على قرص عين الشمس ، التي ابتدأت عبادتها في هليوبوليس .

لقد عبد المصريون الشمس ، منذ أول وجودهم . وقد اندمج « رع » بالإله « أيوم » - إله هليوبوليس القديم فعبدوه وشاهدوا العقاب يرتفع كثيراً حتى السحاب فاعتبروا أن له صلة بالشمس التي هي الإله ، لذلك نجد رسم « رع » عبارة عن جسم إنسان برأس عقاب . وكان مسير الشمس من الشرق إلى الغرب ، ثم اختفاؤها في



الالهة نيت سيدة مدينة سايس

الأفق دليل على أنها تسير في عالم تحت الأرض في مركب تقوده الآلهة توت ، ومعت ، وحورس ، ثم تقطع الظلام الذي تمثله الحية « أييب » ، أو الوحش الذي كان يتلعب الشمس . وقد ابتدأت عبادة « رع » في أون المعروفة بهليوبوليس .

٢- الإلهة « رات » ، هي رفيقة رع ، وزوجته .

٣- الإلهة « نيت » (سيدة مدينة سايس) وهي أم الإله « رع » ، وهي التي ولدت حينما لم يكن بشر على الأرض .

٤ - الإله «أوزوريس» . وظهر أوزوريس ودامت رحي التنازع بين كهنة رع، وكهنة أوزوريس، سنين طويلة، انتصرت بعدها أوزوريس انتصاراً عظيماً، وكان الاعتقاد الأول أن رع هو الإله الأول، وأوزوريس ابنه، وقد دفن أوزوريس في إيسدوس، المعروفة اليوم بالعرابة المدفونة .

٥ - الإلهة «إيزيس» ، زوجة أوزوريس وأخته ، وحكايتها مشهورة وقد مر ذكرها .

٦ - الإلهة «موت» ، وكانت زوجة جب ، وأم أوزوريس ، وإيزيس ، ونفتيس ، وسات ، وهي التي كانت تلد الشمس كل صباح ، وهيكل عبادتها في دندره .

٧ - الإله «أتون» ، الإله الواحد الذي يرمز له بقرص الشمس ، واهب الحياة والحرارة للعالم ، وقد أخذه كهنة هليوبوليس عن سواهم من الإطالسة وبعدهم من الفينيقيين ، وعبدته مصر أيام أخناتون كباله واحد .

٨ - الإله «أتوم» : أما أتوم فكان الإله الأول القديم لهليوبوليس وقد اتحد مع رع ، فكان «الجعل» ، في الصباح ، و«رع» ، في منتصف النهار ، و«أتوم» ، في المساء قبل الغروب . وكان المصريون يصورونه في شكل رجل عجوز ، قدمه في القبر .

٩ - الإله «الجعل» : وكان الجعل إلهاً لأنه كان يدفن بيضه في الرمل . ثم يفقس البيض بفعل حرارة الشمس ، فاعتقدوا أنه

يتوالد من نفسه ويستطيع خلق الشيء ، وإيجاده ، لأنه خلق نفسه وأوجدها . وقد كان الجعل عند قدماء المصريين ، إشارة إلى القيامة ، لأنه كان ينهض ويقوم من الرمال .

١٠ - الإله « آمون » : هو الإله الذي لا يراه أحد .



الإله آمون - رع

كان يتمثله المصريون رجلاً بلحية طويلة وعلى رأسه ريشتان . وكانت طيبة عاصمة عبادة الإله آمون حيث يتحد مع الإله رع . وكان « آمون » ، الإله الأعظم ، لأن ملوك طيبة وكهنتها ، كان لهم النفوذ الأعظم في أرض مصر وهم الذين فتحوا سوريا ، وفلسطين ، وسلبوا كنوزها وأموالها ، وذهبها ، وسكبوه في هياكل آمون .



الالهة مت
زوجة الإله آمون

١١ - الإلهة « مت » : كانت مت زوجة

الإله آمون ، ومعبودة مثله ، وكان المصريون يدعونها سيدة السماء . بنى لها أمنتب الثالث معبداً فخماً في طيبة بجانب معبد آمون وقد ورد ذكرها في كتاب الموتى .

١٢ - الإله « فتاح » ، هو إله ممفيس العظيم ،

وقد تجسدت فيه الشمس المشرقة ، وهو الذي يفتح النهار كل صباح بشروق الشمس . وقد وجد

اسمه محفوراً على أحجار الأهرام ، وورد ذكره في كتاب
الموتى كمهندس بنى كل ما فى الوجود .

١٣ - الإلهة « سخمت » . هى رفيقة الإله فتاح وزوجته .
١٤ - الإله « بست » ، هو الذى تقمص فى القطط . لذلك
كانت القطط مقدسة ومعبودة ، وهو يمثل بجسم امرأة ،
ورأس رجل .

١٥ - الإلهة « هاتور » . هى حامية النساء ، وإلهة الحب ،
والسعادة ، وسيدة السماء ، وكان الاعتقاد أنها تتقمص فى البقرة
فجعلوا البقرة رمزاً لها ، وهى أم الإله رع ، وزوجته ،
وابنته . وكانت إلهة القمر كما كان رع إله الشمس . فإذا
ظهر القمر قبل الشمس ، كانت هاتور أمه . وإذا ظهر
القمر مع الشمس كانت هاتور زوجته ، وإذا ظهر القمر بعد
الشمس ، كانت هاتور ابنته .

ولا يزال هيكلها قائماً فى « دندره » بالقرب من أسوان .
١٦ - الإله « هابى » ، إله النيل . وقد كان له خصائص
الرجال والنساء ، وذلك دليل على القوة ، والنمو ، والتوليد ،
أو الخصب الذى يقدمه النيل لمصر .

١٧ - الإله « خنسو » . إله القمر ، وقد عبده اليونانيون تحت
اسم « هرقل » ، وهو ابن أمون ومث .

١٨ - الإله « إينويس » . إله الموتى ، وحارس القبور ، وهو

ابن أوزوريس من أخته نفتيس ، وله جسد إنسان ، ورأس
ابن آوى ، إشارة إلى أن هذا الحيوان
يطوف ليلاً حول المقابر . وكان يقود
الموتى إلى أحضان أوزوريس ، وإلى
العالم الآخر . وهو كالكلب الذى يقود
التائه فى الصحراء . ويعتبر إينويس إله
التحنيط عند المصريين .



إينويس إله المقابر

١٩ - الإله « سات » إله الشر . وهو ابن

حاب ومُت ، وأخ أوزوريس وإيزيس .

٢٠ - الإلهة « نفتيس » . زوجة سات وأخته وأخت إيزيس

وأوزوريس ، وقد ورد ذكرها فى كتاب الموتى .

٢١ - الإله « توت » . إله السماء ، حامل سجلّ الأموات ، ومقيّد

أعمال الروح ، ومخترع علم الفلك والنجوم ، وهو الذى
اخترع حروف الهجاء ، وعلم الناس الدين والتاريخ
والكتابة .



الإلهة ممت إلهة العدل

٢٢ - الإلهة « ممت » . وهى زوجة توت ،

وإلهة العدل ، والنظام ، والحقيقة ، والقانون ،

وكان هيكلا فى مدينة « سوط » المعروفة
الآن بأسوط .

كتاب الموتى

هذا هو السفر الجليل ، والكتاب المقدس ، الذى قامت عليه دعائم الحياة المصرية ، فى هذا العالم وفى العالم الآخر .

ما كان ليُدفن المصرى فى لحده إلا إذا وضع بجانبه أو نقش على قبره ، آيات ، وتعاويذ ، وأدعية ، من كتاب الموتى .

ويستطيع الانسان أن يدرك من قراءة كتاب الموتى أن المصريين كانوا يعتقدون بخلود النفس ، والحياة الأبدية ، فى العالم الثانى : وإن كان هذا الاعتقاد غير واضح وغير صريح . ولا ينسى القارئ أننا نتحدث عن الانسان ، قبل خمسة آلاف سنة ، لا بل عشرة آلاف سنة .

لم تكن السماء عندهم واضحة ، كما هى عند اليهود ، والمسيحيين ، والمسلمين .

فقد كان يتخيلها المصرى ، قرية فوق مرتفعات الجبال ، حيث يستطيع أن يصل إليها بسلم ، أو هى تحت الأرض ، حيث ينتقل إليها فى سفينة .

وكانت جهنم فى نظرهم حيواناً يدعى «ببى» ، يفترس الموتى إذا ثبتت إدانتهم ، وحكم عليهم بالفناء .

ويصف لك كتاب الموتى : الجنة ، والسماء ، والجحيم ، والمطهر ، ومحاكمة الأموات ، وكل ما سيلاقيه الإنسان فى العالم الآخر الذى ينتقل إليه بعد وفاته .

ويعلمك كتاب الموتى : كيف تعيش ، وتدافع عن نفسك ،
في العالم الآخر ، وكيف تتقمص إلى حيوان يتحول إلى إله ،
وتتخذ لجسدك أى شكل من أشكال الحيوان ، أو الطيور .
إن كتاب الموتى هو مجموعة التعاليم الدينية ، والتأمل ،
والتعاويد ، والعلوم ، والمعارف ، وكل ما يحتاج إليه الميت في
العالم الآخر .

هو دائرة معارف ما بعد الموت .
هو كتاب الإنسان ، من يوم ولادته إلى يوم مماته .
هو القوانين ، والشرائع الإلهية .
هو أقدم كتاب في الدنيا .
هو محكمة الأموات ، بقضاتها ، ومحاميها ، وآلهتها .
هو شريعة الأحياء ، وقانون الأموات .
هو الجنة والخلود ، أو النار والفناء .
إن التعاليم في كتاب الموتى ، تحفظ الجسد سالماً ،
وتمنع عنه الفناء والبلاء ، وتساعد على السكنى والوجود مع
الآلهة في النعيم .

وكان الشائع عند المصريين أن «أوزوريس» هو إله
الأموات ، وبشفاعته ووساطته يبقى الجسد حياً فيخرج منه
جسداً نورياً تسكنه الروح إلى الأبد .

ومن هنا جاءت تعاليم كتاب الموتى ، في كيفية حفظ الجسد
حياً سليماً بلا عطب ولا فناء ، فقادهم ذلك إلى تخنيط أجسادهم .
وإننا لنعود بتاريخ كتاب الموتى ، إلى الملك المصرى الأول

« مينا » ، فقد قال الدكتور « بودج » ، أحد المؤرخين : إن تاريخ
المدنية المصرية يبدأ بتاريخ وجود كتاب الموتى .

وإنك لتجد شيئاً من هذا في ورقة البردى التي كتبها الحكيم
المصري القديم الفيلسوف « اني » (Ani) .

ووجد على قبر الملكة « خنام نفرت » ، زوجة « مانتى هتب » ،
أحد ملوك الدولة الحادية عشرة ، رموزاً هيروغليفية تفيد أن
أحد فصول كتاب الموتى اكتشف في عهد « هيسب تي » ، الملك
الخامس من الدولة الأولى ، وذلك سنة ٤٢٦٦ قبل الميلاد .

فإذا كان فصل من كتاب الموتى اكتشف سنة ٤٢٦٦
قبل الميلاد ، فكم يكون عمر هذا الكتاب ؟ ومتى كتب ؟ .

وقد وجد « مسبيرو » ، فصولاً من هذا الكتاب على أهرام
الملك « أوناس Onas » ، المبنى سنة ٣٣٣٣ قبل الميلاد ، كما وجد في
أهرام « تيتا » ، بسقارة فصلاً كاملاً من هذا الكتاب ، ويعود تاريخ
هذه الأهرام إلى سنة ٣٣٥٠ قبل الميلاد .

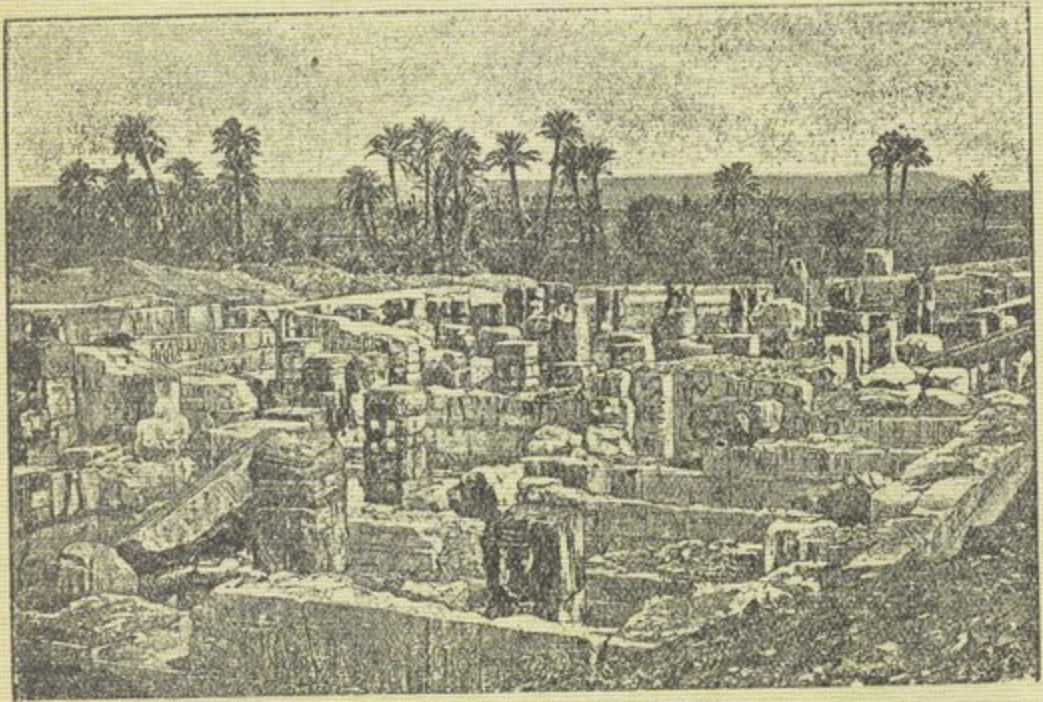
ويرى المؤرخون أن كتاب الموتى كان معروفاً عند ملوك
الدولة الأولى أي منذ ٤٥٥٠ سنة قبل الميلاد ، وظل معمولاً به
وبقوانينه وشرائعه إلى القرن الثاني بعد ظهور الديانة المسيحية .
وقد قادتني البراهين التاريخية إلى الجزم بأن كتاب الموتى
كتبه كهنة هليوبوليس ، قبل ظهور مينا والدولة الأولى .

ويقول كتاب الموتى أنه كان على الميت أن يقطع سبعة
جبال ، وعلى كل جبل إله يحرس ذلك الجبل ، وبعد ذلك
يصل إلى جنات النعيم .

والاعتقاد عند المسيحيين ، أن أمام الميت سبع سماوات .
وينص كتاب الموتى على أن أوزوريس هو القاضى الأعظم
لمحاكمة الأموات .

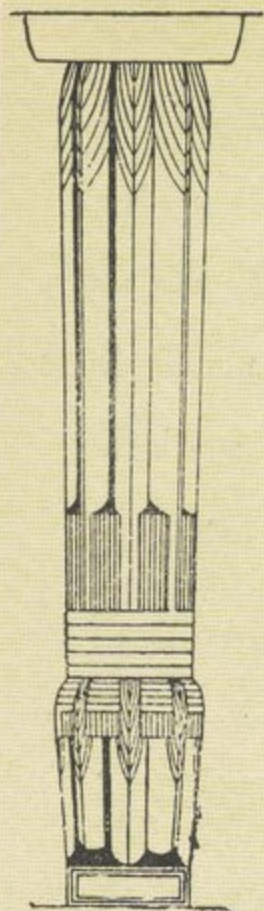
ويشرح كتاب الموتى ، رحلة الشمس بعد غيابها تحت الأرض ،
وكيف تسافر فى مركبها قاطعة العالم الأرضى ، لأن الشمس
فى نظر القدماء لم تكن سوى جسم حى ومصدر كل حياة .
هكذا ورد فى كتاب الموتى .

وإذا بحثت فى حقيقة بدء نظر المصريين إلى العالم والدين ، تجد
أن ثلاث مصر الأول كان الشمس ، والأرض ، والنيل .
أو الأم ، والاب ، والإبن .
ثم جعلوا إلهاً لكل من هؤلاء يمثلونه به .



هيكل أوزوريس فى معبد أبيدوس

المنقش والحفر في اعمدة الهياكل



عامود يمثل زهرة اللوتس
اشارة لدائرة العقل



عامود بشكل الالهة
ها تور

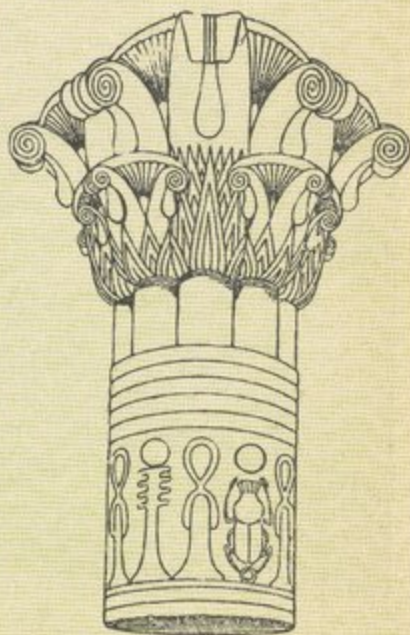
وأبدع المصريون
في صنع الهياكل
 وإقامة المعابد .

ولم تكن تلك
الهياكل سوى مدارس
سريّة لتعليم الدين
لأبناء الكهنة وأبناء
الملوك ليصبحوا ملوكاً
وكهنة .

وكانوا يدرسون
أسرارهم وأسرار
علومهم وديانتهم
واكتشافاتهم ومعارفهم
في أعماق تلك الهياكل ،
فلما اندثرت تلك الهياكل ،
اندثرت معها كل علوم
قدماء المصريين . إذ
من يدرى أنهم لم يكونوا
على إلمام بالكهرباء ،
ومخاطبة الأرواح
إلى كل ما هنالك .



الالهة ها تور وامنوفيس الثنائ



عامود بمعبد فيلي

(كا) و (با)

الروح و النفس

كان الميت في عهود قدماء المصريين عبداً للأحياء ، فإذا تأخر أهله عن تقديم القرابين ، والمأكولات لروحه ، تعذبت تلك الروح وماتت جوعاً .

وكان اسم الروح «كا» ، بلغة المصريين .

و«كا» هذه ما يدعونه بالعربية قرينة ، أى الجسد الثانى للإنسان وهى الروح التى تأتى لهذا العالم مع روحه ، وبكلمة أخرى هى النسخة الثانية من روحه وجسده .

إن «كا» كانت الروح .

أما «با» فكانت النفس .

وكانت «با» بعد موت الجسد ، تأخذ شكل طائر وتطير فى طبقات الجو . وإذا شئت ترجمة اللفظين إلى الانجليزية تقول إن «كا» هى « Spirit » ، و«با» هى « Soul » .

ولكى تعيش هذه الروح بعد موت الإنسان ، ولا يتطرق إليها الفناء ، كانوا يضعون المأكول والمشرب فى قبره لىكى تتغذى ولا تموت لأنها كانت أمينة مخصصة للجسد ، تبقى معه وتجلس بجانبه .

وكانت الروح تخلق مع الجسد ، وتحل فيه ، وتأخذ شكله ، وتحفظ شخصيته ، وهى التى تنهض مع الجسد فى يوم البعث .

الجسد يموت ، أما الروح فتحييا إلى الأبد .
لهذا أراد المصريون تخليد الجسد بتحنيطه ، حتى تجده
الروح وتخلد فيه .

وهذا المبدأ دان به كثير من الأمم والشعوب ، بل إن
المسيحية نفسها اعتنقته ونادت به .

إن المصريين أول من قالوا: إن روح الإنسان خالدة ،
وإنها تنتقل بعد الموت إلى كائن آخر - وهذا هو التقمص
أو التناسخ (١) .

وقد اعتقد المصريون ، أن الروح تدور متقمصة من شخص
إلى شخص ، إلى أن تكمل دورتها ، وهي ثلاثة آلاف سنة تعود بعدها
إلى جسم الإنسان نفسه ، وقد ذكر المؤرخون هذه الاعتقادات ،
ولكني لم أجد لها أثراً في النصوص الدينية ، ولا في كتاب الموتى .
ولا يزال الكثيرون في الهند ومختلف البلاد الشرقية
يعتقدون بالجسد الثاني .

وقد سرت هذه الفكرة إلى أوروبا وأمريكا ، ولها أتباع
كثيرون في مختلف بلاد العالم .



(١) التقمص من قيس ، والتناسخ من نسخ متعددة .

مرافعة الميت أمام القضاء الإلهي

لم أرَ أجمل ، وأفضل ، وأعدل ، من محاكمة الميت عند
قدماء المصريين .

إن ديانتهم ، هي الوحيدة التي أعطت الميت ، حقّ الدفاع
عن نفسه .



محاكمة الروح — الروح تقدم الجسد الى الاله أوزوريس

أنظر إلى مجلس القضاء المصري المؤلف من اثنين وأربعين قاضياً .
لقد جلس القضاة لمحاكمة الميت ، وارتفع ميزان العدل في
ساحة المحكمة ، ففي السكفة اليمنى قلب الميت رمزاً لأعماله ، وفي
السكفة اليسرى ، عيار الحق لوزن قلب الميت
أن « أوزوريس » هو رئيس القضاة — أنظر إليه جالساً على
منصة الحكم وبجانبه الإله « تحوت » يسجل حكم المحكمة ، ويقف

« أونوبيس ، ليراقب كفتي الميزان .
 أنظر إلى الروح تتقدم الجسد أمام القضاة !
 اسمع دفاعها وهي تقول :
 لم ارتكب منكراً ، ولم أخن أحداً .
 لم أشهد زوراً ، ولا لظّخت اسم أبي بالعار .
 لم يأكل الحسد قلبي ، ولم أطلب مال غيري .
 لم أقتل ، لم أزن ، لم أسرق .
 لم أشته امرأة قربي ، ولا امرأة جاري .
 لم أحرز مالاً حراماً ، ولم أبيع القمح بثمر غال .
 لم أخالف نظام الرى ، ولم أتلف مزروعات أحد .
 لم أظلم اليتيم ، والأرملة ، والأعمى ، والأعرج ، والشيخ
 المتقدم في السن .
 لقد أطعمت الفقير ، وسقيت العطشان .
 إلى آخر ما هنالك ، من أمثال الوصايا العشرة المعروفة في
 توراة العهد القديم .
 ثم تجلس آلهة الحق والعدل في كفة الميزان اليمنى ، ويوضع
 قلب الميت في الكفة اليسرى ، فإن وجد قلبه ناقصاً ، افترسه
 الوحش الواقف بانتظاره .
 وكان المطهر معداً بجانب المحكمة ، لتطهير النفوس التي ارتكبت
 هفوات صغيرة .

الشعب المصرى

لقد كان المصريون منقسمين إلى مراتب ثلاث :
الكهنة - والجيش - والشعب .

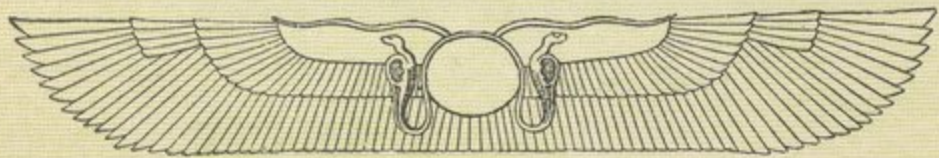
أما الكهنة ، فكانوا الفريق المقدَّس المعصوم عن الخطأ ،
ومنهم الملوك ، والأنبياء ، والكتَّاب ، وحافظى الثياب المقدَّسة ،
والمحنطين ورجال الدين .

وكانوا يعفون من دفع الضرائب ، ولهم أوقافٌ بلغت
أحياناً ثلث أطيان القطر المصرى .

وقد كان الكهنة يهتمون اهتماماً عظيماً بأجسامهم ،
فيغتسلون مرتين فى النهار ، ومرتين فى الليل ، ويحلقون شعر
أجسامهم مرة كل ثلاثة أيام .

أما ثيابهم الداخلية فمن الكتَّان الناصع البياض .
وكان طعامهم بسيطاً جداً اعتقاداً بأن أجسامهم يجب أن
تبقى خفيفة لكيلا تكون ثقيلة على أزواجهم .

وقد كان للجيش بعض الامتيازات كالكهنة ، فلكل جندى
ثمانية أفدنة يستغلها فى السلم ، وهو معفى من جميع ضرائب الحكومة .
أما الشعب فكان يؤلف طبقة العمال ، والصناع ، والفلاحين .



قصة أوزوريس، ومراثي إيزيس



صعد «رع»
المعبود العظيم
إلى السماء،
لكنه ترك
«أوزوريس»
على الأرض.
لقد هرب
«رع» من
البشر، بعد
أن ستم
الاختلاط
بهم، وبعد
أن عاش
أجيالاً طويلة
لم يعرف
الموت.
لقد ترك
العالم والبشر
يسبحون

إيزيس أخت أوزوريس وزوجته

في بحر من الجهل، والظلام.

نجاه «أوزوريس» ونشر بينهم الدين، والعلم، والنور، والمعرفة،
وتزوج أخته «إيزيس»، فكانت مثال الزوجة، الآمنة، الوفية
الفاضلة، الحكيمة.

خدم «أوزوريس» البشر، فأحبوه وعبدوه، ودعوه الإله
الصالح العظيم، أما اسمه فعناه عرش وعين.
كان «أوزوريس» إله الموتى
والعالم.



وقد عبده المصريون، منذ
الدولة الأولى في عهد الفرعون
الأول مينا. ووجد اسمه منقوشاً على
لوح خشبي منذ أيام «هيسبتين»،
فرعون، خامس ملوك الدولة الأولى.
ولولد «أوزوريس» أسطورة هي
أنه حين جاء إلى العالم مولوداً من
أمه «توت»، سُمع صوت من السماء
يقول: «لقد وُلد ملك الأرض
وكل ما فيها».

الالهة نفتيس شقيقة إيزيس
وهي تبكي أخاها أوزوريس

وحين ولد السيد المسيح، سُمع

صوت من السماء يقول: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت».
ودبّ الحسد في قلب أخيه «سات»، المعروف عند الإغريق
باسم «تيفون»، إله الشر، فتآمر مع ملكة أوتوبيا واثنين وسبعين

رجلاً من أصدقائه على قتل أخيه أوزوريس .
(وربما أن قصة قاييل وأخيه هاييل مأخوذة عن أسطورة
أوزوريس وأخيه سات) .

فدعاه إلى وليمة عظيمة وأعدّ صندوقاً جميلاً بحجم أوزوريس .
واحتال مع رجاله على أوزوريس ، فأدخلوه في الصندوق ،
ثم أقفلوه ، وسمّروه ، ورموه في النيل . وحملته المياه إلى البحر ،
ورمته الأمواج على شواطئ مدينة جبيل في جبل لبنان ،
بالقرب من شجرة ايثل^(١) .

ونمت الشجرة حول الصندوق ، فأصبح في جوفها ، وأصبحت
الشجرة عظيمة جداً ، فقطعها ملك جبيل المسمى « بيروس » ، وجعلها
عاموداً في قصره .

وعلمت « إيزيس » بما حصل لزوجها ، فناحت عليه ، وقصّت
شعرها حزناً ، ورثته بأجمل المراثي ، ثم أخذت تبحث عن الصندوق .
فعلمت من الأرواح أنه في مدينة جبيل ، المعروفة قديماً بإسم
« بيلوس » ، وهي بالقرب من بيروت في جبل لبنان . فسافرت
إليها وجلست بجانب نبع الماء المتدفّق بقرب المدينة .
وجاءت وصيفات الملكة إلى الماء ، فتعرّفت عليهن إيزيس ،
ومسحتهن بالطيب والعطور .

ولما عدن إلى القصر ، أخبرن الملكة عشقوت ، فأرسلت

(١) وباللغة المصرية القديمة « اسر » وبالأفريقية Tamariski ولا تزال الشجرة
تنمو بكثرة في مصر ولبنان .

وراء « إيزيس » وأخذتها مرضعة لابنها الصغير .
وباحت « إيزيس » بسرّها لملك وملكة جييل ، فأعطياها العامود
المقطوع من الشجرة العظيمة ، فحملته ، وعادت به إلى مصر .
وفتحته فوجدت في داخله جثة « أوزوريس » ، فباحت عليه ،
وبكته بكاء شديداً ، وعرف « سات » ، برجوع الصندوق ، فسرقه .
ثم قطع أوزوريس أربع عشرة قطعة ، ورمى كل قطعة في
مكان ما في جميع أقطار الكون ، لكل لا تستطيع إيزيس إيجادها .
وعادت « إيزيس » ، تفشّ عن هذه القطع إلى أن وجدتّها فجمعتها
كلها معاً وأعادت الحياة إلى أوزوريس .
ولما كبر « حورس بن إيزيس » ، انتقم لآبيه « أوزوريس » من عمه
« سات » ، فقتله .

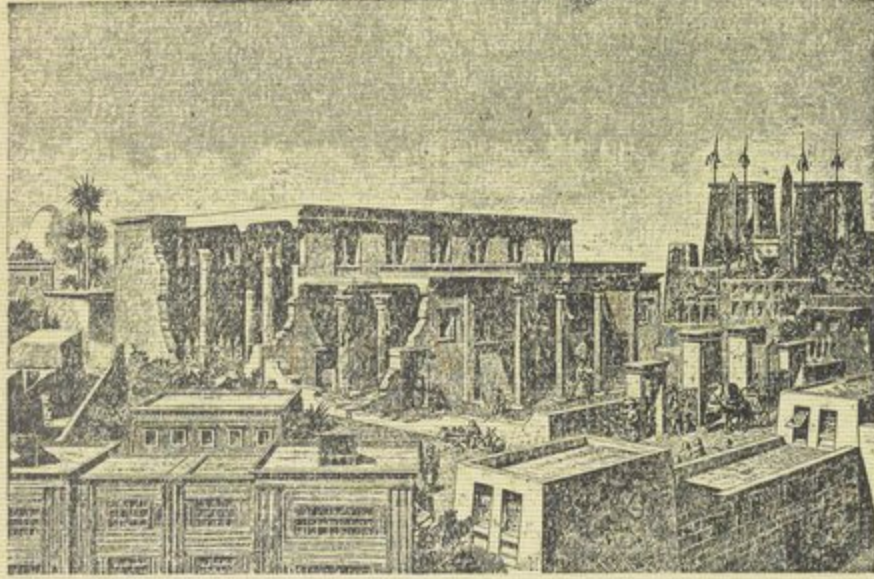
وإنك لتسمع اليوم في عويل المصريين وبكائهم ونواحهم على
الموتى ، في القرى والعزب ، ذات النغمة الحزينة التي استعملتها
إيزيس منذ ألوف السنين في بكائها على زوجها أوزوريس .
اسمع نواح إيزيس على أخيها أوزوريس :
« أنت الذى رحلت عنا — سترجع إلينا مرّة ثانية » .
« أنت الذى نمت ، ستستيقظ . أنت الذى مت ، ستحيا » .
« قف فجسمك لا يفنى الآن ، وستبقى إلى الأبد » .
« قم وحلّ هذه اللفائف ، إنها ليست لفائف تضمّ جسمك ، بل هي
خصلة من شعر أختك التي تبكيك » .
« تبكيك السماء ، وتتصدّع الأرض أسى لفراقك » .
« يتلبّد الجوّ بالغيوم ، وتمطر النجوم حزناً » .

« ويقف الحراس خاشعين عندما تمرّ روحك ، .
 « أنت نجم ساطع ، لا يفنى ، بل يعيش إلى الأبد ، .
 هذه النعمة ، يستعملها المصريون اليوم في نواحيهم في
 الجنائز ، ولا يزال أقباط اليوم ، يستعملون الموسيقى في
 الجنائز ، كما كانت الحالة عند قدماء المصريين .



« أوزوريس » في معبد أوزوريس في أييدوس

العائلة



منزل أحد سعاة المصريين في الدولة الثامنة عشرة

كان للعائلة مركز عظيم في الحياة المصرية .
وقد لا تجد رسماً منقوشاً في معابد وهياكل مصر ، إلا وتجد
للرأة مكانها بقرب الرجل .
والمصري بجميع شعوب العالم القديم . كان يتخذ لنفسه إماء
وعبيداً ، لكنه كان يحافظ على زوجة ، شرعية ، واحدة .
وكانت الأم المصرية ترضع طفلها ثلاث سنوات متوالية .
وكان الأولاد إناثاً أو ذكوراً ، لا يلبسون شيئاً على
أجسامهم قبل البلوغ ، حتى إلى ما بعده .
وقد كان الأولاد ينسبون إلى أمهم ، وأحياناً إلى أبيهم .
ثم جرت العادة المتبعة ، بانتساب الأبناء إلى الآباء .

وقد جاء في كتاب الحكمة على ورق البردى ما يأتي :

« ما أسعد الرجل ، الذى يبنى بيته ، ويحب زوجته ! » .

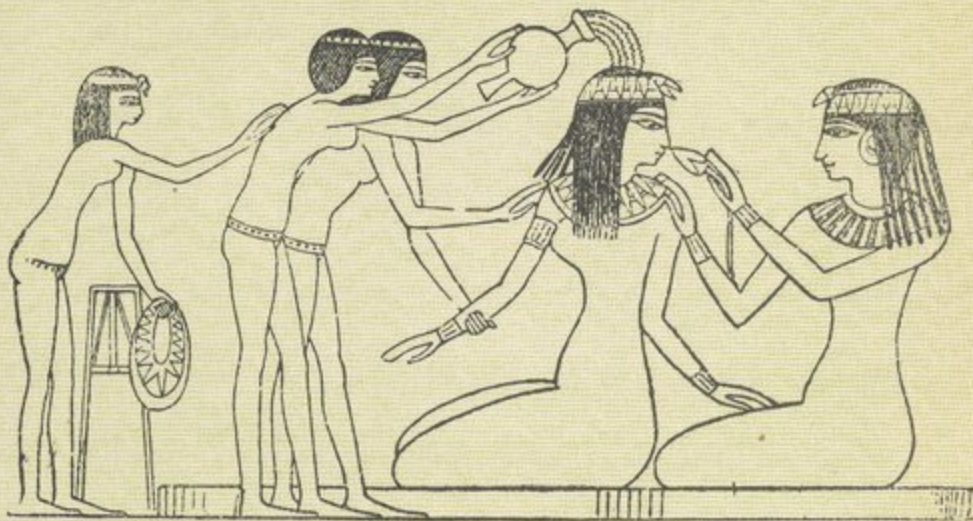
« ما أسعد الرجل ، الذى يموت فى البلدة التى ولد فيها ! » .

وكان المصرى قديماً ولوعاً بالطبيعة ، والمعيشة الخلوية ، فكانت منازل السراة تحيط بها الحدائق الحاوية لأشجار التين والنخيل والجميز والعنب ، مع برك ماء ملأى بالأسماك .

وكانت بيوت المصريين واسعة ، صحبة ، جميلة ، أفضل كثيراً من بيوت الفلاح المصرى ، فى العصر الحاضر .

وكانت الكراسى من النوع الجيد ، المريح للجلوس .

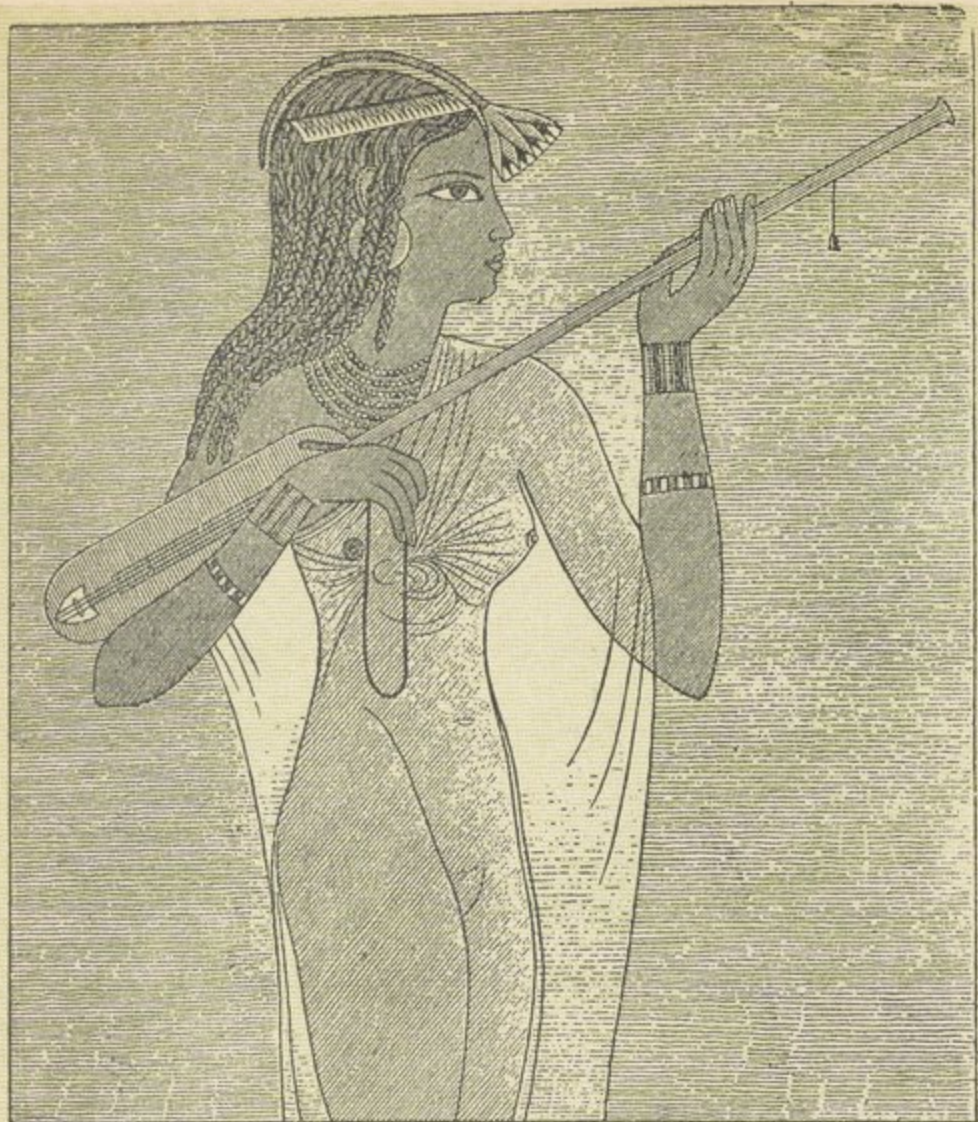
وفى كثير من الحالات كانت أشبه بما نستعمله فى هذه الأيام ، كما ترى فى الرسوم التى وجدت فى المدافن والمعابد .



التجميل وتصفيف الشعر ومسحه بالمطور والزيت

وكان للتجميل شأنه أيضاً ، وكذلك الغناء ، والموسيقى .

أما الملابس والحلى فتشابه كثيراً ما نراه على أجسام السيدات فى هذه الأيام .



فتاة راقصة تضرب على آلة كالسكنجة
 وكان للرقص أهميته ، عند الفراعنة ، والشعب ، كما تجد في
 الرسوم السكثيرة على أعمدة الهياكل ، لكنه كان غناء ورقصاً
 دينياً لا دخل للحب ، والعاطفة فيه .



حفلة كوكتيل ويظهر فيها المدعوون والراقصات كما هو مقنوش في مدافن قدماء المصريين

اليونان مستعمرة مصرية

قد يدهشك يا مصر إذا ذكرت لك أن المصريين هم الذين
أسَّسوا مملكة اليونان سنة ١٥٥٦ قبل المسيح .
وعلموا اليونان العلوم والحضارة ، وسنوا لها القوانين
والشرائع

فقد حدث في ذلك التاريخ ، أن هاجر رجل مصري اسمه
« سكروبس سيكروب » إلى اليونان ، وبمعيته قوم من إخوانه
المصريين .

فاستولوا على أراضى « أتিকা » وأنشأوا فيها أول مملكة يونانية
باسم مملكة أثينا ، وبني سكروبس هذه المدينة ، ثم تزوج بابنة حاكم
تلك البلاد ، بعد موت أبيها .

ثم وضع أسس الملك وسنَّ لليونانيين شرائع الزواج ، وقوانين
الاحتفالات ، ونظاماً للأخذ والعطاء ، وعلمهم زراعة الحنطة
والكروم والزيتون .

إن أثينا — مدينة العلم والفلسفة — أسَّسها قوم مصريون .

* * *

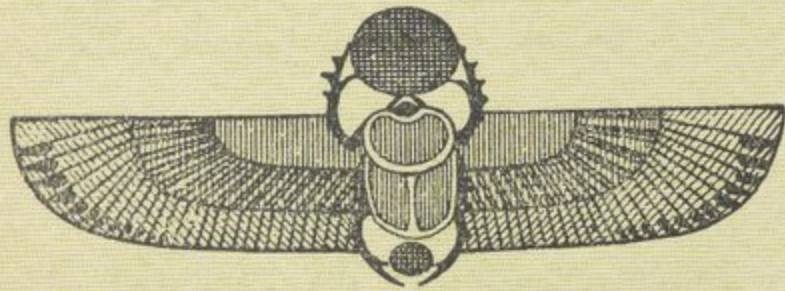
إن تاريخ مصر محاط بظلمة كثيفة ، والعالم مدين بكثير مما
نعرفه للبؤرخ المصرى القديم « ماتيوني » ، الذى عاش في أيام
البطالسة ، فرأى وسمع ، وبحث في حياته ، ونقل الكثير من

معلوماته، من أوراق البايروس، وبما وجدته على حجارة الهياكل وأعمدتها ومعابدها .

إننا نجد بين آثار مصر ما نعود به إلى خمسة آلاف سنة قبل المسيح، ويرجح أن أصل سكان مصر القدماء، هو من المنحدرين من سكان ليبيا الأصليين، وهؤلاء لا يمكن الرجوع إلى أصلهم لأنهم ضاعوا في مجاهل التاريخ .
أما أديان المصريين وعلومهم فقد جاءت من بلاد الأطلسة كما تقدم .

ويدور بحث العلماء والمؤرخين، في هذه الأيام، على بلاد الأطلسة التي ابتلعها البحر الأبيض - وهي القارة المعروفة بالآتلنتيد - ويؤكد فريق من الجغرافيين أن بعض الجزر الموجودة في البحر الأبيض المتوسط، هي رؤوس جبال هذه القارة المغمورة في مياه البحر .

ولمؤلف هذا الكتاب أبحاث قيمة عن قارة الآتلنتيد وتاريخ شعوبها، سيصدره على حدة قريباً .



الدول المصرية

هذا تاريخ مصر القديم، يمتدّ أمام أعيننا، إلى مسافة خمسة آلاف سنة، قبل المسيح.

لكن المؤرخ «ماتينون» يقول: إن ملوك مصر حكموا اثني عشر ألف سنة، قبل هذا التاريخ. وقد وجدوا قبوراً وهياكل في عين شمس لم يستطيعوا حصر تاريخها لأنها قبل التاريخ. لكنهم عرفوا أسماء ملوكها وهم: سيكا - تيسو - تو - نهاب - يوش تار - مكها.

فالتاريخ الذي نعرفه يتألف من واحد وثلاثين دولة. التاريخ القديم - وهو الدول العشرة الأولى. والتاريخ المتوسط - وهو الدول السبع التي تليها. والتاريخ الحديث - هو الدول الثلاث الباقية، أي من الدولة الثامنة عشرة، إلى العشرين.

وأما بقية الدول، من الدولة الحادية والعشرين، إلى الدولة الثلاثين فقد كانت في نظر المصريين، عبارة عن دول فاتحة، وأمم مغتصبة، وأجانب مستعمرين، وجاء بعدهم البطالسة خلفاء الاسكندر الكبير فأصبحوا كفراعنة المصريين.

وفرعون، كلمة مصرية، قديمة، معناها: نور الشمس. على أن بعض المؤرخين، يعودون باسم فرعون، إلى لفظة «برعو» أي البيت الكبير، أو البيت العالي، الذي حرّفه الناس بعد ذلك إلى كلمة فرعون.

الدول المصرية وتواريخها

بمقتضى المدرسة الألمانية	بمقتضى المدرسة الانكليزية	
٣٤٠٠ قبل الميلاد	٥٥١٠ قبل الميلاد	الدولة الأولى
—	» ٥٢٤٧	» الثانية
» ٢٩٨٠	» ٤٩٤٥	» الثالثة
» ٢٩٠٠	» ٤٧٣١	» الرابعة
» ٢٧٥٠	» ٤٤٥٤	» الخامسة
» ٢٦٢٥	» ٤٢٠٦	» السادسة
» ٢٤٧٥	» ٤٠٠٣	» السابعة
—	» ٣٩٣٣	» الثامنة
» ٢٤٤٥	» ٣٧٨٧	» التاسعة
—	» ٣٦٨٧	» العاشرة
» ٢١٦٠	» ٣٥٠٢	» الحادية عشرة
» ٢٠٠٠	» ٣٤٥٩	» الثانية عشرة
» ١٧٨٨	» ٣٢٤٦	» الثالثة عشرة
—	» ٢٧٩٣	» الرابعة عشرة
—	» ٢٥٣٣	» الخامسة عشرة
—	» ٢٢٤٩	» السادسة عشرة
—	» ١٧٣١	» السابعة عشرة
» ١٥٨٠	» ١٥٨٠	» الثامنة عشرة
» ١٣٥٠	» ١٣٢٢	» التاسعة عشرة
» ١٢٠٠	» ١٢٠٢	» العشرون
» ١٠٩٠	» ١١٠٢	» الحادية والعشرون
» ٩٤٥	» ٩٥٨	» الثانية والعشرون
» ٧٤٥	» ٧٥٥	» الثالثة والعشرون
» ٧١٨	» ٧٢١	» الرابعة والعشرون
» ٧١٢	» ٧١٥	» الخامسة والعشرون
» ٦٦٣	» ٦٦٤	» السادسة والعشرون
» ٥٢٥	» ٥٢٥	» السابعة والعشرون
—	» ٤٠٥	» الثامنة والعشرون
—	» ٣٩٩	» التاسعة والعشرون
—	» ٣٧٨	» الثلاثون

التاريخ القديم

الدولة الأولى : من ٥٥١٠ إلى ٥٢٤٧ قبل الميلاد .
هذه هي الدولة المصرية الأولى ، التي استطاع التاريخ أن يصل إليها .
أسسها فرعون مينا ، الذي بنى مدينة منفيس الكائنة
على رأس الدلتا ، وحول نهر النيل عن مجراه ، وقد كانت
مدينة تانيس عاصمة ملكه ، وهي بجوار مدينة جرجا ، حيث توجد
قبور الملوك الأولين .

وقد وجدوا في مصر حجراً نقش عليه أسماء تسعة
ملوك مصريين حكموا قبل قيام مينا والدولة الأولى . وهذا
الحجر موجود الآن في متحف مدينة « بالرمو » عاصمة جزيرة صقلية .
ويروى عن مينا أنه ابن ملك عظيم يدعى « بارمور » ، حكم
مصر العليا فقط .

وكانت عاصمة ملكه تانيس ، أو إبيدوس ، كما أسماها اليونان ،
وعرفت باسم طينة ، وتدعى اليوم العراة المدفونة .
وكان في مصر السفلى ، ملك آخر ، يحكم في نيس
(صا الحجر) بالقرب من الزقازيق .

واشتعلت نار الحرب بين هذين الملكين ، ودامت عشر
سنوات ، قتل فيها خلق عظيم من الدولتين ، واشتد السكره
والبغض والشحناء بين الأمتين ، لأن مصر حتى ذلك الحين لم

تكن دولة واحدة ، أو أمة متحدة .

وأراد مينا إنهاء تلك الحرب الضروس ، التي كادت تفتى أبناء مصر ، فذهب إلى والده الملك قائلاً - أتركني أحكم أسبوعاً واحداً وأتعهد لك بإنهاء هذه الحرب .

فأجابه والده إلى طلبه ، ونادى به ملكاً .

فأرسل مينا رسلاً إلى ملك صا الحجر يقول له :

لقد طالت الحرب عشر سنوات ولم تنته .

لقد نادى بي والدى ملكاً ، وأرغب الصلح معك .

إن لك ابنة واحدة ، وليس لأبي ولد سوى .

دعني أتزوج ابنتك فتكون ملكة معي ، ونجمع العرشين في عرش واحد ، وأبني عاصمة جديدة تقع في منتصف المسافة بين عاصمة ملكك ، وعاصمة ملك والدى .

وتزوج مينا ، وجمع مصر لأول مرة في عرش واحد ، وملكة واحدة ، وبني مدينة منفيس (من - نفر) وبني حولها سوراً أبيض ، ودعاها المدينة البيضاء ، أو المدينة الجميلة .

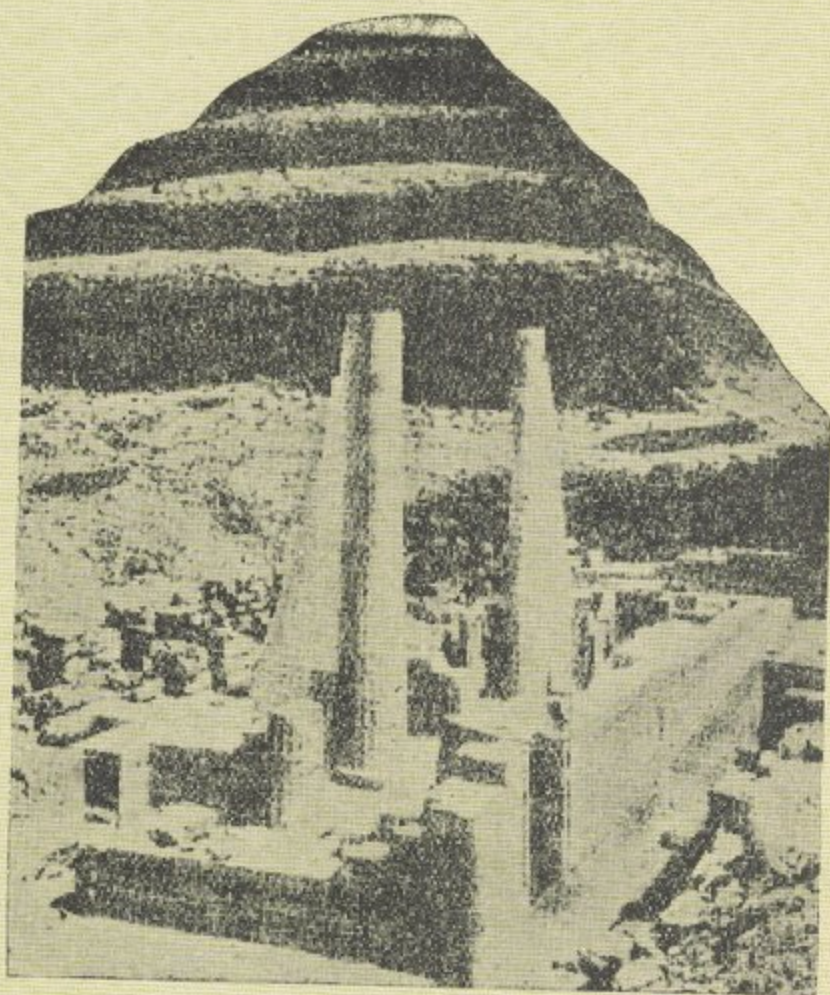
وبُنيت سقّارة لتكون مدفناً ، وقد اشتق اسمها من اسم الإله سقر ، إله القبور وقيامه الأموات . وبها السرايوم العجيب المدفونة فيه العجول المحنطة ويُعد من عجائب العجائب .

وذكر المؤرخون أن مينا كان أول ملك في الأرض ، وأول من عبد العجل في مصر .

وجاء بعده تيتا فرعون ، ، فألف كتاباً في علم الحيوان

والتشريح ، ثم حكم « سامتى » وهو الذى وجدوا فى قبره أوراقاً
للبردى عليها فصول من كتاب الموتى .
وقد ذكر مانيتون ، المؤرخ المصرى ، أن الملك « أتونيس »
مارس الطب ، ووضع مؤلفات فى التشريح ، لكن يد الدهر
لعبت بها ، فلم يبق لها من أثر .

الدولة الثانية : من ٥٢٤٧ إلى ٤٩٤٥ قبل الميلاد .
وفى الدولة الثانية ، حكم فرعون فينخوس ، وأقام العجل أيبس إلهاً



هرم زوسر المدرج فى سقارة

في منفيس . وكان يشترط في العجل أبيس أن يكون مولوداً من عجلة
نزل عليها البرق ، وأن يكون شعره أسود وعلى جبهته بقعة بيضاء ،
مثلثة الزوايا . والحقيقة أنهم لم يعبدوا العجل ، لأن العجل عندهم
كان رمزاً للإله أوزوريس ، لا بل أوزوريس نفسه كان رمزاً إلى
الإله الخالق العظيم ، غير المنظور .

وجاء بعده بناتر فرعون ، فحكم إحدى عشرة سنة ، وكثرت
الخيرات والبركات في مصر ، حتى أنهم كانوا يقولون إن
النيل يسكب عسلاً ، لا ماء في مصر .

الدولة الثالثة :

من ٤٩٤٥ إلى ٤٧٣١
قبل الميلاد .

وفي الدولة الثالثة ،

نجد الملك زوسر ، أول

ملوك الدولة الثالثة

يهاجر طيبة ، وينقل

ملكه إلى المدينة

البيضاء : منف .

اشتهر فرعون

زوسر ، مشيد الهرم

تمثال زوسر فرعون في سقارة

المدرج ، الذي بناه لكي يكون قبراً له وقد دفن فيه ، وكان له



وزيره المشهور « أمهوتب » ، (الآتى بسلام) الذى برع فى الطب ،
والدين والسحر ، وفن العمارة ، حتى أنه أصبح فيما بعد إله الطب
عند قدماء المصريين ، وهو أول من استعمل الحجر فى البناء ،
وأول من شيد العمارات الحجرية الضخمة . لأن والده كان
معمارياً ، ومهندساً بارعاً .

فهو الذى بنى الهرم المدرج فى سقارة ، وكان فيلسوفاً ومؤلفاً
وإليه ينسب النشيد الجنائزى الذى كان ينشد على القيثارة وهو :
« أترك الهموم ، واذكر الأفراح حتى يأتى اليوم الذى تسافر
فيه إلى أرض

الصمت » .

وجاء اليونانيون

فحولوا هذه

الجملة إلى قولهم

« دعنا نأكل

ونشرب ، لأننا

غداً سنموت » .

وجاء بعده

فرعون سنفرو

الذى بنى هرمى

دهشور وميدوم ،

وفى أيامه وصلت



الملك خوفو باني هرم الجيزة الأكبر

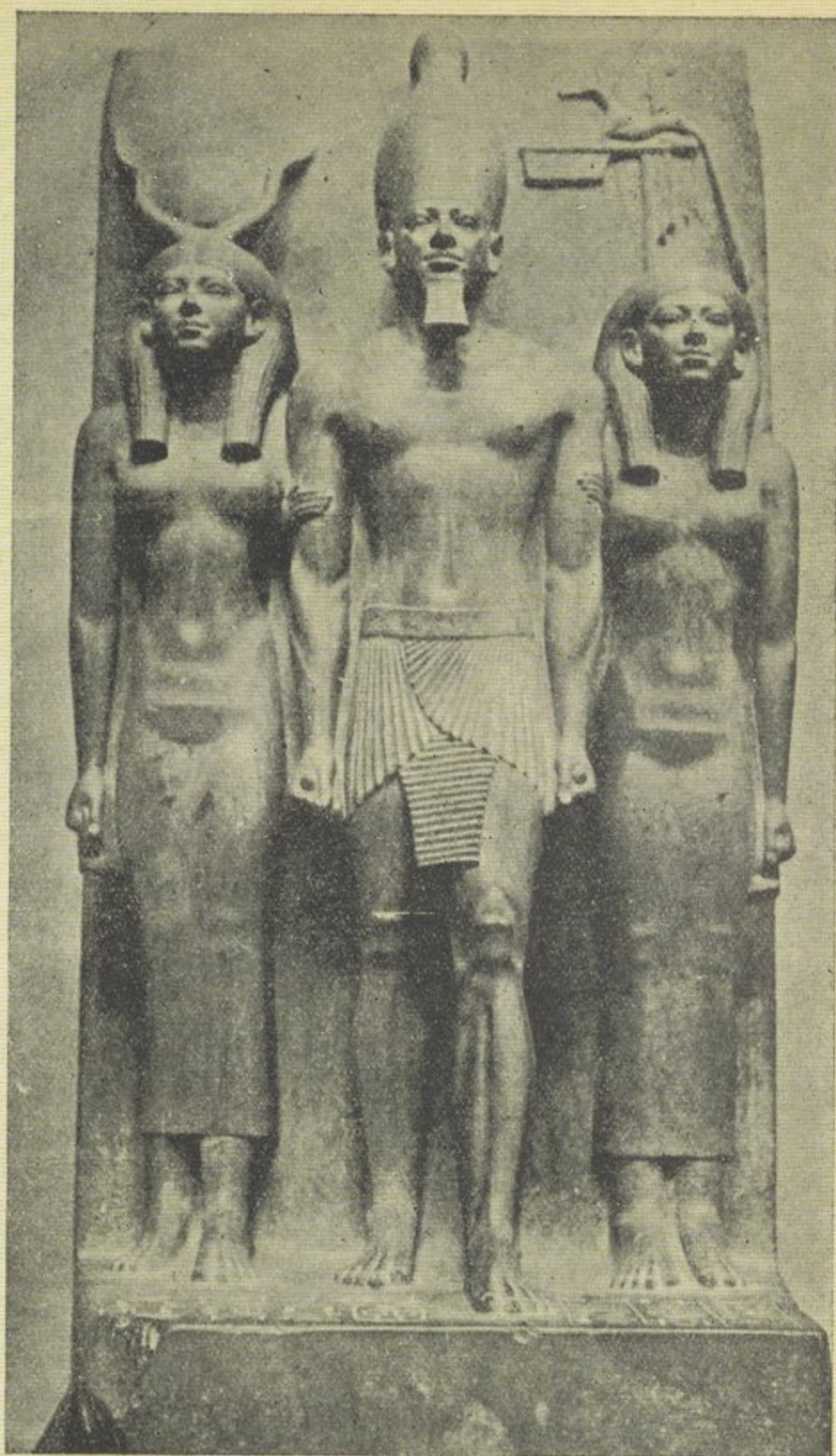
إلى مصر أربعون مراكباً مشحونة بخشب الأرز من لبنان .
وبوفاة سنفرو انتقل الملك إلى الدولة الرابعة .

الدولة الرابعة : من ٤٧٣١ إلى ٤٤٥٤ قبل الميلاد :
هؤلاء هم بناء الأهرام فراعنة الدولة الرابعة
أسس هذه الدولة فرعون خوفو ، ويقال أنه ابن الملك سنفرو
من زوجته « حتب حرس » .
ويقال أن خوفو كان أميراً توصل إلى خلع الملك سنفرو
والاستيلاء على عرشه :



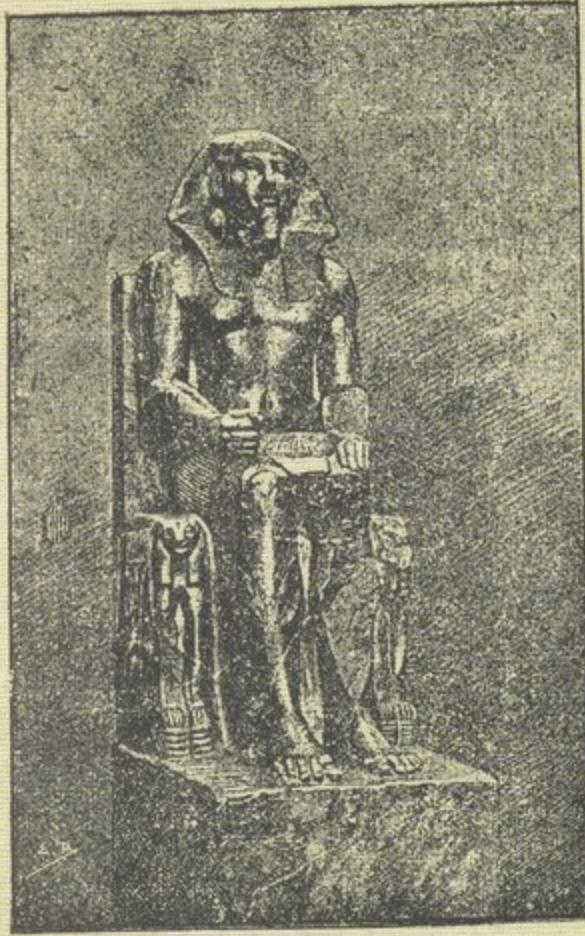
وقد وجدوا
قبره داخل الهرم
الكبير الذى
بناه لنفسه .
والذين بنوا
أهرام الجيزة
ثلاث فراعنة :
(١) خوفو
كيوبس ، وقد بنى
الهرم الأكبر .
(٢) وخفرع
(ومعناه ضو
الشمس) وقد بنى
الهرم الثانى .

الملك خفرع مشيد الهرم الثانى فى الجيزة



منقرع فرعون وهو باني الهرم الثالث في الجيزة وهو واقف بين إلهتين

(٣) ومنقرع وقد بنى الهرم الثالث .
 بنوها لتكون قبوراً لهم ، ولأولادهم من بعدهم .
 وقد كان الملك خوفو من أعظم ملوك الأرض .
 شاد الهرم الأكبر مدفناً كما هو شائع ، ومركزاً لأغراض
 فلكية كما يقول بعض العلماء .



وكان بناء الهرم في
 أيام الفيضان الذى
 كان يستمر ثلاثة أشهر
 تنقل الأحجار في
 خلالها من محاجر جبل
 المقطم (طره) مدفوعة
 على ماء الفيضان .
 وتبلغ أحجار الهرم
 الأكبر ٨٥ مليون
 قدم مكعب ، أو مليونين
 وثلاثمائة ألف حجر
 كبير .

منكربوس باني الهرم الثالث في الجيزة

وقد هدم عمرو بن
 العاص خمسة أمتار
 من بنيانه ، في سيدى

التفتيش عن ثروة الفراعنة .

ويبلغ ارتفاع كل حائط في الهرم الكبير ٥٦٨ قدماً ، وطوله
 ٧٤٦ قدماً ، وهو مبنى على ١٣ فدان ، ويوجد فيه نحو مليونين

وثلاثمائة حجر، يزن كل منها طنين ونصف طن . وقد بُنى منذ نحو
أربعة آلاف سنة قبل الميلاد .

ولا نعرف تماماً من بنى أبا الهول الكائن بالقرب من الأهرام ،
لسكن المؤرخون يتفقون على أنه بُنى للإله هرماخس ، كما تدلّ على
ذلك اللوحة التي كتبها تحتمس الرابع ، حينما أزال الرمال عنه ، بناءً
على ظهور الإله له في الحلم ، وهو نائم بجانبه على الرمال .

الدولة الخامسة : من ٤٤٥٤ إلى ٤٢٠٦ قبل الميلاد .

وجاءت الدولة الخامسة ، وأُتخذت منف عاصمةً للملكها ، وحكم
منها تسعة فراعنة ، أهمهم الملك أوسركاف ، ولما توفّي جاء مكانه
سحوراً وهو أول من شيد أسطولاً بحرياً لمصر .

ثم جاء الملك إيزيسى ، وبعده الملك أونيس فرعون ، ووزيره ميرا
الليزان بنيا أهرام أبي صير ، وشيّد بها الهيكل لعبادة الشمس ،
وبنيا أهرام سقارة ولها قبور فيها .

وقد كان الملك «آسى» آخر فراعنة الدولة الخامسة .

وكان وزيره «فتاح حتب» ، فيلسوفاً وله نصائح وأمثال تعادل
أفضل ما يكتب في هذه الأيام ، ومنها قوله : «إذا حزت الثروة بعد
الفاقة ، فلا تدخر الأموال بمنع الحقوق عن أهلها ، فإنك أنت أمين
على نعم الله ، والأمين يودى أمانته ، وأن جميع ما وصل إليك ،
سينتقل عنك إلى غيرك ، ولا يبقى لك منه إلا الذكر إن خيراً أو شراً ،
وفي عهد هذه الدولة افتتحت مصر السودان لأول مرة .

وبانتهاء الدولة الخامسة انتهت قائمة الملوك من نسل الملك مينا،
وقامت الدولة السادسة التي أسسها الملك تيتا .

الدولة السادسة : من ٤٢٠٦ إلى ٤٠٠٣ قبل الميلاد .
إن الملك تيتا ، مؤسس الدولة السادسة مجهول التاريخ ، لا نعلم عنه
شيئاً ، سوى أن اسمه وجد منقوشاً في رأس قائمة ملوك الدولة السادسة .
ومن أهم فراعنة الدولة السادسة الملكة فيتوريكيس ، الجميلة الجذابة
التي انتقمت لأخيها فرعون من قتلته ، فقد بنت قبراً رحيباً واسعاً
تحت الأرض ، ثم دعت كبار رجال المملكة الذين تأمروا عليه
وقتلوه ، إلى افتتاحه ، وأعدت لهم وليمة عظيمة ، ثم أطلقت عليهم أثناء
الطعام ، مياه النيل فأغرقتهم جميعاً .

ثم جاء بعدها بنبى فرعون ، وابنه مريـع (Marure) فرعون ، الذى
فتح ممراً في الشلال لعبور السفن التجارية ، وهو أول فرعون زار
الشلال ، وبحث في سيناء عن معدن الذهب ، وحارب النوبة
والعرب ، وقام بحملة عسكرية لإخضاع أهالى فلسطين الذين ثاروا
على مصر ، وتحصنوا في جبل السكرمل التى تقوم عليه مدينة حيفا .
وقد بنى ملوك الدولة السادسة معابد في دندره ، وتانيس ، وكانت
عاصمتهم جزيرة إسوان ، المعروفة عندهم بالفتتين — وإسوان كلمة
مصرية قديمة معناها البحيرة ، ويقول بعض المؤرخين أن إسوان
معناها الحجر أو الصخر ، وفى عهد أبالى فرعون تغير إسم الدار
البيضاء إلى ممفى ، ثم جاء اليونان فدعوها بمفيس .

الدولة السابعة : عام ٣٥٠٠ قبل الميلاد .

لم تلبث الدولة السابعة في الحكم سوى مدة قصيرة بسبب حالة البلاد والخراب الذي عمَّ مصر ، ويقول المؤرخ مانيتو أن بعض الأمراء المصريين أسسوا هذه الدولة ، ولم يعثر المنقبون على آثار تذكر لهذه الدولة أو لأحد من ملوكها . وأول ملك ارتقى عرش مصر من هؤلاء كان اختويس فرعون ، كما يقول مانيتو ، فبنى هو ومن جاء بعده أهرامات أبي صير .

الدولة الثامنة : من ٣٥٠٠ إلى ٣٣٥٠ قبل الميلاد .

ليس لنا معلومات عن هذه الدولة سوى أنه وجد في قائمة لوحة العرابة أسماء سبعة عشر فرعوناً حكموا مصر في هذه الدولة . وزاد البلاء في مصر على أيام الدولة الثامنة ، والمرجح أن الأجانب غزوا مصر على أيام هذه الدولة وحكموها .

الدولة التاسعة : من ٣٣٥٠ إلى ٣٢٠٠ قبل الميلاد .

وعلى أيام هذه الدولة قويت سلطة حكام الفيوم وهم من أصل ليبي ، فاغتصبوا عرش مصر من ملوك الدولة الثامنة ، وجعلوا عاصمتهم مدينة اهناس المعروفة باسم هيراكيوبوليس Herachoopolis وهي بلدة واقعة جنوبي الفيوم ومركز عبادة الإله حورس (Horus) .

الدولة العاشرة : من ٣٢٠٠ إلى ٣١٠٠ قبل الميلاد .
وهي الدولة التي بنت مدينة «سوت» المعروفة الآن بأسيوط .
وفي أيام هذه الدولة نشبت الحرب الأهلية بين ملوك الوجه
البحرى ، وملوك الوجه القبلى ، فانتصر فراعنة الوجه القبلى .
ولم نعثر على آثار لملوك هذه الدولة سوى ما وجد فى مقابر
أسيوط لأحد أمراتها حيث يقول :

« إذا جاء الليل مدحنى كل من نام فى الطريق ، لأنه أصبح
آمناً كالذى يقطن داره . ذلك لأن خوف الأشرار من جنودى
كان خير من يحميه فى وحدته » .

التاريخ المتوسط

الدولة الحادية عشرة : من ٣١٠٠ إلى ٣٠٥٠ قبل الميلاد .
لقد قامت الآن فى مصر دولة عظيمة ذات نفوذ كبير جعلت
عاصمتها مدينة أرمنت لمدة وجيزة .

إن سلسلة جبال وادى النيل تتسع وتتبعده فتترك بينها سهلاً
منبسطاً ، خصباً ، نشأت فى وسطه قرية صغيرة يقال لها « طيبة » ،
أصبحت فيما بعد أعظم مدينة أثرية فى العالم .

وكان أمير أرمنت يدعى « انتف » ، فشار على ملوك « اهناس » ،
وشق عليهم عصا الطاعة ، واغتصب الملك منهم ، وأسس الدولة
الحادية عشرة .

وشعر أن أرمنت لا تصلح عاصمة للملك ، وكره أن يعود

إلى ممفيس العاصمة القديمة، فنقل «أتف» عرش مصر من الشمال إلى الجنوب، أو من منف إلى طيبة، ومن هذا التاريخ ابتدأت طيبة أن تلعب دورها العظيم في تاريخ الدول المصرية.

وجاء «منتوحب» فرعون بعد أن انتف فرعون، وبني على صخور طيبة معبداً بديعاً.

ويعتبر هذا الملك المؤسس الأكبر لسيادة طيبة على مصر.

ثم غزا النوبة واستولى عليها.

واهتم ملوك هذه الدولة بعمارة مدينة طيبة، واتخذوها عاصمة

لهم، وجعلوا الإله «رع» سيد جميع الآلهة.

ويعود الفضل في اكتشاف قسم كبير من كتاب الموتى،

إلى الملكة خنم نفرت، زوجة ماتى هوتب، أحد ملوك الدولة

الحادية عشرة.

الدولة الثانية عشرة : من ٣٠٥٠ إلى ٢٨٤٠ قبل الميلاد.

لقد توسع ملوك هذه الدولة فحكموا النوبة حتى الشمال

وشيدوا أهرام دهشور، وبنوا قبور بني حسن والبرشة.

ومؤسس هذه الدولة هو امنمحت الأول.

وأهم ملوكها أوسرتسن فرعون، الذي أقام أمام هيكل الشمس

مسلتين من حجر الصوان. ومنهما المسلة الموجودة اليوم في المطرية.

وسار هذا الملك بجيشه إلى السودان، ووصل إلى وادي حلفا،

حيث شيد هيكلًا نقش اسمه وأسماء جدوده على جدرانها.

أما الملك أمنمحتت الثالث ، المعروف عند اليونانيين باسم
لامارس ، فحفر البحيرة المشهورة المعروفة ببحيرة مورييس في الفيوم
وبنى قصرأ بالقرب من البحيرة ، يحتوى على ٣٠٠٠ غرفة ،
ويعدّ من عجائب الفن .

وقد زاره المؤرخ استرابو ، ووصفه وصفاً دقيقاً كما شاهده ، وقال
إن كل حجرة من حجرات هذا القصر ، كانت حجراً واحداً
وكذلك أرض كل غرفة منه .

وبنى خزاناً للياه بالفيوم ، وكان هذا الخزان كبيراً كالبحر
فدعوه الفيوم ، والفيوم كلمة مصرية قديمة معناها البحر .

وكان أول من قسم الأراضي بمقتضى نظام الري ، فوضع
حدوداً للبدن والأطيان ، وقاس منسوب ارتفاع النيل ، وسجل
ذلك على صخور « بسمنه » بالقرب من الشلال الثانى .

ويقول بعض المؤرخين إنه هو الذى بنى أبا الهول .

وقد استولى فراغتة هذه الدولة على محاجر مدينة خفو ، بالقرب
من إدفو ، وكانت فيها مدارس وجامعات لتعليم العلوم والفنون والنقش .
وقد انتقل الملك كله إلى طيبة ، وأصبحت يامصر لأول مرة
فى التاريخ ، مملكة واحدة متحدة ، وكان ذلك التاريخ هو عصر ك
الذهبي المشهور .

وقد اهتم فراغتة هذه الدولة بالرى والأطيان ، وحولوا بحيرة
قارون إلى خزان عظيم لرى الفيوم .

وحاربوا النوبيين ، فقهرهم أوسرتسن فرعون ، وبني خطأ دفاعياً
بين مصر والنوبة .

وفي هذه الأيام ، ظهر النبي المصرى القديم « أبورر » وكتب سفره الجليل على ورق بردى طوله ٣٨٠ سنتيمتر ، وهو الآن فى متحف لندن .

وعلى أيام هذه الدولة ابتداء المصريين ، يستعمرون العالم المعروف فى ذلك الحين ، فاستولوا على فلسطين ، وسوريا ، وفينيقية ، وبلاد الحثيين ، والسكنانيين .

وهم الذين بنوا مقابر بنى حسن ، ونقلوا عاصمتهم إلى المنيا . وعلى أيام أوسرتسن فرعون ، جاء إبراهيم وسارة لمصر ، كما ورد فى التوراة . إلا أن بعض المؤرخين يقولون : إنهما جاءا على أيام تحوتمس فرعون ، أحد ملوك الدولة الثامنة عشرة .

وقد كان أوسرتسن الثالث أول ملك مصرى دخل السودان وضمه إلى مملكة مصر ، وبنى خطوط دفاع فى وادى حلفا .

وعلى أيام هذه الدولة انتشر العلم ، وعمّ العرفان ، وعرف هذا العصر بعصر الفنون والآداب ، وبلغ الشعر والنثر منزلة رفيعة عند المصريين ، كما أن الحفر والعمارة تقدما تقدماً مدهشاً ، وقامت مشروعات الرى فى كافة أنحاء مصر .

وكانت عبادة « رع » ، هى الديانة الرسمية للمملكة المصرية بأجمعها . أما الإله أمون فكان معروفاً فى طيبة ، ولأن العاصمة انتقلت إلى طيبة ، أضافوا اسم المعبود أمون إلى الإله « رع » ، فأصبح إله المصريين « أمون - رع » ، وأصبحت كهنة أمون أقوى مؤسسة دينية فى مصر السفلى والعليا . ومع أن عبادة

الشمس « رع » كانت وحدها منتشرة في مصر ، إلا أن المصريين عبدوا أوزوريس أيضاً .

وقد كان أوزوريس في العرابة مركزاً دينياً هاماً .
وقد كان المصريون يحجُّون إلى قبر أوزوريس في العرابة ،
كما يحجُّ النصارى إلى قبر عيسى عليه السلام في القدس ،
والمسلمون إلى قبر محمد صلى الله عليه وسلم في المدينة .
وتولى سيزوستريس الملك بعد وفاة والده : أمنمحت الأول ،
وهاجم سوريا وفلسطين . وجاء بخيرة رجال سوريا إلى مصر .
وكانت سوريا ولبنان في ذلك الحين ، على جانب عظيم
من الرقي ، والعمران ، والمدنية ، والحضارة .

وجاء سيزوستريس برجال سوريا ولبنان لتعليم المصريين
صناعة الروائح ، والدهانات العطرية ، التي كانت كثيرة الاستعمال
في مصر . وكذلك الوشى ، والزخرفة بالذهب ، كما تجد رسومهم
منقوشة في قبور طيبة وبنى حسن .



العمال الفينيقيون يشتغلون في توشية الأعمدة وزخرفتها بالذهب

وقد وجدت في مقبرة خنوم حوثب ، في بني حسن ، صور
لسبعة وثلاثين رجلا من الشام ، جاءوا إلى مصر لهذه الغاية .
ويؤخذ من رسومهم المنقوشة على جدران مقابر بني حسن ،
أنهم كانوا يلبسون الثياب الصوفية ، التي ينسجونها بأنفسهم ،
بما فيها من الزخرفة والوشى ، ويلبسون النعال ، ويحملون
أسلحة معدنية ، وفي أيديهم عصي ثمينة .

وقد استفادت مصر كثيراً من علوم ومعارف أهل سوريا
ولبنان رغم أنها كانت صاحبة السيادة عليهما .
وقد ذكر هيرودوتس أن سيزوستريس عبر قارة آسيا
كلها إلى أوروبا ، وسار إلى جنوبي روسيا على شواطئ البحر
الأسود ، وانتصر على سكان تلك البلاد ، ونهب ثروتها ، وعاد بها
إلى مصر ، مصطحباً خيرة رجالها من علماء ، وفنيين ، ونقاشين .

الدولة الثالثة عشرة : من ٢٨٤٠ إلى ٢٤٠٠ قبل الميلاد .
إن فراعنة هذه الدولة جاءوا من طيبة نفسها . لكنهم
انقسموا على أنفسهم فسادت القوضى وساءت حالة البلاد .
وأولهم هو خوتاوى فرعون المنقوش اسمه في معبد
الكرنك .

الدولة الرابعة عشرة : من ٢٤٠٠ إلى ٢٢٠٠ قبل الميلاد .
وفي أيام هذه الدولة انقسمت مصر إلى دويلات صغيرة

ونقلت عاصمتها إلى الوجه البحرى فى مدينه سخا .
ثم أخذت مصر فى الانحطاط والهبوط .

الدولة الخامسة عشرة والسادسة عشرة : من ٢٢٠٠ إلى ٢٠٠٠
قبل الميلاد .

الدولة السابعة عشرة : من ١٩٨٥ إلى ١٥٧٥ قبل الميلاد .
هذه هى الدولة العربية فى مصر ! .
هؤلاء هم الرعاة ! .

لقد هجم هؤلاء الرعاة فى أواخر حكم الدولة السادسة عشرة
على مصر ، فى أيام طيموس فرعون ، فأسسوا الدولة السابعة عشرة .
وقد دعاهم المصريون « هيك سوس » أى « الملوك الرعاة »
نسبة لأن العرب كانوا رعاة أغنام .

وقد ذكر مانيتو أن هؤلاء الرعاة كانوا فينيقيين من لبنان .
ودعاهم غيره من المؤرخين يبدو الشاسو .
وذكر مؤرخون سواهم أنهم كانوا حيثيين أو كنعانيين .
والمؤرخون الذين يقولون إنهم فينيقيون يستدلون على
ذلك بأن إلههم كان بعل .

لقد زحف هؤلاء العرب سنة ١٩٨٥ قبل الميلاد تحت راية
زعيمهم المسمى الوليد بن دومغ المعروف عند اليونان باسم
سلاتيس .

وجعلوا عاصمتهم منفيس ، لكنهم جعلوا قيادة جيوشهم
في أفاريس (هوارس) في القسم الشرقى من الدلتا . حيث بنى
سلاتيس مساكن تتسع لمائتين وأربعين ألف مقاتل آوى بها
جيوشه وأوقفها هناك ، كخط دفاع أول عن مصر ، ضد هجمات
الشعوب الآسيوية في آشور وبابل .

وقد أدخل هؤلاء العرب الجمال والخيول إلى مصر ، وعلموا
المصريين الفنون الحربية ، وصناعة المعادن ، والأسلحة الراقية ،
والعجلات ، وصناعة الأواني المختلفة ، ونسج الملابس ، وعمل المهلبل
منها بشكل بديع .

وكانت الخيول التي تجر المركبات من أهم عوامل انتصاراتهم
السريعة على مصر .

وحكم هؤلاء العرب نحو خمسمائة سنة ، إلى أن قام الأمير
أحمس في طيبة وأعلن الثورة عليهم ، فاستخلص مصر من
أيديهم بعد وقائع كثيرة وحروب شديدة .
ونادى بنفسه فرعوناً على مصر .

وقد كان أبابا فرعون - آخر ملوك الرعاة ، ويقال إن
في عهده ، جاء يوسف الصديق إلى مصر ، ويقول بعض المؤرخين
إن الرعاة هم الذين بنوا أبا الهول ، مستغلين على ذلك من
عينيه الصغيرتين ، وخدييه البارزين . لكن رواية أمنمحيث
أحد ملوك الدولة الثانية عشرة تنقض هذه الفكرة .

أما عاصمة ملوكهم السياسية فكانت منفيس ، لكن العاصمة

العسكرية فكانت أفارس في الوجه البحرى ، ولم يستطيعوا طول
مدة ملكهم إخضاع طيبة ومصر العليا ، فبقيت طيبة مستقلة
يحكمها أمراء ضعفاء من نسل الفراعنة الأقدمين ، إلى أن ظهر
الأمير أحس فشرب حرباً ضروساً على الرعاة ، وانتصر عليهم
وطردهم من مصر ، فعادوا إلى فلسطين ولبنان وسوريا .

وقد ظلم المصريون هؤلاء الملوك الرعاة ظلماً فاحشاً ،
وأثاروا ضدهم دعاية باطلة فاشلة . والحق يقال إن هؤلاء
الرعاة كانوا أكبر نعمة لمصر .

فقد كانوا أبناء ثقافة ، وعلم ، ومدنية ، لا فرق إن كانوا
عرباً في البادية ، أو فينيقيين في الشواطىء .

لقد علموا المصريين نظام القتال ، وفنون الحرب .
وأدخلوا الخيول العربية الأصيلة إلى مصر — ولم تكن
الفرس معروفة في مصر قبل ذلك ، وأوجدوا الصناعات الكثيرة
التي لم تكن مصر تعرفها .

ناهيك عن مخترعات كثيرة أوجدوها في مصر ، وفوق
جميع ذلك كان وجودهم كعنصر غريب سلباً لإيقاظ الروح
القومية بين المصريين ، مما أدى إلى قيام أحس بثورته الوطنية
وتأسيس الدولة الثامنة عشرة التي قامت على أسسها الإمبراطورية
المصرية التي امتدت من الشلال الرابع ، إلى أعالي دجلة والفرات .
ويقول المؤرخ يوسيفوس ، إن بني إسرائيل ، هم جيش
من الهكسوس ، بقى في فلسطين بعد خروجه من مصر ، فاستوطنها ،
ولم يرحل عنها .

الدول الحديثة

الدولة الثامنة عشرة : من ١٥٧٥ إلى ١٣٥٩ قبل الميلاد .

هذا هو عصر مصر الذهبى ١

نحن الآن ، على أيام الدولتين : الثامنة عشرة ، والتاسعة عشرة .
لقد كثرت الخيرات فى مصر ، واتسعت ثروة الكهنة ،
والمعابد ، بسبب الغنائم الكثيرة التى عادت بها الجيوش المصرية ،
من سوريا ، ولبنان ، وفلسطين . وزاد نفوذ رئيس الكهنة
الدينى والسياسى ، وتعين لزوجته مرتب عظيم ، قساوت مع الملكة
فى الرفعة والمقام .

وأخذ الناس ، تحت تأثير دعاية كهنة آمون ، يتركون عبادة
الإله القديم « رع » ، ويعبدون آمون . وأخذت عبادة الإله
« رع » تضعف رويداً رويداً وأصبح آمون ، الإله الأكبر الأوحد
لمصر ، فإذا أراد المصرى دعاءً لنفسه قال « إذا أطال آمون
حياتى ، وهو أشبه بما يقوله المسلم والمسيحى اليوم « إن شاء الله » .
ويظهر لنا ، أن نجاح ملوك طيبة ، وتقدمهم السريع ،
بعد طرد الملوك الرعاة ، رفع كثيراً من منزلة الإله آمون ،
إله طيبة ، فأصبح إله المملكة المصرية الرسمى ، وقد كان قبل
ذلك ، فى المرتبة الثانية بعد الإله « رع » .

وفى أيام هاتين الدولتين وصلت مصر ، إلى درجة عديمة
المثال ، فى الرقى ، والعمران ، والمدنية ، والعلم ، والشعر ، والدين .

لقد مات أحس ، الفاتح العظيم !
مات البطل الذى طرد الرعاة من مصر ، وأسس استقلال
مصر الحقيقى ، وضم إليها السودان .
وهذا هو ابنه أمنوفيس فرعون ، يتولى الملك ، بعد
وفاة أبيه .

إننا نراه ينقل عرشه من طيبة ، ويعود إلى منفيس ، فيؤسس
الدولة الثامنة عشرة ، ويستقل بمصر السفلى ، والعليا .
وتعتبر الامبراطورية المصرية فى عهد هذه الأسرة ، من
أكبر امبراطوريات العالم فى التاريخ ، لأنها امتدت من الشلال
الرابع ، إلى سوريا ، وأعلى الفرات .

إنها أول امبراطورية فى العالم - وهذه عاصمتها طيبة تتمتع بثروة
عظيمة ، وعزٍّ باهرٍ ، جعلها مركز التمدن العالمى ، وصاحبة
الآثار الشاخنة الباقية على ممر السنين والأجيال .

ومن فراعنة هذه الدولة ، تحوتمس فرعون ، الذى أقام
المسلات العظيمة ، ومنها مسلة الاسكندرية .

وقد تحدث المؤرخ « رولفسن » عن مسلات هذا الفرعون
ووصفها فى أن مناشر السكرباء الموجودة فى مصانع اسكتلندا
اليوم لا تستطيع أن تعمل مسلة واحدة فى عشر سنوات .

أما أنا يا مصر ، فقد تبين لى أن المهندس العظيم « سنموت »
قطع مسلتين من محاجر إسوان ، فى خلال سبعة أشهر ارضاءً
لملكته المحبوبة « هاتشبسوت » .

ويتساءل الإنسان : هل كان لديهم مكبرات للنظر ، نسبة
لما في نقوشهم من دقة الصنع ، وروعة الابداع ؟
وبعد موت تحوتمس الاول ، انتقل الملك إلى هاتشبسوت
الشهيرة ، ابنة تحوتمس الاول ، من زوجته الملكة أحماس .
فحكمت مع أخيها تحوتمس الثاني ، ثم تزوجته ، لكنها لم
تلد ذكوراً .

وقد لعبت دوراً هاماً جداً في سياسة الدولة .
وجاءت بالفينيقيين من لبنان ، فعمروا لها أسطولاً تجارياً
عظيماً مؤلفاً من خمسين سفينة ، وأرسلتهم مع هذا الأسطول
التجاري في البحر الأحمر ، وعلى طول الشواطئ الأفريقية ، حاملاً
محصولات مصر ، لاستبدالها بمحصولات الصومال ، والتفتيش
على العطور ، وعلى الأخشاب العطرية ، وأشجار المر ، وخشب
الابنوس ، والعاج ، والبخور ، والقهوة ، والصندل .
ثم أرسلت مهندسيها ، ليجشوا عن المعادن ، في صحراء
سيناء .

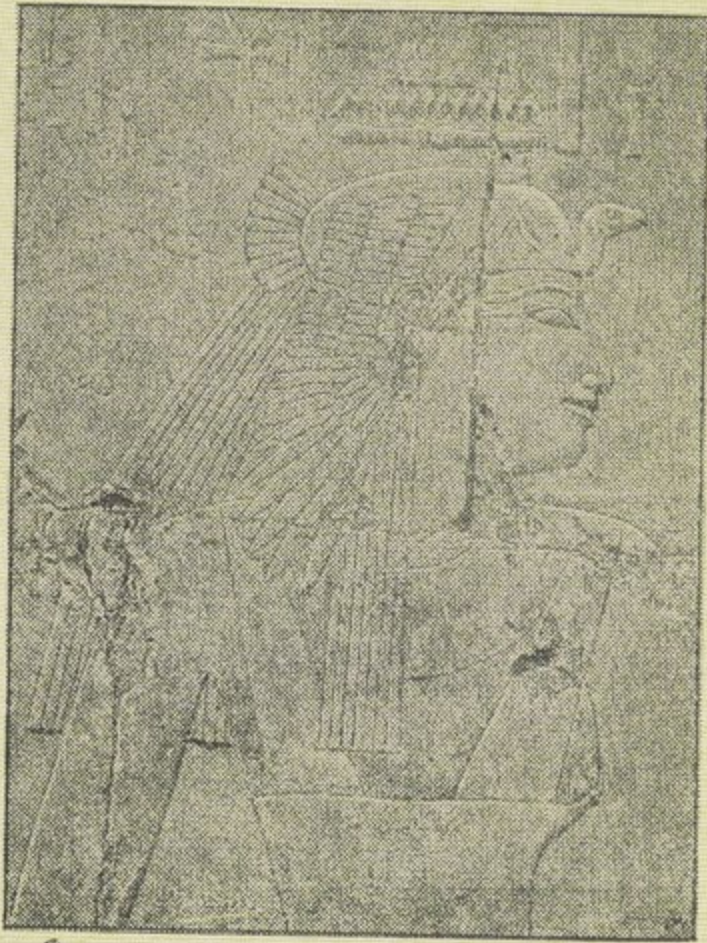
وأرسلت أسطولاً تجارياً وصل إلى الهند ، وأحضر من هناك
شحنة من جوز الهند ، والصندل ، والبخور ، والعطور المختلفة .
ونرى تاريخ أعمالها على جدران الدير البحري ،
بالقرب من الأقصر .

ولم تكن هاتشبسوت من دم فرعونى ، ملوكى ، إلهى !
لكن الآلهة أصلحت ذلك !



المؤلف وحرمة واقفان أمام جدار معبد هيكل الأقصر والدليل يشير بيده الى الحجارة
الضخمة حيث نقش حكاية ظهور الاله آمون للملكة انماسى فولدت ابنتها الملكة العظيمة
هاتشبسوت والحكاية محفورة بالرسوم بشكل واضح وصور مختلفة تصور الحادثة كما
وقعت من ظهور آمون للملكة ثم ظهور الملاك يبشر بولادة الملكة هاتشبسوت

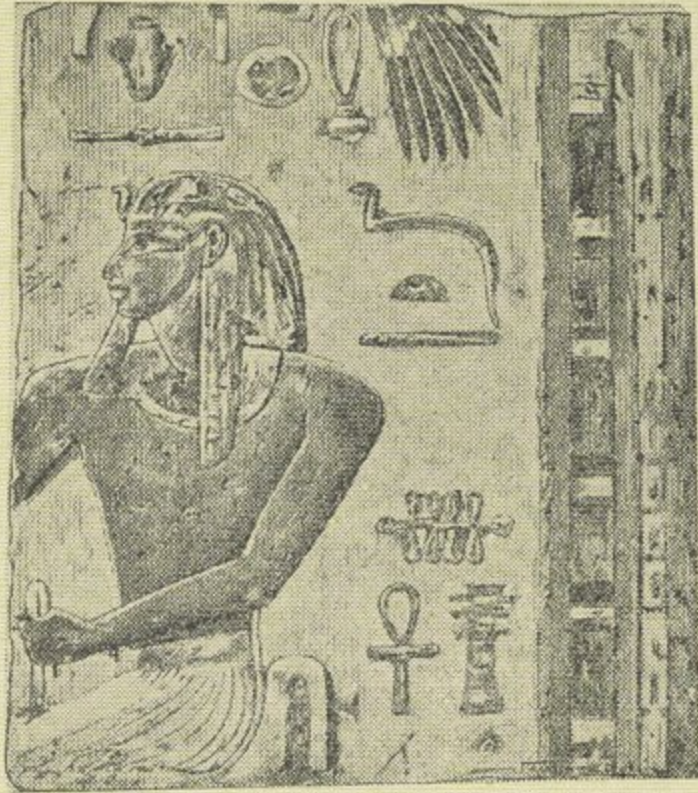
فقد جاء آمون الإله الأكبر ، وتقمص في جسد الفرعون تحوتمس
الأول واضطجع مع الملكة احماس أم هاتشبسوت .
ثم بشرها أنها ستلد ابنة نبيلة ، عظيمة قوّة ، كما نرى الآن جميع
ذلك مرسوماً على أعمدة الهياكل .



الملكة أحماس والدة الملكة هاتشبسوت

وأخذت هاتشبسوت تلبس ثياب الرجال ، في أكثر المناسبات .
وكانت ملاحظها جميلة جداً ، ووجهها يشعّ عظمة وقوّة ،
وعيناها كأكثر عيون المصريين ، دافئة ، مملوءة حياة

وأشعةً وناراً . أما شفتاها - فرقيقتان ، ناعمتان ،
بعمكس أكثر الشفاه المصرية .
لقد كانت الملكة هاتشبسوت ، من أعظم الفراعنة المصريين .
وتاريخ حياتها الخاص ، أشبه شيء بتاريخ حياة الامبراطورة
كاترين الثانية ، ملكة روسيا .



الملكة هاتشبسوت في ملابس الرجال

وكان لها صديق حميم وفيّ - هو الكاهن « سنموت » ،
رئيس كهنة معبد آمون ، لقد أحبه حباً جماً ، فأخلص
لها إخلاصاً عظيماً .
وكان هذا الكاهن مهندساً موهوباً ، فبنى آثاراً
كثيرة للملكة .



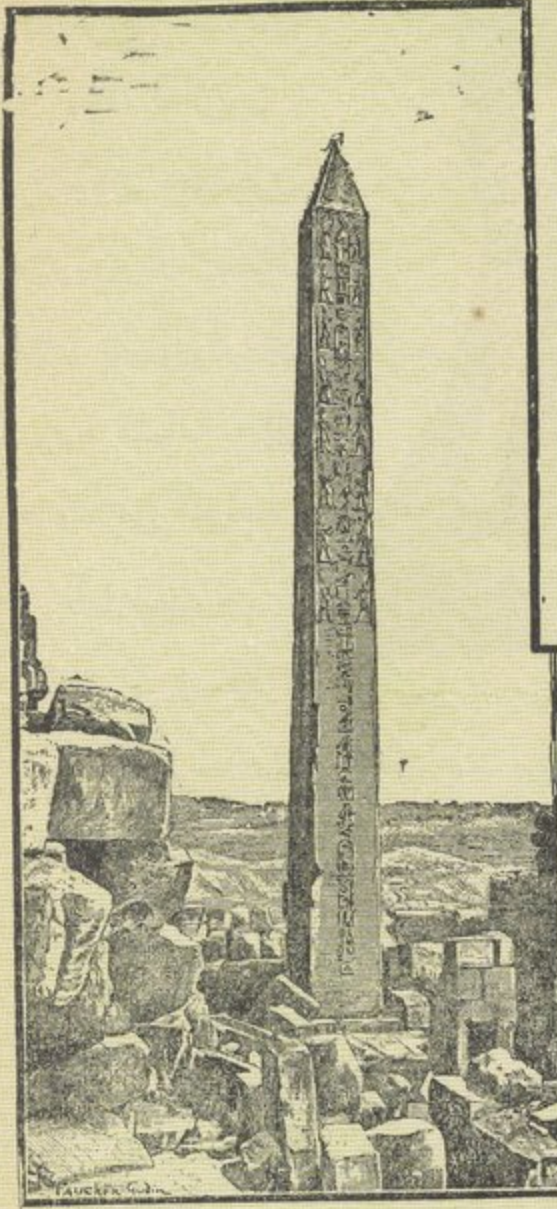
وقد وجد تمثاله
في الأقصر، وهو
الآن في برلين .
وقد نقش عليه
أن ملوكته جعلته
أعظم رجل في مصر
العليا والسفلى، وتجده
في تمثاله محتضناً ابنة
الملكة هاتشبسوت
برفق وحب وحنو .
وربما أنها كانت ابنته

أيضاً نسبة للعلاقة التي تمثل المهندس سنموت وفي حضنه ابنة الملكة هاتشبسوت
كانت بينه وبين الملكة .

وكان الرجل الوحيد ، الذي لعب دوراً هاماً ، في تاريخ هذه
الملكة العظيمة ، وفي حياتها الخاصة أيضاً .
وقطع لها مسلات كثيرة ، ومنها مسلة « هاتشبسوت » ،
في هيكل الكرنك .

وبني هياكل ، ومعابد الدير البحري ، حيث وجد قبرها ،
وجسمها المخطط ، مع مومياء والدها تحوتمس الأول .
ويعتبر هيكل هاتشبسوت أقصى ما وصل إليه فنُ العمارة
من ذوق ، وروعة ، وترتيب ، وتنسيق

وبلغت المقابر الملكية في وادي الملوك أربعين مقبرة ،
امتدت شهرتها في العالم كله ، لما حوته من عجائب الحفر ، والنقش ،
والتلوين ، والتصوير ،
والإبداع .



مسلة الملكة هاتشبوت
في الكرنك

أما قبرها فقد حفره
الوزير المهندس جابوسنت
أحد محاضري الملكة .

وقد نصبت هاتشبوت
المسلات المدهشة المكسوة
بخيوط الذهب والفضة ،
في ساحة الكرنك . وقام
بهذا العمل محض آخر اسمه
« تحوتي » . وكانت كل
مسلة من هذه المسلات
تصنع من حجر واحد ،
يزن ثلاثمائة وخمسين طناً ،
ويبلغ ارتفاعها ثمانياً
وتسعين قدماً .

وقد كانت هذه الملكة العظيمة ، تكيل الذهب والفضة
والمعادن النفيسة ، بمكايل الجيوب . وكان في خزائنها
باستمرار ما لا يقل عن أربعائة وثلاثة وعشرين ليراً من



الملكة هاتشبوت

الذهب والفضة .
وكانت إمبراطوريتها
تمتد من السودان
إلى جبال لبنان .
وكان المصريون
يعتبرون أن جبال
لبنان تمتد إلى أواخر
سوريا الشمالية ، إلى
حدود نهر الفرات .
أما فينيقية ، فلم
تكن في نظرهم

سوى الشاطئ الصغير ، الذي يمتد من صور ، إلى ما وراء طرابلس
والنهر الكبير . (إليتيروس Eleutheros) .

وكانت سوريا معروفة عند قدماء المصريين بإسم : « زاهي » .
وأحياناً كانت بلاد سوريا ، تمتد من حدود مصر ، إلى
حدود الفرات ، وأحياناً تجزأ إلى ولايات صغيرة مختلفة .
ولما لم تلد « هاتشبوت » ذكوراً لزوجها ، وهو أخوها ،
تزوج فتاة سورية ولدت له ابنه تحوتمس الثالث ، الذي حجزت
عليه عمته هاتشبوت ، فلم يملك إلا بعد وفاتها .

وكان من أعظم ملوك مصر ، ومن أكبر القواد
العسكريين ، حتى أن المؤرخين العصريين لقبوه بنابليون مصر ،

وذلك لكثرة حروبه وفتوحاته .

وكانت المستعمرات المصرية في لبنان ، وسوريا الشمالية ، قد أخذت تثور على حكام مصر وفراعنتها ، فجيش تحوتمس جيشاً عظيماً لإخضاع تلك البلاد .

وقام بجيشه من مدينة « ثارو » بالقرب من القنطرة ، ووصل غزة بعد تسعة أيام .

ثم اخترق سهل شارون ، إلى مدينة « يوحم » بين حيفا ويافا بالقرب من طولكرم .

وكانت جيوش ملك ميتاني ، وقادش ، تقدمت إلى لقائه ، وتجمعت وعسكرت في حصن مجدو ، وهي على تلّ في مرج ابن عامر ، يعرف اليوم باسم : « تل المتسلم » ، لأن أحد متسلمي الدولة العثمانية أقام في مجدو .

وسار تحوتمس بجيوشه في طريق حيفا ، ووادي عاره ، إلى سهل يزرل ، فانقض على أعدائه المحصنين في مجدو ، وكسره شر كسرة فتراجعوا متجهين إلى قادش على نهر العاصي ، فتبعهم بجيشه وانتصر عليهم هناك ، وعاد إلى مصر ظافراً منصوراً .

ومن الغريب أنه بعد ذلك بأربعة آلاف سنة ، سلك الجنرال اللورد اللنبي بجيشه ، ذات الطريق التي سلكها الفرعون المصري .

وقام تحوتمس بحملة عسكرية ثانية ، وخرج بجيوشه من مصر واحتل مدينة صور ، ثم سار منها إلى جبيل ، ومنها إلى سميرة ،

المعروفة الآن برأس الشَّعْمَرَا بالقرب من النهر الكبير (Eleuetheros)
بجوار مدينة اللاذقية .

واستولى على مدينة كتنا Ketna (حمص) ، وعلى مدينة
تونب (بعلبك) ، ومدينة نوجاشي (حلب) Nukhashie .
ولما عاد إلى مصر ، حمل معه أولاد الأمراء السوريين ،
واللبنانيين ، إلى طيبة كرهائن لديه . وحمل معه من سوريا
ولبنان أربعائة وستة وعشرين رطلا من الذهب والفضة .
وحكم تحوتمس الثالث تسع عشرة سنة ، غزا في خلالها
لبنان ، وفينيقية ، وسوريا الشمالية ، وكنعان ، وبلاد الحثيين ،
سبع عشرة مرة .

فكان يقوم كل سنة على رأس جيشه بحملة عظيمة تاركا مصر
في مايو ، ليعود إليها في سبتمبر ، خشية ألا تتحمل جنوده برد
وصقيع تلك البلاد .

كان يعود بحراً ، دافعاً أمامه السفن الفينيقية الضخمة ، التي
كانت ترسو على شواطئ طيبة ، وهي محملة بخيرات تلك البلاد ،
من أواني ذهبية ، ومصنوعات فضية دقيقة ، صنع أهالي
صور ، وجبيل ، وقبرص . ومن حاصلات الأرض من الفواكه
والنبيذ ، حتى أنه وجد مرة في خزانة الدولة المصرية ، ما ينيف على
ثمانية آلاف وتسعمائة وثلاثة وأربعين رطلاً من الذهب والفضة .
وقد عين تحوتمس الثالث قائد جيوشه « تحوتي » ، والياً مصرياً
أى مندوباً سامياً يدير شئون المملكة الشمالية ، وقد عثر المنقبون

على معبد في (بيلوس) جبيل ، لتحتس ، ومثله معبد آخر
في جوار نهر العاصي (ايكاني) .

وكانت مصر على أيام أمنحتب الثاني ، وتحتس ، وأيام آباءه
وأجداده ، امبراطورية عظيمة ، تمتد من بابل ونهر الفرات ،
إلى أعالي النيل والسودان ، وكانت سوريا ، ولبنان ، وفينيقية ،
والمقاطعات الأخرى ، محكومة بأمرام مصريين ، يمثلون
الإمبراطورية كمندوبين فوق العادة — وكانت التحصينات ، والقلاع
المصرية قائمة على شواطئ فينيقية ، وسوريا .

وبكلمة واحدة — كان الشرق الأدنى بأجمعه مستعمرة
كبيرة لمصر .

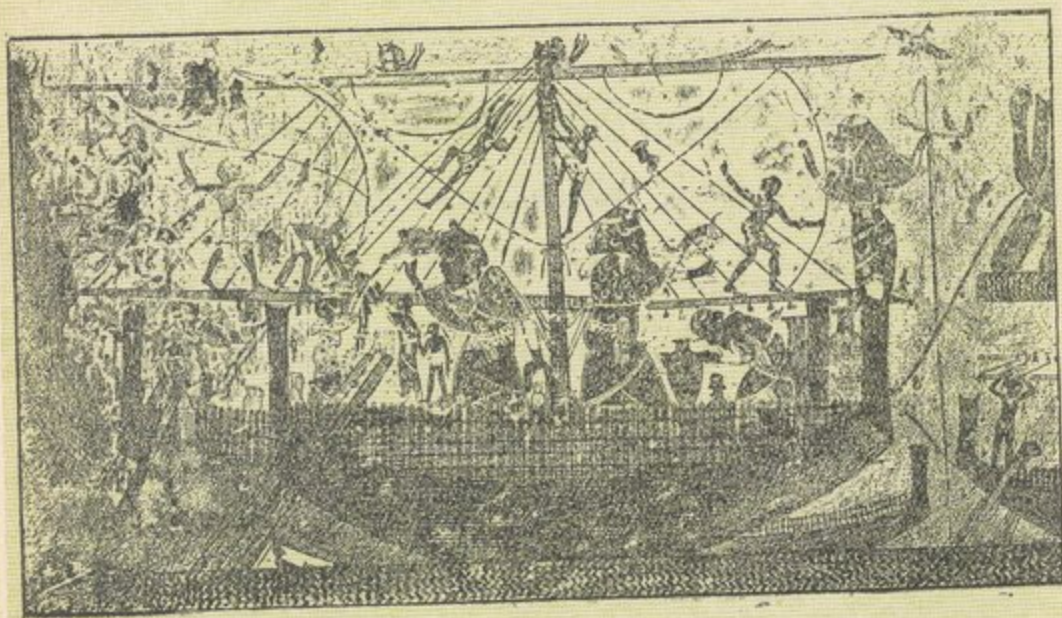
ولما توفي أمنحتب الثاني ، قام بعده ابنه تحتس الرابع .
وقد حدث ، كما جاء في أسطورة قديمة ، أن تحتس الرابع خرج
 يوماً للصيد بجوار أهرام الجيزة ، مدفون ملوك الأسرة الرابعة ،
فتعب وجلس يستريح في ظل أبي الهول ، الذي هو أحد رموز
الشمس ، فظهر له الإله وهو مستغرق في النوم ، وطلب إليه
نقل الرمال المحيطة به ، والمنهالة عليه ، ووعدته أن يجعله ملكاً
على مصر ، إن هو فعل ذلك .

وهذه الأسطورة ، منقوشة على حجر ، بين قدمي أبي الهول .
ولم يمض ربح من الزمن ، حتى أصبح تحتس الرابع ،
فرعوناً على مصر .

ثم أراد تحتس أن يدعم نفوذه في سوريا ولبنان ،
فأرسل إلى ملك ميثاني (في القسم الشمالي من سوريا ولبنان)

يطلب يد ابنته ليقترن بها ، فأرسل هذا كريمته التي أصبحت
 زوجة تحوتمس الرابع ، وأم أمنحتب الثالث .
 ولما توفي تحوتمس الرابع ، انتقل العرش إلى ابنه أمنحتب
 الثالث ، المعروف بأمنوفيس .
 وهو الذى بنى الرواق الشهير ، فى معبد السكرنك بالأقصر ،
 وادعى لنفسه الألوهية - لأنه ابن أمون .
 وقد ورد فى أسطورة مرسومة على أعمدة هيكل الأقصر ،
 أن الإله أمون تقمص فى جسد الفرعون ، ونزل إلى الأرض ،
 ليضاجع الملكة ، لتلد فرعوناً قوياً يحكم مصر .
 وإنك لترى على أعمدة الهيكل ، رسم الإله أمون يحمل بين
 ذراعيه الملكة الجميلة « موتيمو » ، ويأخذها إلى مضجعها ، ثم يأتى
 الملك ليبشر الملكة بمولود جديد ، سيكون فرعوناً عظيماً .
 وهكذا يأتى إلى العالم ، أمنوفيس الثالث ، والد الفرعون العظيم
 أمنوفيس الرابع ، المعروف بأخناتون .
 لقد كان « أمون » إله المصريين (وهو المعروف باسم « زيوس »
 عند اليونانيين) إلهاً قوياً عظيماً ، وقد حَلِمَتْ به أكبر ملوك
 الفراعنة ، فولدَ رجالاً أشداءً ، أقوياء ، وفراعنة عظام .
 فأمنوفيس كان إبناً له ، وهاتشبسوت كانت ابنته ، بل
 الإسكندر الكبير نفسه ، كان ابناً لأمون أيضاً .
 وقد بلغت التجارة فى عهد هذا الملك ، درجة رفيعة لم تصل
 إليها من قبل ، وصار نهر النيل ، من الدلتا إلى الشلالات ،
 مملوئاً بخيرات العالم الواردة بأسطول البحر الأحمر ، وقوافل

برزخ السويس ، فكنت ترى البضائع السورية الثينة ، والبخور ،
والأخشاب العطرية ، والأسلحة ، والأواني الفينيقية المزخرفة ،
وعشرات الآلاف من الخيرات الكثيرة ، تزدهم في موانئ
نهر النيل ، حتى أنك لتجد اليوم أسماءها الفينيقية داخلة في كلمات
اللغة الهيروغليفية ، وبلغت تجارة فينيقيا مع مصر درجة عالية
في الرقي والتقدم ، فكانت مئات السفن الفينيقية ترد إلى مصر ،
مشحونة بالخزف والزجاج والأواني المزخرفة ، والمصنوعات البرنزية
المنقوشة ، الآتية من البلاد اليونانية القديمة ، وكانت هذه المراكب
الفينيقية ، تعود حاملة معها المصنوعات المصرية لتبيعها في قبور
ملوك جزر كنوسوس (Cnossos) ، ورودرس ، وقبرص ، وجميع
شواطئ البحر المتوسط وجزره المشهورة .
في هذا الزمن ، شعر سكان البحر المتوسط ، بنفوذ مصر ،
وحضارتها ، أكثر من أى عهد سابق .



مركب فينيقي يفرغ حمولته في ميناء طيبة

فظهرت في « كريت » ، الشعائر الدينية المصرية ، حتى أنها أقيمت مرة ، تحت إشراف كاهن مصري .

ثم صُبِغت الصناعة اليونانية ، بالصبغة المصرية ، بدرجة كبيرة فظهر على مصنوعات اليونان المعدنية ذوق مصري ، خطته أقلام صناع طيبة ، وكثيراً ما كنت ترى على المصنوعات اليونانية ، رسوم الحيوانات المصرية المختلفة ، ممثلة في حركاتها ، وسكناتها الطبيعية .

ثم ظهرت في بلاد اليونان وفي أوركنوس (Orchomenos) تلك السقف المزخرفة الجميلة ، التي أبدعتها أيدي أهالي طيبة . وتزوج أمنوفيس الثالث ، من فتاة اسمها « تي » (Tiy) وهي ابنة شريف لبناني فينيقي ، اسمه « يويا » ، وزوجته « توبو » ، سكنا في طيبة مدة من الزمن ، إما للتجارة ، أو لطلب العلم والفلسفة ، في هياكل آمون .

وإنك لتجد تابوت « يويا » ، وتابوت زوجته « توبو » ، في المتحف المصري بالقاهرة .

وكانت « تي » ، فتاة جميلة جداً ، وعلى جانب عظيم من قوة العقل ، وسعة الإدراك ، وبعد النظر ، فقادها ذلك إلى حظوة عظيمة في عيني زوجها الملك ، الذي أحبها حباً شديداً ، وجعلها شريكه له في البيت ، وفي العرش أيضاً .

فلبست التاج ، رغم أنها لم تسكن من دم ملوكي ، ولم تسكن هذه العادة متبعة في نظام الملك الفرعوني في مصر ، لكن أمنوفيس غير الشريعة ، إكراماً لزوجته الجميلة .

وكان زواج الملك أمنوفيس الثالث ، بالملكة « تي » ،

زواجاً غرامياً ، شغله عن كل شيء سواها .
 وكانت « تي » تعرف شيئاً كثيراً عن الإله الواحد ، الذي
 تدعوه « أتون » ، وهو الإله القديم ، المعروف لدى كهنة
 عين شمس ، وهليوبوليس .
 ويقال أن « أتون » هو نفس « أدون » ، إله الفينيقيين ،
 الذي تحول من « أتون » ، إلى « أدون » ، إلى « أدونيس » .
 وولدت الملكة « تي » بناتاً وذكوراً لزوجها أمنوفيس الثالث ،
 فلم يعيش لهما من الذكور أحد .
 فنذرت « تي » للإله أتون ، أن ترجع عبادته لكل أرض
 مصر ، إذا أنعم عليها بولد ذكر ، وعاش .
 فأجابها الإله إلى ذلك ، وولدت ابنها أمنوفيس الرابع ، الذي
 عُرف فيما بعد بأختاتون ، إذ غيّر اسمه من « أمنوفيس » ،
 حبيب آمون - إلى اخناتون - حبيب أتون .
 وكانت الملكة « تي » (Tiy) تشرف على تربيته بنفسها .
 فلما مات زوجها أمنوفيس الثالث ، استلمت صولجان الملك ،
 وحكمت مكان زوجها الملك بالنيابة ، بالاشتراك مع ابنها ، الذي
 لم يكن بعد قد جاوز الثانية عشرة من عمره .
 وحدث ، قبل أن يموت زوجها أمنوفيس الثالث ، أن كتب
 إلى « قسراطه » ملك « ميتاني » ، طالباً يد ابنته ، زوجة لابنته
 أمنوفيس الرابع ، إذ كانت مملكة « ميتاني » ، تمتد من بعلبك ،
 إلى نهر الفرات . (سوريا الشمالية ولبنان الشمالي) ، وكان ملك
 ميتاني ، خال أمنوفيس الثالث - أي شقيق أمه .

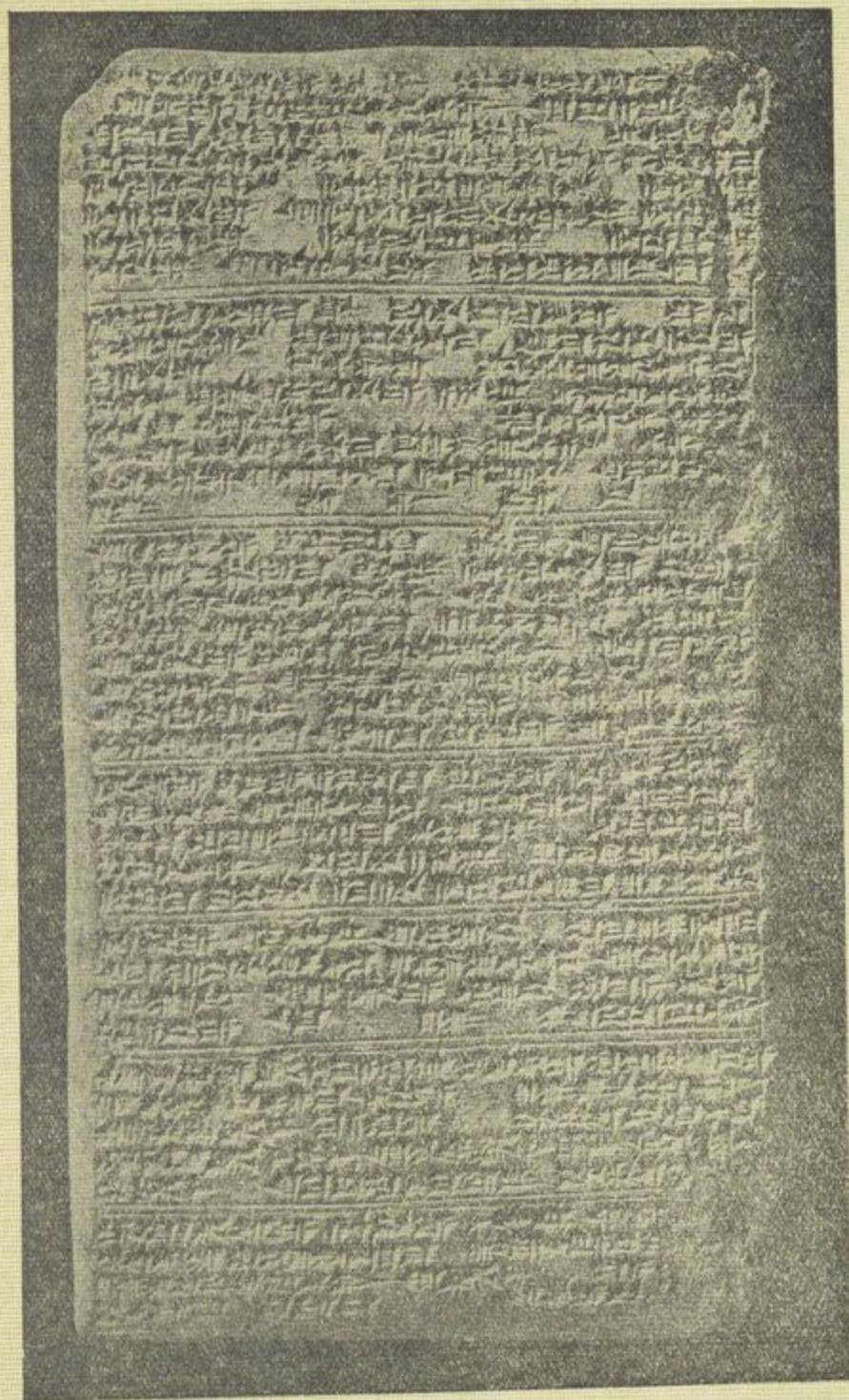
وأرسل رسالته مع رئيس البلاط المدعو ماني - وقد وجدت رسالة ملك ميتاني منقوشة على لوحات تل العمارنه ومنها ما يأتي :
« إلى أخي وصهرى ، الذى يحبني وأحبه ، أمنحتب الثالث الملك العظيم ، وفرعون مصر ، . . . »

« من قسراطه الملك العظيم ، أخيك وحميك ، الذى يحبك . أنا فى صحة جيدة ، علّك أنت كذلك ، وكذا منزلك وأختي (كانت أخت قسراطه المسماة جيلوچيا (gilukhipa) والدة الملك أمنوفيس الثالث) وسائر زوجاتك ، وبناتك ، وعجلاتك ، وخيلك ، وكبار رجالك ، وأرضك ، وكل ممتلكاتك . علّكم جميعاً بخير ، ومنها » ولما حضر إلى رسول أخى ، المدعو ماني ، قائلاً أنك تخطب كريمتى لتسكون ملكة على مصر ، لم أتجاسر على تسكير قلب أخى ، بل استمررت على أداء ما هو واجب نحو صداقتنا ، وتنفيذاً لرغبتك يا أخى ، أرسلتها مع ماني ، الذى سرّ جداً برؤيتها ، فإذا وصلت إلى أرضك يا أخى ، أتعشم أن المعبود « إشتار » (عشتروت) والمعبود « آمون » ، يجعلانها محبوبّة ومقبولة لديك .

لذلك أرسل لى يا أخى ، كميات كبيرة من الذهب ، بلا حساب ، وليكن مقداره أكثر من الذى كنت ترسله لوالدى ، لأن الذهب فى أرضك يا أخى ، كثير كالتراب . وكان لملك « ميتاني » ابنة مفرطة فى الجمال ، صغيرة فى العمر ، تدعى تادوچيا (Tadougepea) .

فأرسلها والدها الملك إلى مصر لتزوج من اخناتون

(أمنوفيس الرابع) ابن أمنوفيس الثالث ، لكنها وصلت
إلى مصر ، بعد أن كان أمنوفيس الثالث قد مات .



صورة الكتاب الذي أرسله ملك ميتاني والد نفرختي إلى أمنوفيس الثالث
وهو لوحة تل المارنة نمرة ١١٧ والأصل بالمتحف البريطاني بلندن

نفر-رتيتي - أو - تادوجيبا

T A D O U G E P A



هذه هي
تادوجيبا، الفتاة
اللبنانية الجميلة،
التي أطلق عليها
المصريون، اسم
«نفرتيتي».

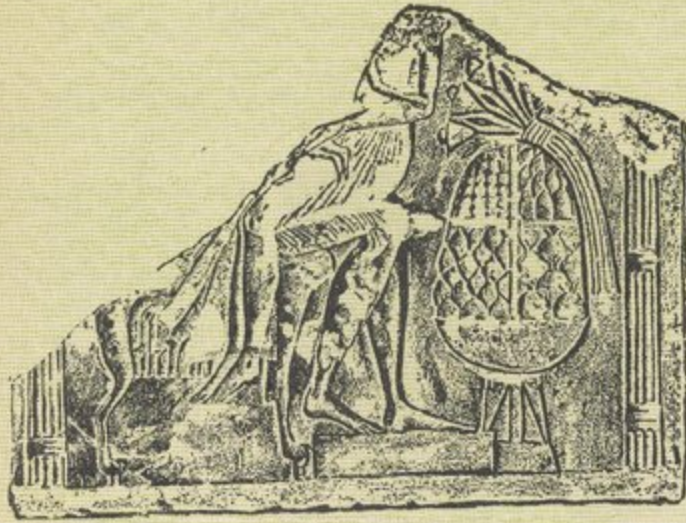
إن نفرتيتي
لم تكن مصرية
على الإطلاق،
بل كانت لبنانية
سورية من
أطراف لبنان
الشمالي.

وسرت بها
الملكة «تي»،
سروراً عظيماً،
وزوجتها من
إبنها الوحيد

نفر-رتيتي ابنة ملك ميتاني في شمال سوريا ولبنان
وزوجة اخناتون فرعون

اخناتون ، وأطلقت عليها إسماً مصرياً جديداً ، هو « نفرتيتي » ،
ومعناه « الجميلة القادمة » .

وهكذا يُثبت التاريخ أن نفرتيتي المصرية الجميلة ، كانت فتاة
سورية ، من أطراف لبنان الشمالي .



وهام اخناتون

بحب نفرتيتي ،

هياماً عظيماً .

ودعاها سيدة

القطرين ،

والزوجة الملكية

العظيمة . .

اخناتون وزوجته جالسة على ركبته وهي الصورة الوحيدة
من نوعها المنقوشة على الأعمدة

وعاش معها

عيشة زوجية ، عائلية ، هنيئة ، لا يكدرها حزن ، ولا يشوبها
همٌّ أو ألم أو كدر .

وإنك لتجد اليوم ، في متحف برلين ، حجراً كبيراً ، حملة
الألمان معهم من تلّ العمارته . وقد نقش عليه قائمة الهدايا
النفيسة الغالية ، التي أحضرتها « تادوجيا » معها إلى مصر .

وحكمت « تي » ستّ سنوات ، بالاشتراك مع ابنها أمنوفيس
الرابع ، الذي كان محبوباً جداً من الشعب المصري ، ونودي به
ملكاً على مصر السفلى ، والعليا ، ودعاها السكينة حبيب آمون ،
وسيد العالم ، وابن الشمس .

لكن « أمنوفيس الرابع » ، كان تحت تأثير والدته الحكيمه
العاقلة ، التي كانت تدير أمور المملكة ، وجميع شئونها ، فكانت
تخاطب الأمراء ، والملوك ، في جميع مستعمرات الإمبراطورية
المصرية .

وانصرف الملك الشاب ، إلى التعمق في الفلسفة ، ودرس
الاديان المختلفة في هياكل طيبة ، تاركا إدارة المملكة لأمه الملكة



التي أحسنت
الإدارة ، وسارت
بالمملكة إلى أعلى
درجات الرقي
والعمران .

وكان يجد
سعادته في زوجته
الرائعة الجميلة ،
وفي التعمق في
فلسفة الدين
والوجود ، وتوصل
في بحثه إلى هذه
الحقيقة وهي :

أخناتون وأمه « نبي »

أن أمه الملكة « نبي » على حق في عبادة إله واحد ، لا يوجد
إله سواه .

وأن الفراعنة الأولين كانوا يعبدون هذا الإله في عين شمس .
وأن « أتون » هو هذا الإله غير المنظور ، الذي تشع منه
الحرارة والحياة .

وأن الإله « آمون » دُخِل على مصر ، أتى به فراعنة الدولة
السابعة عشرة ، حين طردوا الملوك الرعاة (الهكسوس) .

وأن الكهنة استغلوا هذا الإله أقبح استغلال ، وجمعوا
ثروة مصر في هياكله ومعابده ، وتسلطوا على الشعب ، بل تسلطوا
على الملك نفسه ، تحت اسم عبادة آمون ، وما يريده وما يطلبه
آمون ، الذي كانوا يستشيرون تمثاله في كل صغيرة وكبيرة .

والأرجح أنه كان داخل التمثال كاهن يتكلم كما يريده الكهنة
فيوهمون الشعب أن آمون يأمر وينهى ، فيخضع الشعب لإرادة الإله .
وطلب إخناتون أن يكون هو نفسه كاهن الإله ، ليقصى

كهنة آمون عن السيادة التي
أخذوها عن طريق الدين ، وعبادة
آمون .



أمنوفيس الرابع (إخناتون)

وثار كهنة آمون على إخناتون ،
واعتبروه متمرداً عليهم ، وعلى
إلههم آمون .

إن « إخناتون » كان يريد أن
يؤلف تفاهماً بين الإله الواحد
والبشر جميعاً .

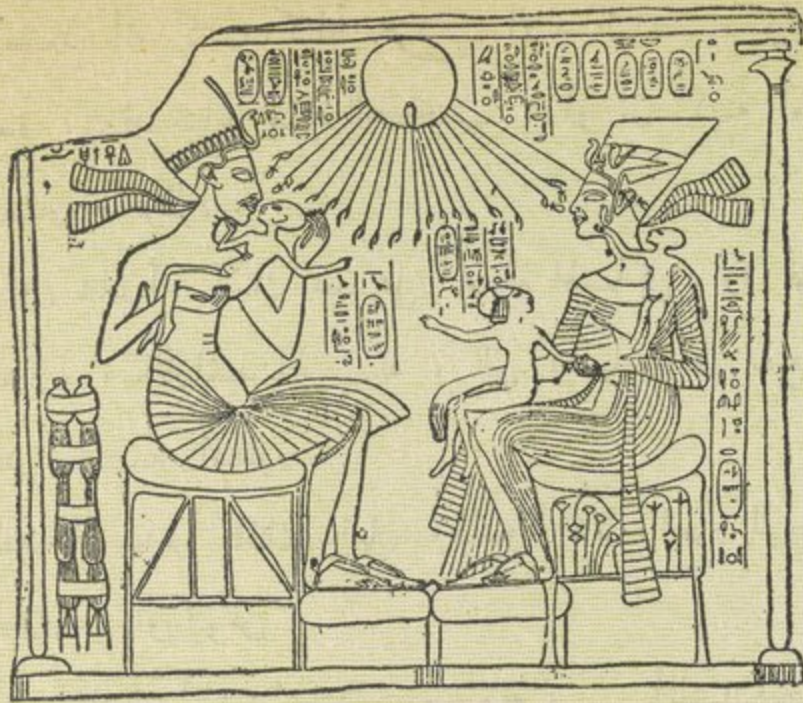
كان يريد أن يعلم مصر ، وشعب مصر ، أن الإله عظيم
وقادر على كل شيء ، وهو غير منظور ، ولا يراه أحد .
وأن البشر جميعهم إخوان ، لا فرق بين الفلاح الذى يعمل
فى الأرض ، وبين كاهن آمون داخل المعبد ، أو فرعون مصر
على عرشه .

كان يريد أن يضع حداً لعبادة الحيوانات ، فلا يجزع الشعب
إذا غضب العجل آيس ، أو ماتت القطه ، أو حقد التمساح .
لقد أحب الصراحة ، والصدق ، والاستقامة ، وأراد أن
يخلق من المصريين شعباً جديداً متحداً ، يعبد إلهاً واحداً .
إن « إخناتون » كان يريد أن يفهم الشعب ، أن فرعون ليس
إلهاً ، بل هو بشر مثلهم .

وكان إخناتون فيلسوفاً مفكراً ، بحث عن الحقيقة للوصول
إلى الإله الواحد .

ونادى كما نادى « أبابى » آخر ملوك الرعاة ، بعبادة إله واحد
فى مصر كلها ، وقال للناس ، إنه هو نفسه ، ليس سوى إنسان ،
كباقي الناس ، لكن الكهنة بالغوا فى اعتباره إلهاً ،
فوق البشر .

لقد عرف أن الكهنة استولوا على الفرعون ، وجعلوه
إلهاً ، لئلا يقيّدوه بقيود ثقيلة ، ويمنعوه من الاختلاط
بالشعب ، ويحيطوه بمراسم وطقوس تجعله آلهة فى أيديهم ، وعبداء
لما يفعلون ويرسمون .



أخناتون وزوجته وأطفاله وقرص الشمس

لقد أراد هذا الملك الشاب المفكر ، بل هذا النابغة
الفتى ، أن يستقل هو بشخصه ، وأن تستقل مصر وشعبها معه .
وقد اضطر أخناتون ، إلى أن يخوض غمار معارك ، دينية
هائلة ، مع طائفة الكهنة الأقوياء ، الذين كانوا ينصبون الفراعنة
على العروش ، بقولهم وإرادتهم .

لقد كان أخناتون أول فرعون مستقل في تاريخ مصر ،
وكان يقول :

« إن آمون له بداية ، أما نهايته ، فستكون على يدي » .

« أما الإله الحقيقي ، فلا بداية ولا نهاية » .

وقد استخلصت من كل ما قرأت في مئات المجلدات ، عن
هذا الملك الشاب ، أنه كان شاعراً وفيلسوفاً وكاتباً ومؤلفاً .

ولا أستبعد أنه كتب كتاباً عن الإله الواحد ، والحقيقة
الواحدة ، وقد ضاع هذا الكتاب ، أو أن كهنة آمون ،
وجدوه فأحرقوه .

وكان شاعراً ، لأنك تجد على أعمدة الهيكل ، وفي لوحات
تل العمارية ، الأناشيد الجميلة ، التي نظمها ، في مدح الإله
الواحد ، غير المنظور .

لقد كان شاعراً كالملك سليمان ، وفيلسوفاً كالامبراطور الروماني :
ماركوس أوريليوس .

بل يُقال إنَّ أناشيد سليمان ، مسروقة من أناشيد اخناتون .
لقد سرقتها اليهود ، ثم نسبوها للملكهم العظيم .
وإنك إذا قرأت مزامير داود الملك ، أو حكم سليمان ابنه ،
اتضح لك بجلالة أن هذين الملكين ، عرفا أناشيد اخناتون ،
واقتبسا كثيراً منها ، مما تجده حرفياً في مزامير داود ، وقد جاء
كلاهما بعد اخناتون بمئات السنين .

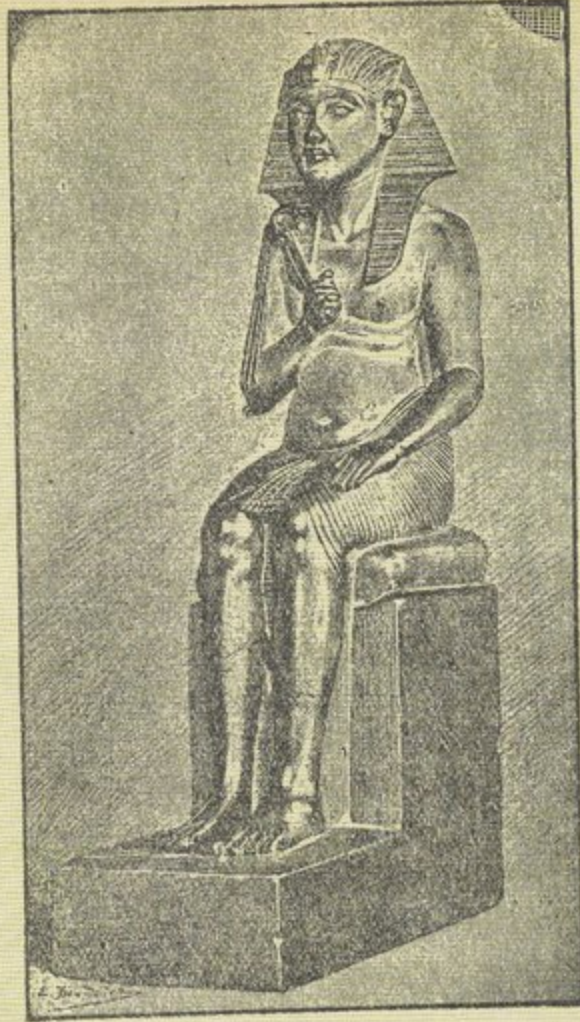
بل إنني أعتقد أن المزمور ١٠٤ من مزامير داود ، مأخوذ
بأجمعه عن أناشيد اخناتون .

ومنع اخناتون النحاتين ، والنقاشين ، والفنانين ، من صنع
تمثال للإله الواحد آتون ، بل منعهم أن يرسموا صورة له ،
إعتقاداً بأن الإله ليس مادّة ، وليست له صورة ، ولم يره
أحد قط .

وذلك يتفق مع ما جاء في الوصايا العشر ، من الديانة المسيحية .

ولم يسمح لأحد
أن يشرك إلهاً آخر ،
مع الإله الواحد .
فكان لمصر على
أيام ملكه ، إله واحد
غير منظور .

أما الشمس ، أو
قرص الشمس ، المحمر
بحرارة الإيمان ،
فكان رمزاً للإله
آتون ، ولم يكن
الإله نفسه .



وقد أخذ فلاسفة

امنوفيس الرابع (اخناتون) والتمثال في متحف
اللوفر بباريس
عن أشعة الشمس ،

من اخناتون فرعون الفيلسوف العظيم والحاكم العادل .
لم يعبد اخناتون الشمس ، ولا قرص الشمس ، بل جعله رمزاً
للإله الواحد ، المسمى آتون .

وبجرة قلم واحدة ، أبطل اخناتون فرعون ، عبادة آمون ،
وإيزيس ، وأوزوريس ، ومُت ، والآلهة الكبيرة ، والآلهة الصغيرة ،
والحيوانات . المتقمة فيها أرواح الآلهة ، وشطب أسمائها ،

وصورها ، ورسومها ، من المعابد ، والهياكل ، والأعمدة ،
واللوحات المعلقة ، في كل مكان ، حتى في قصره ، وغرفة نومه ،
وفوق سرير عرشه .

وإليك بعض أناشيده في مدح الإله الواحد : -

أنتَ الإله الواحد - أنتَ ورع ، .
بزوغك جليلٌ في أفق السماء ، يا آتون - يا حي -
يا مبدئ الحياة .

إذا ما صعدت في أفق السماء ، ملأت الأرض بجمالك .

أنت الذي لا شريك له !

أنت القادر على كل شيء !

تهبُّ الحياة لمن تشاء !

خلقت الأرض والسموات !

وخلقت كل ما يدبُّ على الأرض ، وما يمشي عليها ،

وما يطير فوقها .

خلقت الإنسان ، وجعلت بني الإنسان ، متساوين لديك .

لا فضل لإنسان على إنسان ، إلا بحبك وتقواك .

كل شيء يبدأ بك ، وكل شيء يعود إليك ، وينتهي فيك .

أنت البداية وأنت النهاية .

أنت خلقت الخير .

أما الخطيئة ، فهي من اختراع الإنسان .

لقد صنعها لنفسه ، فكانت النتيجة تعاسةً وشقاءً عليه .
أنت الذى تحفظ الروح ، إذا نام الانسان .
وتعطى الحياة ، للبيضة ، وهى فى الأجنة .
أنت الذى خلقت الشعوب ، مختلفة الألوان ، والأجناس ،
واللغات ، والأخلاق . ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس
أمة واحدة ﴾ .

لقد ارتفعت إلى السماء ، لترسل أشعتك إلى الأرض .
أنت الإله الحقيقى ، لا صورة ولا مثال لك .
أذكر إسمى فى سجل الخلود ، لكى لا يلحق بى الفناء ،
على عمر الدهور .

وثار كهنة آمون ، فى جميع الهياكل والمعابد فى طيبة ،
وجميع مدن مصر السفلى والعليا .
وابتدأت معركة دينية ، عنيفة ، بين أنصار اخناتون ،
وكهنة الإله آمون .

وتفشَّت الدسائس فى البلاط الملكى ، والهياكل ، والمعابد .
ونزعم الحركة الدينية الجديدة ، أصدقاء اخناتون المخلصون ،
وأمه الملكة العاقلة دى ، وزوجته الجميلة « نفر تيتى » .
وشعر اخناتون ، وهو فى السنة السادسة من ملكه ؛ أنه
لا يمكن القضاء على كهنة آمون ، ومنع الناس من عبادة الآلهة
الكثيرة المتعددة ، التى يتزعمها الإله آمون نفسه ، إلا بالقضاء

على عاصمة هذا الإله ، ومقر القيادة العامة للكهنة الأقوياء الأشداء .

نخطر له أن يضرب طيبة الضربة القاضية .

فأمر أن يُمَجَّى اسم آمون ، من جميع المعابد ، والهياكل ،
والمقابر ، وأن تُطَمَس جميع النقوش ، التي تشير إلى هذا الاسم
في طيبة ، وفي سواها من مدن القطر المصري .

وزاد على ذلك ، أن قرّر نقل العاصمة والعرش ، من طيبة ،

إلى بلد سواها .

ولما كانت عبادة آمون منتشرة في كل مدينة ، وبلد في مصر
السفلى والعليا ، اختطَّ اخناتون لنفسه ، بوساطة مهندسيه ،
مركزاً عالياً جميلاً ، أسَّس فيه عاصمة جديدة على النيل ،
بالقرب من أسبوط سماها «أفق آتون» ، المعروفة ، بتل العمارنة ،
حيث تقوم الآن قرية الحاج قنديل ، وهى مكان جميل ، تحيط به
التلال من ثلاث جهات ، فتؤلف بينها سهلاً منبسطاً واسعاً .
وبنى فيها الهياكل ، والمعابد ، والقصور ، والدور الجميلة ،
وشق الطرق الواسعة المستقيمة ، ونسّق منازلها ، وشاد الموانى
الفسيجة ، على ضفتى النيل ، ونحت فى الصخور مدافن لنفسه ،
ولزوجته الجذابة ، الجميلة ، «نفرتي» .

وأقام فيها كثيراً من المعامل لصناعة الزجاج الساذج ،
والملون ، ولصناعة المينا والفسيفساء ، وإتقان الأصباغ ،
والألوان ، وزخرفة التماثيل وتمويهها بالذهب ، وإنك لتجد
حتى اليوم ، فى أرضية قصره ، أبدع ما صنعت يد الإنسان ،

من النقش النفيس ، والحفر المدهش .

وقد اتفق المؤرخون ، أن الحفر والنقش والرسم بلغ في عهد
إخناتون في مدينة تل العمارنة ، ما لم يبلغه في طيبة ، أو في
أى مكان آخر في مصر .

حتى إن تمثال « نفر تيتي » الموجود حالياً في المتحف الوطنى
في برلين ، يعتبر أجمل وأكمل ، وأبدع وأروع ، وأحلى وأعلى ،
ما صنعه يد الانسان ، منذ قديم الزمان إلى الآن .

بل إن بعض المؤرخين جعلوا دقة صنعه ، أفضل مما
رسم رسامو إيطاليا ، في نهضتها الفنية المعروفة بالرينسانس .

وقد وقف المؤلف أمام تمثال نفر تيتي في برلين ، مأخوذاً
مندهباً لروعة ذلك الفن الساحر ، المنبسط على وجه تلك
الملكة ، وللنور الإلهى المنعكس من جبينها وعينيها .

وقد شعر أن ذلك التمثال ، يمسكه في مكانه ، فلا يستطيع
حراكاً ولا ذهاباً .

وهو نفس التمثال الذى كان يستهوى هتلر ، فيقف أمامه
الساعات مناجياً مفكراً مستوحياً .

وذكر لى أحد كبار الألمان ، أن هتلر لم يتزوج إيشا براون
إلا لأنه وجد فيها شيئاً مشابهاً لما رأى في ملامح نفر تيتي .

وليس تمثال نفر تيتي إلا شاهد عدل على دقة الصنع ، وجمال
النقش والرسم ، في أيام إخناتون .

وقد وقف المؤلف في معرض اللوفر في باريس ، أمام تمثال

آخر لأخناتون ، يكاد يكون كتمثال نفر تيتي في الرونق ، والروعة والإبداع .

وما أجمل ذلك اليوم ، الذي تعود فيه تلك التماثيل إلى وطنها الأصلي ، الذي انتزعت منه دون مسوغ .

ويعود الفضل في إنشاء تل العمارنة وهندستها إلى المهندس المصري « باخ » ، الذي أحسن تخطيطها ، وبني معابدها ، وهياكلها وقصورها .

وخاف كهنة آمون في طيبة من انتشار الدين الجديد ، والملك الجديد ، الذي كاد يكتسح الإله آمون ، وكهنته ، ومعابده . فأخذ هؤلاء الكهنة يدسون الدسائس في مصر ، وفي إمبراطوريتها الواسعة ، ومستعمراتها الكثيرة ، التي تمتد من شاطئ النيل ، إلى شاطئ دجلة والفرات .

ولما رأى كهنة آمون ، أن إخناتون أصبح حبيب الشعب ، ومعبوده ، وأن لا سبيل إلى القضاء على ملكه ، وإلهه الواحد ، ولا سبيل إلى إثارة الرأي العام عليه ، فتحو خزائن معابدهم ، المملوءة بالذهب والفضة والحجارة الكريمة ، مما حملة كبار فراعنتهم من فلسطين ، وسوريا ، وفينيقية . وممالك كنعان ، والحيثيين ، وعمدوا إلى إرسال الدعاة السريين من أصدقائهم ، ومواليهم ، وتلامذتهم إلى فلسطين ، وفينيقية ، وسوريا ، وميتاني ، وخيتا ، وكنعان ، ليثبوا بين طبقات الشعب كراهية مصر ،

وينشروا بين الناس أن فرعونها الجديد ، اخناتون ، رجل كافر ،
أصيب بالجنون ، وابتلى بداء الصرع .

وأن الإله آمون غضب عليه ، وأجاز قتله ، وقتل أهله ،
وأعوانه ، وهدم معابده ، وهياكله ، والتشنيع بأمواته ومقابره .
وقال كهنة آمون للمستعمرات المصرية المذكورة : « أن هبوا
للتخلص من نير مصر ، إن أمامكم فرصة عابرة قد لا تعود ، .
واشتعلت الثورة في المستعمرات المصرية ، وساد التذمر ،
والشكوى من فرعون مصر ، وحكامها . وشعبها .

وكان ملك ميتاني (سوريا الشمالية) والد الملكة نفرتيتي أول
من ابتدأ بالتذمر من الاستعمار المصري ، لأنه أبي أن يكون
زوج ابنته اخناتون كافراً زنديقاً .

وكان ابن ملك « بابل » قد جاء إلى مصر ، وتزوج بإحدى
بنات اخناتون ، فأرسل إليه والده ، ملك بابل ، عقداً فيه ألف
جوهرة . أما ابنه فلم يعد إلى بابل ، بل سكن مصر رغم
إرادة والده .

فاغتنم هذه الفرصة وثار على اخناتون ، وزوجته الملكة نفرتيتي
طالباً تعويضاً مالياً عما لحق به من ضرر .

ونهض أمير سوري آخر في جوار حلب ، فنادى بنفسه
أميراً مستقلاً عن مصر .

وثار عزيزو المندوب السامي المصري في سوريا ، وتحالف
مع الحثيين ، للخروج على سلطة مصر ، ورفض دفع الجزية

لفرعون ، متبعاً بذلك تعاليم كهنة آمون .
 وأخلص ملوك فينيقية كل الإخلاص لفرعون مصر ، وأرسلوا
 يندرون اخناتون بأن يسرع لإخماد ثورة عزيزو ، والحيثيين .
 وكتب إليه ملك جبيل ، وملك صيدا رسائل يشرحون فيها
 الحالة الحاضرة ، ويلتمسون منه الإسراع لإخماد الثورة ، والقضاء
 على الثوار قبل أن يستفحل الحال .
 وأرسل حاكم ثونب (بعلبك) كتاباً إلى اخناتون فرعون ،
 يحذّره من الثورة القائمة في شمالى سوريا ، ويقول له فيه :
 « إن ثونب (بعلبك) تبكى يا سيدى بكاءً مرّاً ولا مغيث لها .
 والتجأ حدد نيرارى ملك نوخاشى (حلب) Nukhashie إلى
 فرعون مصر أيضاً يطلب إليه الإسراع لإخماد ثورة الحيثيين .
 وكتب « ربّ ادى » Reb-Addi ملك ييبيلوس (جبيل) ، رسالة
 تفيض بالمحبة ، والإخلاص ، والتحذير ، وهو يصف له الحالة
 السياسية ، والعسكرية كما هي .
 وكان ملك ييبيلوس Pyplos (جبيل) مخلصاً وإخلاصاً أعمى ،
 لفرعون مصر ، فخارب ضد الثائرين إلى آخر لحظة من حياته .
 واجتهد الثوار للحصول على مساعدة ملك جبيل ، ووعدوه
 الوعود الكثيرة إذا انضم إليهم .
 ورفض ملك جبيل ، وحارب الثوار حرباً لا هوادة فيها .
 أما مصر فلم تنجده ، ولم تهتم لندائه .
 وكتب ملك صيدا (صيدون) المسمى Zimrida زمريدا ، إلى

اخناتون ليسرع لنجدة مستعمرات مصر ، التي تتساقط واحدة بعد الأخرى بيد الثوار .

وكتب أبي ملكي Abi-melki ، ملك صور ، يسأل ملك مصر ، أن يسرع للدفاع عن ممتلكات مصر ومستعمراتها .

وكان عزيزو الثائر ومن معه من الحيثيين ، يخبرون ملوك جبيل ، وصور ، وصيدا ، ويرجون منهم الانضمام إلى الثورة على مصر .

وكان هؤلاء يرفضون ويقاومون .

وفعل « رب ادى » ملك جبيل كل ما فى وسعه ، لمقاومة الثورة على مصر .

وجميع هذه الاضطرابات السياسية والعسكرية وقعت فى مستعمرات مصر لأن الحكام المصريين لم يكونوا مخلصين لعرش مصر .

وكتب اكزى Akzi ملك كتنا Ketna (حصص) يستنجد بملك مصر ليدافع عن ممتلكات مصر فلم يأخذ جواباً على ندائه .

وكتب ملك اوبى Ubi (دمشق) ينبئ ملك مصر بالثورة القائمة فى كل مكان .

وفى هذه الأثناء هجم بدو الصحراء المعروفون بقبيلة الخابيرى ، أو الخبيرى Khabiri على فلسطين وسوريا واحتلوا دمشق .

وكتب « عبد خيبا » Abd-Khiba حاكم القدس إلى اخناتون يفيدته أن بدو الخبيرى زحفوا واستولوا على مدن فلسطين .

ويقول بعض المؤرخين إن بنى إسرائيل كانوا قبيلة من

قبائل الخبيري استعمرت فلسطين في ذلك الحين .
وإنك لتجد رسائل هؤلاء الملوك في لوحات تل العمارنة ،
محفوظة لم تصل إليها أيادي العبث والقتل .
وقام ولاية اخناتون ، ومثله في فلسطين ، وسوريا ، وفينيقية ،
بما يقتضيه واجبهم ، بإنذاره بالخطر المحدق بمستعمرات مصر .
لقد أخلصت هذه المستعمرات إلى عرش مصر ، وبالأخص
رب ادي - ملك جبيل .

وقد قال الأستاذ برستد ، أنهم وجدوا في مراسلات تل العمارنة
ستين خطاباً مرسله من رب ادي ، ملك جبيل - إلى اخناتون .
لكن اخناتون كان ملك السلام ، وكان يكره الحرب
ويكره ضياع الأرواح ، والأموال .

لقد كان في إمكانه أن يرسل جيوشاً مصرية لإخماد
الثورة ، التي امتد لها في جميع آسيا الوسطى .

لكن الحقيقة أن كهنة آمون في طيبة ، توصلوا بدهائهم
ونفوذهم ، وحقدهم ، إلى أن يوظفوا في بلاط الملك اخناتون
أشد الناس إخلاصاً لهم ، وتحمساً لألهتهم وديانتهم .

فكان هؤلاء القواد ، والزعماء ، والرؤساء ، جواسيس
يعملون بأمر كهنة آمون في السر ، ويظهرون خضوعهم
وولائهم لإخناتون فرعون في الظاهر .

وقد كان رئيس هذه الطائفة السرية ، موظفاً كبيراً يسمى « تهوتو » .
كان هذا الموظف يصغر من أهمية ثورة المستعمرات

المصرية فى نظر فرعون اخناتون ، ومن جهة أخرى ، يرسل الثائرين
 سرّاً ليشتدوا فى ثورتهم ، ويخلعوا نير مصر عن بلادهم .
 وأرسل إخناتون قائد جيوشه إلى فينيقية وسوريا وقادش
 وبلاد الحيثيين ليدرس حقيقة الموقف عن كذب ، فكان هذا القائد
 أيضاً من دعاة كهنة آمون ، فخان مليكة إخناتون وشجع الثوار .
 ووصلت طلائع الثوار إلى حدود مصر نفسها .
 وكان اخناتون يكره الحرب ، وسفك الدماء البشرية ، ويعتقد

أنها لا تتفق مع
 المبادئ الإنسانية
 ومع عبادة الإله
 الواحد .

وعانى هذا
 الملك ، الفيلسوف
 الشاعر ، المفكر
 مرارة الألم ، حين
 رأى دينه الحقيقى
 ودعوته الوطنية
 الصادقة تتفكك ،
 وتحلّ أمام
 العدو ، فى الداخل
 والخارج .



« حور محب » رئيس جيوش اخناتون

وكانت جيوش الحيثيين قد وصلت إلى حدود مصر ، فأرسل
اخناتون قائد جيوشه الأعلى « حور محب » لمطاردتهم وهو لا يدرى
أن حور محب هذا ، كان أيضاً صنيعة كهنة آمون وجاسوسهم
الأكبر .

وترك حور محب (Harmhob) جنود مصر تتقهقر ، دون أن
تحارب ، فوق الاضطراب ، وعمت الفوضى في صفوف الجيش
المصرى ، والشعب المصرى ، طبقاً لخطة سرية وضعها كهنة آمون .
وكافأ كهنة آمون جاسوسهم حور محب بأن نصبوه بعد
ذلك فرعوناً على عرش مصر .

وأراد إخناتون أن ينقذ مصر من الخراب والدمار ، بعد
أن ثارت عليه المستعمرات المصرية ، ووصلت طلائع جيوشها
لمصر نفسها ، فطلب أن يتفق مع كهنة آمون .

* * *

وثارت عند ذلك نفرتيتى على اخناتون ، وفضلت أن يزول
الملك ، على أن يترك زوجها عبادة الإله الواحد ، ويعود لعبادة
الصنم « آمون » .

إن نفرتيتى ، كانت صغيرة حينما جاءت إلى مصر ، فعلمتها
الملسكة تى - أم اخناتون - عبادة الإله الواحد ، وشرحت لها أسرار
هذه الديانة الحقيقية .

وتعمقت نفرتيتى في معرفة الإله الواحد ، وتعبدت له ، شأن
زوجها اخناتون ، وأمه تى .

وتضرعت نفرتيتي إلى اخناتون أن يحارب في سبيل الإله
الواحد ، وأن لا يستسلم لكهنة آمون . لكن اخناتون
كان يحب السلم ، ويكره الحرب ، فلم يسمع لتضرعها .
ولما لم يصغ زوجها إلى نصائحها ، تركت قصره وعرشه ،
وذهبت إلى قصر لها على الضفة الأخرى من النيل ، حيث
عاشت بقية حياتها ، وحيدة فريدة ، تعبد الإله الواحد الذي آمنت
به ، وأخلصت له .

وكانت الثورة في الخارج ، وثورة كهنة آمون في الداخل ،
تزيد في هموم اخناتون وأحزانه .

وخاف اخناتون على ملكه من الضياع ، ولم يكن له ولد
ذكر ، لأن نفرتيتي أنجبت له ست بنات .

وزوج الكبري منهـن واسمها مريت أتون Maritaton محبوبة
أتون « لصديقه الحميم » سا كرع « Sakere » ، ثم أشركه معه في
الملك ليكون ولي عهده بعد موته .

وزوج ابنته الأخرى ، واسمها « انخس انفرت » لصديقه الآخر
توت عنخ آمون المشهور .

ومات اخناتون وهو في الثلاثين من عمره ، بعد أن حكم ست
سنوات في طيبة ، كانت أمه في خلالها القائمة على العرش ، وحكم
عشر سنوات في تل العمارنة .

وأن التاريخ ليقف مندهشاً من عبقرية اخناتون ، وجرأته في

نشر آرائه الفلسفية ، ومذهبه الدينى فى عصر قديم ، مثل العصر
الذى عاش فيه .

وتوفى بعده صديقه وصهره ساكرع ، فانتقل الملك إلى
توت عنخ آمون ، الذى ترك تل العمارنة — وعاد إلى طيبة .
ووضع نفسه تحت تصرف كهنة آمون ، وغير اسمه من
« توت عنخ أتون » إلى « توت عنخ آمون » .

وعادت السلطة ، وعاد النفوذ إلى كهنة آمون ، وأصبح
الفرعون الجديد توت عنخ آمون آله فى أيديهم ، يديرونها
كيف يشاؤون .

وقد اختلف المؤرخون فى تاريخ توت عنخ آمون ، ولم يعرف
أحد من هما أبواه .

وليس فى لوحات تل العمارنة ، أو معابد طيبة ، ما يشير إلى
أمه أو أبيه .

ولقد درست تاريخ هذا الملك الشاب ، وبحشت عن مولده ،
فلم أصل إلى حقيقة ثابتة . لكنى استنتجت من جميع ما قرأت ،
وعرفت أن « توت عنخ آمون » ، كان ابناً غير شرعى لإخناتون
فرعون من إحدى سراريه ، قبل أن يتزوج الملكة نفرتيتى .
ثم زوجه إخناتون من ابنته انخس أتون .

وليس ذلك غريب فى تاريخ مصر ، فقد كان زواج الأخ
بأخته شائعاً وكثيراً .

بل أن رمسيس الثانى تزوج إحدى كريماته .

لكن توت عنخ آمون مات وهو في الثامنة عشرة من عمره ،
وقد اكتشفت مقبرته أخيراً ، وفيها أجمل وأبدع الحلى والنقوش .
لكن كثيراً مما وجد فيها ، كان مما صنعه اخناتون ، لأن
توت عنخ آمون لم يعيش طويلاً لينشئ شيئاً ، أو ليبني قبراً .
وبعد موت توت عنخ آمون ، تولى الملك الكاهن الأكبر
« أبى » ، فحاول تعزيز عبادة أتون ففشل .

وبعد موته قال كهنة آمون ، إن الإله ظهر لهم ، وأمرهم
أن ينصبوا حور محب (قائد جيوش اخناتون وجاسوسهم القديم)
فرعوناً لمصر .

فنادوا به ملكاً ، بعد أن زوّجوه بفتاة من دم فرعونى ،
تدعى : مونتمزمت Muntezmeet ، (يرجح أنها أخت اخناتون)
ليجعلوا حقه فى الملك شرعياً .

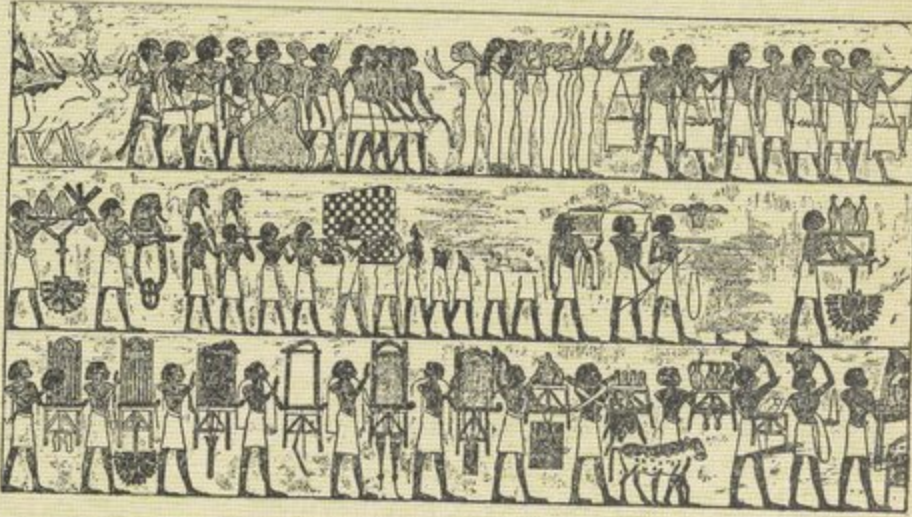
وهجم كهنة آمون على عاصمة اخناتون فى تل العمارنة ،
فعبثوا بالمدافن ، والمعابد ، والهيكل ، ومحووا اسم اخناتون ،



مشهد جنازة الفرعون حور محب
قسم من جنازات الفراعنة وترى الناووس محمولا على مركب

من جميع الرسوم ، والنقوش ، وقضوا على كل أثر لهذا
الملك الشاب الصالح .

ومات حور محب ، دون أن يرزق أولاداً يرثونه ، فانتقل
الملك إلى رمسيس الأول مؤسس الدولة التاسعة عشرة .



تابع - مشهد جنازة حور محب

الدولة التاسعة عشرة : من ١٣٥٩ إلى ١٢٥٣ قبل الميلاد .
استولى رمسيس الأول على العرش ، وهو في سن الشيخوخة ،
وتوفي بعد ستة أشهر ، فانتقل الملك إلى ابنه ساقى .

هذا هو ساقى الأول ، ابن رمسيس الأول ، مؤسس الدولة
التاسعة عشرة .

وأول عمل حربي قام به ، هو أنه شنّ الغارة على عرب

الخيري الذين استولوا على فلسطين أيام اخناتون ، وأكرههم
على دفع الجزية لمصر .

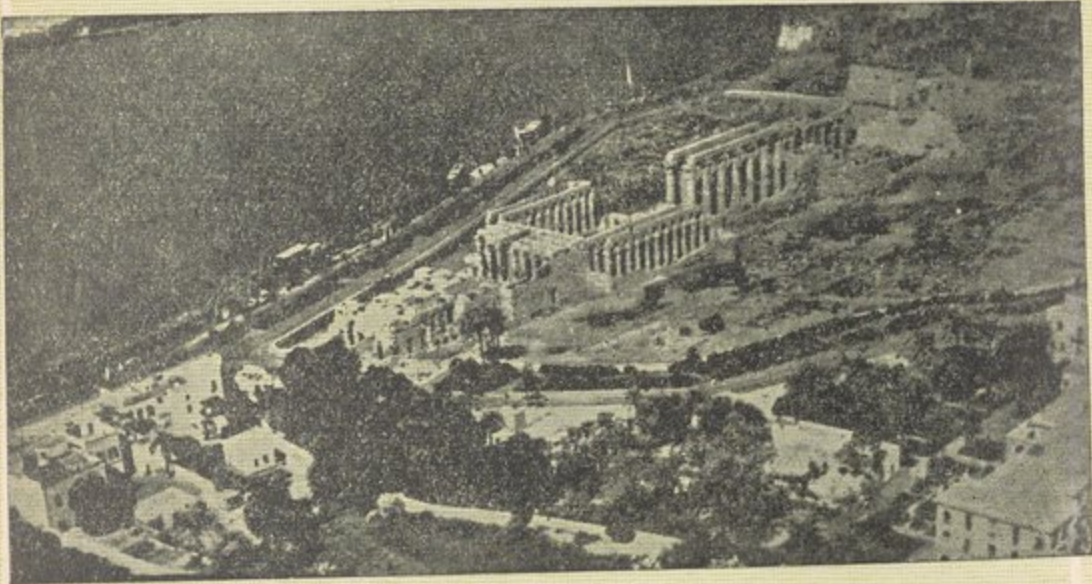
ويقال إنه حفر قناة من النيل إلى البحر الأحمر .

وهو الذي بنى أعظم ما شيدته يد الإنسان ، في تاريخه
الطويل ، وهو قاعة الأعمدة في معبد الكرنك في الأقصر .

إن قاعة الكرنك العظمى ، تعتبر أعظم أعمال البشر ، لأنها
أعظم قاعة ذات عمد ، أقامها البشر على ظهر البسيطة حتى الآن .

* * *

إن الكرنك بناء قديم ، لا نعرف من ابتداء في تأسيسه
— لكن أقدم إسم وجد منقوشاً على جدرانته هو إسم الملك
أوسرتسن أحد ملوك الدولة الثانية عشرة — وإن لا أجزم أنه
هو الذي بنى هيكل الكرنك أو هيكل « أبت » ، كما كان يدعونه
قدماء المصريين .



طيبة — صورة هيكل الكرنك في الأقصر مأخوذة من الجو
والهيكل على النيل وإلى الجهة الأخرى من النيل نجد وادى الملوك
وقد ظهر جزء صغير منها

وقد زحف على فلسطين وأخضع قبائل البدو ، وسار إلى
كنعان (غربي فلسطين وسوريا) وعبر نهر الأردن إلى جهة
حوران Houran ، ثم قفل راجعاً إلى لبنان ، في ذات الطريق
التي سار عليها قبله تحوتمس الثالث ، وأخضع مدينتي صور
وصيداء وجميع شواطئ فينيقية جنوبي نهر الليطاني ، Litany ، ثم
تابع سيره إلى أولازا Ullaza على النهر الكبير ، وأرسل وراءه
ملك قبرص (ألسا) Alasa ، فجاء إليه حاملاً هدايا كثيرة على
عادة ملوك تلك الجزيرة .

ثم أقفل راجعاً إلى غربي سوريا والجليل ، واستولى على مملكة
الأموريين ، التي أسسها عزرو على أيام اخناتون .
وقد كانت مملكة أمور ، خط الدفاع الأول عن مملكة
الحيثيين .

والتحمت جيوش مصر ، بجيوش الحيثيين (خيتا) ، ودارت
بينهما معركة شديدة ، على نهر العاصي (أورنتوس) ، حارب فيها
ساقى الأول بنفسه ، وانتصر انتصاراً تاماً ، واستولى على عاصمتهم
كرشاش القائمة على نهر الفرات ، وقطع رؤوس ملوكهم وزين بها
مركبته الحربية .

ويعتبر قبره في وادي الملوك في الأقصر ، أكبر وأعظم قبور
الفراعنة .

لقد زاره المؤلف ، فوجد داخله ، الطرقات ، والحجرات ،
والتشعبات ، والانحدارات ، التي تنيف على أربعائة وسبعين قدماً



صاحب هذا الكتاب والسيدة حرمه في وادى الملوك أمام مقبرة ساتى الأول التي تعد من عجائب الدنيا ، لما فيها من الابداع في النقش والرسم — ان وادى الملوك عبارة عن جبال وهضاب وتلال ووديان ، وقبل اكتشاف المقبرة الأولى لم يكن أحد يدري أن تحت تلك الرمال والصخور توجد تلك المدافن الأثرية المدهشة — باب صغير محفور في الصخر تنزل في درجاته الكثيرة الى قلب الأرض حيث تجدد المومياة وجميع ما عز عليها في حياة الدنيا من التحف ومتاع الحياة — وينتقل الانسان بين تلك الجبال والوديان ، من قبر الى قبر ، أو من قصر الى قصر بما فيه مما يدهش العقل ويسحر اللب ، ويتساءل : أين هي أرواح القراعنة ؟ ومتى تعود الى هذه المومياة ، التي لا تزال تنتظر رجوع الروح منذ أكثر من سبعة آلاف سنة !!!

تحت الأرض ، جميعها محفورة في الصخر ، وفيها من الحفر
والنقش ، والرسوم ، ما يحير الألباب .

إن النقوش والتصاوير لم تكن للزينة ، بل
هي التاريخ مسجل على الصخور والأعمدة والجدران ، وفي
المعابد والمقابر .

أما جثته (المومياء) فقد وجدت سالمة في تابوت مرمرى
بديع ، نقل من مقبرته في طيبة إلى دار الآثار في القاهرة .
وإنك إذا نظرت إلى مومياء ساقى الأول ، رأيت على وجهه
ملائح العظمة والآلهة والجلال .

وأوصى ساقى الأول بالعرش بعد وفاته إلى أحد أبنائه ،
لكن رمسيس الثانى اغتصب الملك من أخيه ، كما هو مدون
في الرسوم على جدار معبد الكرنك .

لقد كان رمسيس الثانى ابن ساقى الأول ، أعظم ملك
ارتقى عرش الفراعنة .

وهو الذى يلقبه اليونانيون بسيزوستوريس .

إنه الفرعون الذى استعبد اليهود ، كما ورد في التوراة
(العهد القديم) ، وقد دعاه المؤرخون بفرعون الفراعنة .

كان رمسيس الثانى أول من فتح قناة السويس ليصل
البحر الأحمر بالبحر المتوسط . ثم حفرت ثانية أيام الامبراطور
دراجان ، وهديان . ثم حفرها عمرو بن العاص ، فطمرتها

الرمال ، إلى أن جاء دى ليسبس ، فحفرها بمحاذاة التربة القديمة .
وقد بنى رمسيس الثانى أسطولاً بحرياً عظيماً ، مؤلفاً من
أربعائة سفينة ، فعبر البحر الأحمر ، واستولى على جزائر
بحر الهند .

وامتدَّ ملكه فى أوربا ، إلى النمسا ، ونهر الدانوب .
وكان أول من رسم خارطة على الورق - وضعها لدولته
العظيمة ، وفتوحاته الهائلة .

وفى أيامه ، أصبحت فلاسفة اليونان تلاميذاً لكهنة مصر ،
فتعلموا منهم الفلسفة ، والدين ، وغيرهما من العلوم والفنون .
ثم سكبوا جميع ذلك فى بوتقة جديدة ، نشروها فى العالم ،
تحت اسم الفلسفة اليونانية ، التى ابتدأت بتاليس ، وانتهت
بأرسطوطاليس .

وانتشرت الفلسفة والعلوم ، فى أيام الدولة التاسعة عشرة ،
فشجع ملوكها أهل الأدب ، والشعر ، وأحاطوا العرش بالأدباء ،
والشعراء ، أمثال يانتور ، وكاكايو ، ولنستين .

ويقال إن قصة على بابا المشهورة مأخوذة عن أصل مصرى
قديم ، يتعلق بهجوم ضباط مصريين على مدينة يافا (Jappa) على
أيام تحوتمس .

ونقل رمسيس الثانى عاصمة ملكه من طيبة إلى تنيس (Tanis) .
وكثر على أيامه وجود السوريين والفينيقيين فى مصر .

وأصبح للفينيقيين (اللبنانيين) حى مخصوص بمنف ، ومعابد
جميلة لآلهتهم ، بعل ، وعشتروت .

وأخذت الكلمات الفينيقية تندمج في اللغة المصرية ، وأخذ
كتاب ذلك العصر ينمقون ويزينون كتاباتهم باستعمال بعض
مفرداتها .

وكان لرمسيس الثاني ابنة ، ولع بها وأحبها حباً شديداً ،
فسمّاها اسماً فينياً ، وهو : (بنت إناث) Bint Anath .
وأصبح رئيس شرطة القصر الملكي فينياً ، وهو المدعو :
(بن عوزن) Ben-Ozen ، واشترك في إدارة الحكم في مصر .
وتمكن ضابط بحري فينيقي يدعى (بن أناث) Ben-Anah
من زواج كريمته ، من ابن رمسيس الثاني .
إن معظم المباني والآثار الباقية في مصر الآن ، هي من
عهد رمسيس الثاني .

فقد ملأ مصر هياكل ومعابد من تانيس إلى بلاد النوبة .
وحوت مائدة فرعون أجمل الزينات ، وأدوات الترف ،
من فينيا ، وسوريا ، وقبرص ، وخيتا ، وما بين النهرين .
ومر رمسيس الثاني في حروبه بلبنان ، وسجل اسمه على
صخور نهر الكلب (Lycos) .

وإنك لتجد على صخور نهر الكلب نصباً مصرياً يمثل فرعون
منتصباً أمام إله الشمس (رع) يقدم له ذبائح ، وتجد نصباً آخر
عليه كتابة مصرية قديمة تصف حروب رمسيس وفتوحاته الكثيرة .
وعلى نصب آخر تمثالاً للإله آمون .

سم زار رمسيس فرعون مدينة جبيل (بيلوس) ونزل ضيفاً

على ملكها حيرام ، وقدم له هدايا كثيرة وبني معبداً لإله المدينة .
 وقام بجيوشه من جبيل إلى بوتريس (البترون) Botrys ،
 وهي بزرون Bozron كما تظهر في لوحات تل العمارنة .



رمسيس الثاني

وكانت البترون قلعة قديمة ، بناها أهل صيدا للدفاع وصد
الهجوم الآتى من الشمال نظراً لوقوعها عند مدخل الطريق الذى
يؤدى إلى رأس فانيال Phaniel المعروف الآن (برأس الشقعة)
الذى يسيطر على الموقف الحربى للدفاع عن المدينة المقدسة جبيل .
وسار من البترون إلى بلدة جيفارنوس (انفه) ، ومنها مشى
فى غابات الزيتون الواسعة فى الكورة ، ماراً بطريق الأرز ،
زاحفاً بجيشه إلى المكان الذى تقع عليه مدينة طرابلس الآن .
ولم تكن مدينة طرابلس معروفة ذلك الحين ، بل كان مكانها
ثلاث قرى صغيرة ، هى : محلة (Mahallat) ، وكايز (Kaiz) ،
ومايزا (Maiza) .

ثم اتحدت هذه القرى الثلاثة بمرور الزمن ، وتألقت منها
مدينة طرابلس ، ومعناها المدن الثلاثة .
وسار من المدن الثلاثة إلى سميره (رأس الشمر) بالقرب
من اللاذقية على النهر الكبير .
ومن هناك قام بجيشه لمحاربة الحيثيين فى قادش على نهر العاص .
وكان الحيثيون (خاني) دولة قوية عظيمة .

معركة قادش : على نهر العاص سنة ١٢٧٨ قبل الميلاد .
اتبع رمسيس الثانى خطة والده ساقى الأول ، فى الغزو والحرب
فابتدأ بإخضاع الشاطئ الفينيقي ، ليحمى ظهر جنوده فى سيرها
شمالاً نحو مملكة الحيثيين .

وهبَّ ملك الحيثيين المدعو «منلا» ، وجمع حوله ملوك كار ،
وارواد ، وكنعان ، وملك حلب ، وبعليك ، وملوك
آسيا الصغرى .

وزحف رمسيس الثانى فى مقدمة فيلق آمون ، نحو نهر
الأورنتس ، مخترقاً سلسلة جبال لبنان الشاخنة .

وبلغ رمسيس مدينة قادش وقت الظهيرة .
وانسحب الملك (منلا) إلى شرق عاصمته ، متخذاً مكاناً
حربياً ممتازاً .

ثم عبر نهر الأورنتس ، قائداً جيشه العظيم المؤلف من
جيوش ممالك عديدة .

وشطروا فيالق رمسيس ، إلى شطرين .
وأتسعت مقدمة جيوش الحيثيين ، وطوّقوا جيوش رمسيس ،
والمعسكر المصرى بأكمله .

وكاد الجيش المصرى أن يقع فريسة باردة لجيش ملوك
الحيثيين .

حينئذ أسرع رمسيس بنفسه ، وهو يقود عجلته الملكية مخترقاً
جيوش الأعداء ، فأوقع فيهم الرعب والذعر ، واندفع كثيرون
منهم إلى النهر ، وغرقوا فيه ، حتى أن ملك حلب غرق فى النهر
كما نرى فى الرسوم المنقوشة على أعمدة هيكل الكرنك .

لكن المصريين رغم البطولة الهائلة ، التى قام بها رمسيس ،
أُكْرهوا على التقهقر .

وكاد رمسيس يخسر المعركة .

بل كان الخوف عظيماً أن يقع رمسيس نفسه ، أسيراً
بيد الحيثيين .

لكن جيوش الحيثيين وجدت أمتعة المصريين ، وأدواتهم
وعجلاتهم ، وثيابهم ، مبعثرة أمامهم بكثرة ، فأخذوا في السلب والنهب
وتركوا جيش مصر يفلت من يدهم .
ولو ثابروا على مطاردة الجيش المصرى ، لقضوا عليه القضاء
المبرم .

في هذا الحين وصلت إمدادات عظيمة ، من الفيالق المصرية
المتأخرة .

فسار رمسيس فى مقدمتها ، وكرّ راجعاً على جيوش الحيثيين
فوجدهم منهمكين بتوزيع الأسلاب والغنائم ، فأبادهم عن آخرهم ،
وإنك لتجد تاريخ هذه المعركة العظيمة منقوشاً بالصور والرسوم ،
على جدران الهياكل المصرية وأعمدة المعابد المقدسة فى الكرنك .



جيش المشاة المصري أيام رمسيس الثانى كما هو مرسوم على جدران المعابد

وتعدّ معركة قادش ، من أعظم المعارك في التاريخ .
وقد أبدع شعراء ذلك العصر ، بوصف هذه المعركة .
وأرسل ملك الحيثيين ، رسلاً إلى رمسيس ، يطلب منه الصلح ،
فوافق رمسيس على ذلك ، وعقدت معاهدة بين الدولتين .
وكانت هذه المعاهدة ، أقدم معاهدة دولية في التاريخ .
وزار ملك الحيثيين (خيتي) مصر بعد ذلك ، وحضر
الاحتفال بزواج كريمته « مات نفرو رع » (Matnafrure) إلى
رمسيس الثاني .



مومياء رمسيس الثاني

واحتلت هذه الملكة مكاناً ممتازاً في القصر الملكي ، وأقيم لها
تمثال عظيم بجانب تمثال زوجها الملك رمسيس .

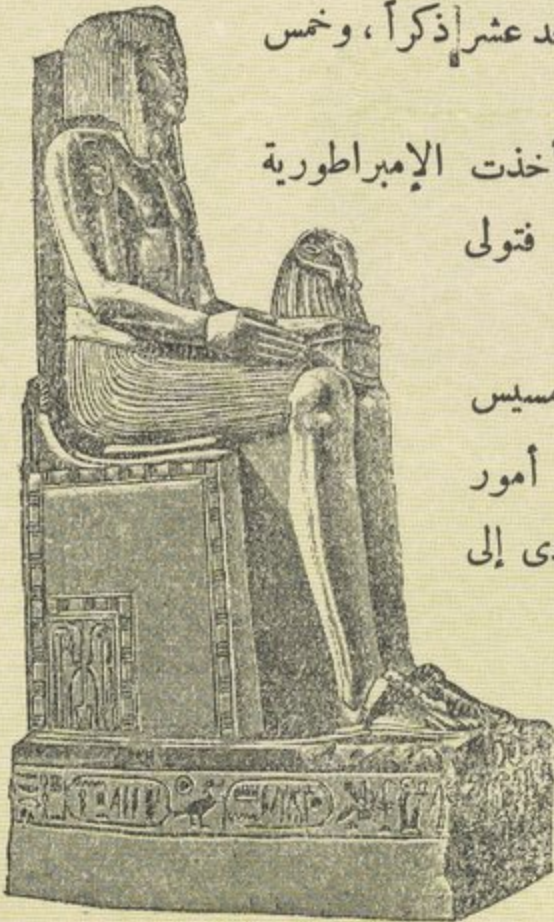
ومرضت أخت الملكة ، وهي في بختن في بلاد الحيثيين ، فأرسل
رمسيس تمثال المعبود ، خنسو ، لشفائها وطرده الأرواح الخبيثة منها .
واستمرت العلاقات الحسنة ، بين رمسيس وملك الحيثيين ،

ويقال إنه تزوج الابنة الثانية لملك الحيثيين .
وأصيب رمسيس الثاني بالعمى في أواخر أيامه ، ومات وهو
في الثمانين من عمره ، بعد أن حكم سبعة وستين سنة ، كلها
حروب ، وفتوحات ، وانتصارات .

وقد عاش رمسيس الثاني ، إلى بعد موت ثلاث عشر من أولاده .
ويقال إنه كان له مائة وأحد عشر ذكراً ، وخمس
وخمسون بنتاً .

وبموت رمسيس الثاني أخذت الإمبراطورية
المصرية في الهبوط والانحلال ، فتولى
العرش منفتاح فرعون .

ثم ساقى الثاني ابن رمسيس
الثاني ، وفي أيامه اختلت أمور
الدولة التاسعة عشرة ، مما أدى إلى
هجوم أمير سوري على مصر ،
فافتتحها وحكمها تحت اسم
فرعون ارسو ، وبهذا
الأمير السوري انتهت
الدولة التاسعة عشرة .



تمثال ساني الثاني

الدول الحديثة

الدولة العشرون : من ١٢٨٠ إلى ١١٠٠ قبل الميلاد .
هذه دولة ملوك رمسيس - أسسها فرعون «ستنفحت» ،
وابنه رمسيس الثالث ، الذي بنى مدينة هبو ، وجعلها معبداً عظيماً
للإله آمون .

لقد أصبح كهنة مصر ، فراعنة وملوكاً ، بعد أن كان لهم
نفوذ الفرعون ، لا عرشه .

ويبتدىء نفوذ الكهنة ، بوفاة رمسيس الثالث سنة ١٢٨٠
قبل الميلاد .

إن عدد الفراعنة الذين حكموا بعد رمسيس الثالث ، بلغوا
اثني عشر فرعوناً ، أظهروا من الضعف والانحطاط ، ما أدى
بعرش مصر إلى الانهيار ، وبالكهنة لبسط نفوذهم على العرش ،
وأصبح لكهنة آمون ، نفوذ عظيم ، يفوق نفوذ الملوك .

وعلى أيام هذه الدولة ، كان في فلسطين ، وسوريا ، ولبنان
وبلاد الحثيين ، مائة وتسعة وستون مدينة ، ترسل جميع إيراداتها
لمعابد آمون في مصر . إنما الفضل في هذه السيطرة العظيمة
يعود إلى ملوك الدولة التاسعة عشرة .

أما الفراعنة في الدولة العشرين ، فانصرفوا إلى اللهو ، والنساء

بما زعزع ملكهم ، وذهب بهيبتهم ، وفي أيام رمسيس الثاني عشر
كتب الحكيم المصرى « آنى ، وصاياہ الشهيرة .

لقد فسدت الأخلاق ، وضاعت الآداب ، ولم يعد لرجال
العلم ، والآدب ، والشعر ، ما كان لهم فى الدولة التاسعة عشرة ،
فى ظل ساقى ورمسيس .

ولم يعد من ذكر للأدباء والشعراء ، الذين أحاطوا بعرش
رمسيس الثانى ، ومنفتح الأول .

حتى أن أحد الأمراء ثار على ملوك هذه الدولة ، وجعل
عاصمته مدينة اترىبي (بنها) Atribis .

فانتقل العرش فى عهد رمسيس التاسع إلى يد الكاهن الأول
فأصبح هذا الكاهن الفرعون
العظيم المتسلط على كل
أرض مصر .

الدولة الحادية والعشرون :

من ١١٠٠ إلى ٩٧٥ قبل الميلاد

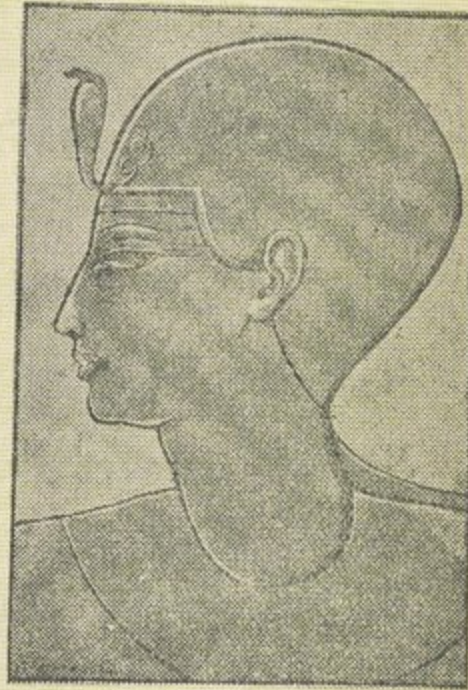
(دولة الكهنة)

لقد أسس هذه الدولة

الكاهن « هر - هور » .

إن ضعف الفراعنة كان

الدافع الأكبر لجلوس هر - هور



الكاهن هر هور فرعون مؤسس الدولة ٢١

وهي دولة الكهنة

على عرش الفراعنة ، وتنازل فرعون د هر - هور ، عن الملك إلى ابنه منخبوا فرعون ، الذى تزوج أميرة من ذرية ساقى الأول ، ليجعل مركز ملكه شرعياً أمام الشعب .

وكان حكم الكهنة بطبيعة مركزهم وعقليتهم ، حكماً هادئاً ، انتشر فيه الأمن والسلام والطمأنينة ، لكن الشعوب المحكومة المغلوبة على أمرها ، ثارت حينما شعرت أن روح الفتح وحب الحرب ، قد ضعفت في نفوس المصريين ، وأن ملوكهم أصبحوا كهنة مسالمين .

فأعلن الآشوريون استقلالهم عن مصر . وقام الملك داود فى فلسطين ، وأسس الدولة اليهودية الجديدة . واستطاع سليمان ، بفضل كهنة مصر وحبهم للسلام ، أن يؤسس عرشاً عظيماً يمتد من عريش مصر ، إلى نهر الفرات . ولولا حكم الكهنة فى مصر ، لما استطاع يهود فلسطين ، أن يضعوا أساس الملك العظيم ، فى عهد داود وسليمان . وكان عدد الذين يخدمون فى هياكل آمون ، يزيد على سبعة وثمانين ألف نسمة ، وكانت هياكل آمون تملك من أطيان مصر نحو خمسمائة وثلاثة وثمانين ألف فدان .

ولا شك أن كهنة آمون كانت لهم اليد الطولى ، فى خراب الإمبراطورية المصرية .

وتزوج الملك سليمان ابنة فرعون مصر د باساب كونت ، آخر فراعنة الدولة الحادية والعشرين ، وتعلم من الفراعنة فن العمارة

والبناء ، فبنى هيكله المشهور فى أورشليم .
ولا شك أن للفينيقيين الفضل الأكبر فى بناء هيكل
سليمان ، لأن الصّناع المهرة جاءوا من صور ، وصيدا ، وجبيل .
لقد أرسلهم حيرام ملك صور ، وعلى رأسهم حيرام المهندس
المعمارى ، والبناء الشهير ، وهو فنّان كبير ابن أرملة فقيرة .
لكن زواج سليمان بأميرة مصرية ، ساعد على اقتباس
هندسة هياكل مصر ، وفن البناء فى معابدها .
أنظر إلى هيكل سليمان ، تجد فيه التشابه العظيم بالهيكل
المصرية القديمة .

فالعמודان « جاكى » و « بوعاز » الواقعان فى مدخل الهيكل
أخذ رسمهما عن المسلات القائمة فى مدخل هيكل الكرنك .
ولم يكن بيت غابة لبنان ، فى هيكل سليمان سوى
تقليد مأخوذ عن قاعة الأعمدة فى هيكل الكرنك .
وانتهت الدولة الحادية والعشرين ، بوفاة ملكها الأخير ،
فرعون هوبا سبتتا .

الدولة الثانية والعشرون : (فى تل بسطة بالشرقية) من
٩٤٥ إلى ٧٤٥ قبل الميلاد .

هذا هو « شيشنق » ، رئيس الدولة الثانية والعشرين .
إنه من أصل فينيقى ، رغم أن بعض المؤرخين يعودون
به إلى ملوك الليبيين .

كان والده المسمى «نمرود» لبنانياً ، هاجر إلى مصر ، ثم أصبح قائداً للجيش المصرية بجمعها .

وأخيراً انتزع الملك من يد الكهنة ، وتزوج بأميرة منهم ليجعل حقه في العرش شرعياً بمقتضى القانون .

أنظر إليه ، لقد نقل ملكه من طيبة إلى بسطة بمديرية الشرقية ، في المكان المعروف الآن بتل بسطة بالقرب من الزقازيق ، ليسكون قريباً من فينيقية ، وبعيداً عن طيبة وممفيس .

وخاف فرعون شيشنق ، أن يعود الكهنة إلى العرش ، فوضع قانوناً لا يجوز بمقتضاه أن يصبح الكهنة ملوكاً ، ولا أن يتولوا أية وظيفة في الدولة .

ومن أهم ذكريات هذا الفرعون ، أن ملك إسرائيل استغاث به ، فذهب إلى أورشليم بألف ومائتي مركبة ، وستين ألف فارس ، وحارب رحبعام بن سليمان الملك ، وافتتح فلسطين ، ونهب هياكل سليمان .

وكان سليمان الملك قد مات في تلك الأثناء ، بعد أن وصلت أخبار غناه الفاحش ، وثروته العظيمة إلى مصر ، مما أطمع فراعنة مصر بكنوز سليمان .

وجاء في التوراة وفي الأصحاح الرابع عشر ، في كتاب الملوك الأول ، أن «شيشنق» ملك مصر ذهب إلى أورشليم ، وأخذ خزائن بيت الرب ، وبيت الملك ، وجمع أتراس الذهب التي

عملها سليمان (١) .

وتاريخ هذه الحروب نراه اليوم مرسوماً على حائط هيكل
الكرنك في الأقصر .

وتوفي شيشنق ، فتولى الملك بعده ابنه أوسرتسن الأول .
وفي عهد هذه الدولة ظهرت مملكة نينوى الغنية العظيمة ، التي
عبرت الصحراء فيما بعد ، واستولت على مملكة مصر .

الدولة الثالثة والعشرون : من ٧٤٥ إلى ٧١٨ قبل الميلاد .
وضع أساساتها « بدبست » ، فرعون ولقب نفسه من
أمون ، أى حبيب آمون .

وفي عهد هذه الدولة ، انقسمت مصر إلى عدة إمارات
صغيرة مستقلة ، ورجعت إلى ما كانت عليه قبل عهد الملك مينا .

الدولة الرابعة والعشرون : من ٧١٨ إلى ٧١٤ .
أسسها بوكوريس فرعون ، بعد أن طرد فراعنة ملوك
الأحباش ، لكن ملك الأحباش عاد فخاربه ، وأحرقه ميتاً .

الدولة الخامسة والعشرون : من ٧١٤ إلى ٦٦٣ قبل الميلاد .
لقد جاء فراعنة هذه الدولة من الحبشة .

(١) ملوك الأول ص ١٤ ع ٢٥ و ٢٦ .

فقد جاء ملك الأحباش المدعو « ساباكا » ، فرعون إلى مصر ، وأسس الدولة الخامسة والعشرين .

وكان فراغة هذه الدولة يتقاضون ضريبة من يهود فلسطين ، مائة وزنة من الفضة ، ووزنه من الذهب في كل عام .

ومن ملوكها « نب أبوى » الذى لقب نفسه بذى القرنين .
وعنه أخذ الإسكندر الكبير هذا الاسم ، ولقب نفسه به « إسكندر ذو القرنين » .

وفى سنة ٦٧٢ جاء أبصرهدون « منحاريب » ملك الآشوريين إلى مصر .

فلما وصل إلى حدود الوجه البحرى ، قابله ملك مصر ، طهراقه فرعون ، وحاربه وأرجعه إلى ما وراء حدود مصر .

وقام فى آشور ملك آخر يدعى « آشور بانينسال » ، هاجم مصر ودحر جيوش طهراقا فرعون ، وزحف بجيوشه ، حتى وصل إلى طيبة .

الدولة السادسة والعشرون : من ٦٦٣ إلى ٥٢٥ قبل الميلاد .
وجاء « بسماتيك » فرعون ، وهو رأس الدولة السادسة والعشرين ، فطرد الآشوريين من مصر .

وقد هاجم فلسطين وحاصر مدينة أروتوس (أشدود) واستولى عليها .

وفى أيامه انتشر العلم ، وعمت المعارف ، وبدأ المصريون

لأول مرة يستعملون الحروف الأبجدية ، بدلا من الكتابة
الهيروغليفية ، بالصور ، والرسوم .

وفي عهد هذا الملك ، انتشرت الحضارة المصرية ، والديانة
المصرية في اليونان ، وجميع شواطئ البحر المتوسط .

ثم جاء « نيكخوس » ، فرعون فشق القناة ، التي تصل البحر
المتوسط بالبحر الأحمر ، وسار بجيشه لفتح سوريا ، ف وقعت بينه
وبين السوريين معركة كبيرة في مدينة كاديتيس (غزة الآن) .

وفي أيام ابنه « إيساميس » ، فرعون ، أصبحت مصر مركزاً
تجارياً هاماً ، يلتقي فيه الآشوريون ، والفينيقيون ، واليونانيون
والرومانيون .

وأضمت مصر معاهدات تجارية ، اقتصادية ، مع ملك صور ،
وصيدا ، وجبيل .

إن الشعب الوحيد الذي أحبه المصريون ، هو الشعب
الفينيقي (اللبناني) .

فقد أدرك المصريون أن الفينيقيين ، ليس لهم أي غرض
أو غاية ، سوى التجارة ، والمبادلة ، فأوسعوا لهم بينهم ، وتركوهم
يقيمون في أي مكان يشاءون .

فكان لهم في ممفيس حيٌ مخصوص ، وهياكل ، ومعابد
لإلههم بعل ، يقيمون فيها طقوسهم الدينية ، دون أن يتعرض
لهم كهنة آمون .

وفي أيام حفيده المدعو فرعون « خفرع » ، زحف « نبوخذ نصر »
بجيش عظيم على مصر ، فافتتحها ، وهدم هياكلها ، ومعابدها ، وشنق
فرعون خفرع ، وأقام أحد أعيان المصريين نائباً مكانه
على العرش .

لكن مصر لم ترض بهذا الذل والاستعباد ، فتمردت على
ملوك فارس ، وطردت حكومتهم من مصر .

وجاء بعده « أماسيس » فرعون ، فأصلح القانون
المدني في مصر ، وحثَّ على كل مصرى أن يقدم لحاكم مدينته
خلاصة عن إيراده ، وثروته عن كل عام (الضرائب) .
وقد زار « صولون » مصر ، وأخذ هذا القانون عن المصريين ،
ونفذه في أثينا ، على اليونانيين .

الفتح الفارسي

الدولة السابعة والعشرون : ٥٢٥ قبل الميلاد .

وفي عهد بسمانيك الثالث ، ابن أمازيس فرعون ،
سامت العلاقات بين مصر وفارس .

فزحف قمبيز بن كورش الفارسي سنة ٥٢٥ قبل الميلاد ،
بجيش جرار لمحاربة مصر ، وتأديب الثائرين ، والمتمردين .
وكان قمبيز ملكاً جافاً الطبع ، مغرمًا بالفتوحات ، مجباً
لسفك الدماء .

اتَّصل بملوك العرب ، وأرسل أعوانه إليهم ، يطلب المعونة
والمساعدة لقطع الصحراء .

وخاف ملوك العرب ، فأرسلوا الجمال ، تحمل إلى الصحراء
زقاقاً مملوءة بالماء .

والتقى جيش مصر بجيش الفرس ، عند مصب النيل الشرقى .
وكان قبيز يعلم أن المصريين يعظمون الكلاب والقطط ،
فأمر بجمعها ، ووضعها في مقدمة جيوشه .

فتوقف المصريون عن إطلاق سهامهم خوفاً من أن تصيب
تلك الحيوانات المقدسة .

فانهزم الجيش المصرى بقيادة «سمانيتوس بن رمسيس» ، ورجع
إلى منفيس ، فتبعهم قبيز ، وحاصر منفيس واقتحمها ، وقبض على
فرعون وقتله ، وقتل ابنه أيضاً .

ثم نهب منفيس ، وذبح «ايس» العجل المقدس ، وفرق لحمه
على جنوده .

وقصد مدينة «هايس» ، وأخرج جثة الملك «أماسيس»
من قبره وأحرقها .

ثم نهب مدينة طيبة ، وأحرق قصورها ومعابدها .
وحارب «نستاسن» ملك النوبة ، وسار إلى أن وصل إلى
الشلال الثالث ، ولكنه لم يقطع صحراء أبي حمد .

وكان ذلك في أثناء وجود المؤرخ «هيرودوتس» في مصر ،
وقد جاء ليشاهد مصر ، ويدرس تاريخ آثارها ، ووضع تاريخاً

شاملاً عنها ، نقل أكثره عما شاهده بنفسه ، وما سمعه من الكهنة
الذين تحدث إليهم .

وذكر هيرودوتس في تاريخه ، أنه زار أرض المعركة ، وشاهد
جماجم الفرس مجموعة إلى جهة ، وجماجم المصريين إلى جهة أخرى .
فدرسها وفحصها ، فوجد جماجم المصريين قاسية صلبة ، لأن
المصريين يحلقون شعور رؤوسهم وهم صغار السن ، فقتلت
الجمجمة ، وتتصلب بوساطة حرارة الشمس .

أما الفرس فكانت جماجمهم ضعيفة لينّة ، تثقب بسرعة وسهولة .
وقد يتساءل القارىء ما الذى كان يدعو الفرس لاحتلال مصر ؟
والجواب على ذلك هو قناة السويس ، ورغبة الفرس في
الاستيلاء على هذا الجزء من العالم ، الذى يسيطر على المواصلات ،
والتجارة بين الشرق والغرب .

هكذا كان بالأمس ، وهو كذلك اليوم .

بل إن قبيل طمع في الاستيلاء على قرطاجنة ، فأرسل
خمسين ألفاً من جنوده لاحتلال واحة آمون في ليبيا ، ليجعلها
نقطة ارتكاز في هجومه على قرطاجنة ، لكن عاصفة رملية
هبت على جيشه ، فطمرته جميعه تحت الرمال ، وبادوا على
بكرة أبيهم .

وبينما كان قبيل يتمتع بمصر وخيراتها ، اتصل به أن
الثورة قامت عليه في بلاده ، وأن نائبه في الملك استولى على
العرش ونادى بنفسه ملكاً ، فأسرع بالرحيل عن مصر .

لكنه مات مسموماً في سوريا وهو في طريقه إلى عاصمة ملكه .
ويقال إن نائبه في الملك أرسل من وضع له سماً في
طعامه ، ثم نادى داريوس بنفسه ملكاً مكانه .

وجاء داريوس إلى مصر ، ودعى نفسه « ابن رع » ، أى
ابن الشمس ، وعبد العجل أبيس .

ثم أتمَّ بناء القنال ، التى تصل البحر الأحمر بالنيل .
وبنى معبداً للإله آمون في واحة الخارجة .

وقد كان ملكاً عادلاً ومحبباً ، فتفاهم مع السكينة وأصلح
شرائع مصر ، وكانت له اليد الطولى في منافع عمرانية كبيرة .

وفي سنة ٤٩٠ ق . م ، سمع المصريون أن الفرس بقيادة
ملكهم داريوس ، قد خسروا معركة ماراثون ، أعظم معركة في
التاريخ ، تغلب فيها عشرون ألفاً من الأسبرطيين ، وانتصروا
على مائتى ألف جندي من الفرس .

فقام المصريون وثاروا على حامية الفرس في منفيس ، وقتلوا
زعيمهم وقائدهم كاباتس ، ثم قتلوا جميع الحامية ، التى تركها
الجيش الفارسى للمحافظة على مصر .

ومات داريوس في تلك السنة ، فجهز ابنه زركسيس جيشاً
عمرماً وقصد مصر ، فافتتحها واستولى عليها ، وأدب العصاة
الذين ثاروا فيها .

ثم عاد المصريون فثاروا على الفرس ، على ارتاكسر كس بن
زركسيس ، وطلب المصريون مساعدة اليونان ، أعداء الفرس .

فأرسل لهم بركليس الشهير ، زعيم أثينا ، جيشاً كبيراً تغلبوا به
على الفرس .

لكن ارتاكسركس جمع ثلاثمائة ألف جندي ، فانتصر
على جيوش مصر ، وجيوش اليونان معاً .

الدولة السابعة والعشرون :

وفي سنة ٥٠٤ ق . م . نهض نافاروت فرعون بشورة كبرى
على الفرس ، وطردهم من مصر ، وأسس عرش الفراعنة
من جديد .

الدولة الثامنة والعشرون : (مصريون من سايس) .

وأول ملوكهم أمنرت ، فرعون .

الدولة التاسعة والعشرون :

فراعنتها من مهندس .

الدولة الثلاثون : من ٣٧٨ - ٣٤٠ ق . م ، فراعنتها

من سبيندس (سمنود) .

وأول فراعنتها نخ هروهبث (نكتانيس الأول) .

وحارب نكتانيس الفرس وطردهم من مصر ، فعاد الفرس
بقيادة أوكوس لمحاربة مصر على أيام نكتانيس الثاني ، فانتصروا

عليه ، فاضطرَّ أن يحمل نفائس عرشه ، ويهرب إلى الحبشة .
فدخل الفرس إلى مصر ، ونهبوا كنوزها ، وجميع ما وجدوه
في خزائنها ومعابدها .
وقد كان نكتانيس الثاني ، آخر فرعون مصرى حكم
في مصر .

وكانت عاصمة ملكه « سمنود » .
وبعد ذهابه انتقل العرش إلى الأجانب المتمصرين .

ويقول بعض المؤرخين ، أن نكتانيس الثاني ، هرب إلى
الحبشة حاملا مجوهرات عرشه معه ، ومنها ذهب إلى مسكدونيا ،
ويقال أنه هو والد الإسكندر الكبير ، إذ أنه ظهر لأولمبيا
أم الإسكندر بشكل الإله آمون (زيوس) فولدت منه الإسكندر
العظيم .

واستمرت مصر خاضعة للفرس ، إلى أن فتحها الإسكندر
الكبير سنة ٣٣٢ قبل الميلاد .



التاريخ الحديث

والعصر اليوناني المصري

لقد انقضى تاريخك القديم يا مصر .

وها أنا أرى الإسكندر العظيم ، أو ابن السماء ، كما زعمت أمه ،
ذاهباً لزيارة هيكل آمون (جوبيتر) في الصحراء ، لأنه ادعى أنه
ابن الإله آمون ، فصادقه كهنة مصر على ذلك .
إن لهذا الادعاء صلة بنكتانيس فرعون ، الذي ظهر لأم
الإسكندر بشكل الإله آمون .

ولو صحَّ هذا - لكان الإسكندر ذو القرنين مصرياً لحماً ودماً .
والآن وصل الإسكندر إلى غربي مصب النيل ، حيث يتقدم
رأس من الأرض في البحر المتوسط ، وحيث كانت خربة
ركوتيس الصغيرة (وهي قلعة بناها الفراعنة في الزمن القديم)
ليمنعوا قرصان اليونان من الدخول إلى مصب النيل ، والنزول
في شواطئ مصر .

وقد أمر ذلك الفاتح الكبير ، فقامت في الحال مدينة على
اسمه مكان ضربة ركوتيس ، هي الاسكندرية ، وحين عاد الاسكندر
من واحات آمون شاهد الاسكندرية مدينة عامرة عظيمة .
وكانت الاسكندرية ذات موقع عالمي خاص تنفرد به عن
جميع مدن العالم .

ولقد كانت قائمة على البحر الأبيض من جهة ، وعلى شواطئ
الصحراء من الجهة الأخرى ، وتسند ظهرها على أخصب مثلث
زراعى ، هو دلتا مصر المشهورة بسهولها الواسعة المخصبة الخضراء .
ومع أن الاسكندر ولد فى مكدونيا ، وافتتح العالم ، ومشى
على ضفاف دجلة والفرات ، واستولى على اورشليم ، وصور ،
ولبنان ، وفارس — فانه لم يحلم إلا بأن يدفن فى بلاد الجبابة ، تحت
الرمال الذهبية اللامعة ، حيث مشى الأبطال قديماً ، وحيث قامت
بعده دولة البطالسة ، التى كان ملوكها فراعنة لمصر ، ولم يستطع
المصريون أن ينظروا إليهم نظراً إلى الأجانب .

إن الإله آمون نفسه قال للبصريين ، أن الاسكندر هو
ابن آمون ، وملك مصر الشرعى .

إن هؤلاء الفراعنة الغرباء فضلاً كبيراً عليك يا مصر ،
مع أنهم تعلموا منك كثيراً .

فقد كان شعبك فى تلك الأجيال القديمة ، رغم كل علومه ،
وحكمة كهنته ، شعباً جاهلاً متكبراً متعصباً جنسياً ودينياً .

أما امتزاج العنصر الهلاسى بهم ، فقد أدى إلى فوائد عظيمة
للسعبيين معا .

فالمصريون هزأوا بآلهة اليونانيين ، وسخروا منها ، وضحكوا من
اعتقادهم أن حول الأرض نهراً واسعاً يحيط بها ، وأن الأرض
أشبه بصحن كبير .

وكان اليونانيون فى نظر علماء مصر أطفالاً لا يفهمون شيئاً .

لكن هؤلاء اليونانيين أسرعوا فأصلحوا أغلاطهم ، واستهزأوا
بكل ما عبده المصريون .

إن زينوفيس وقف مندهشاً حين رأى مصر تبكى وتنوح
متألماً لأوجاع أوزوريس ، وقال لهم : « إذا كان رجلاً فعليهم
ألاَّ يعبدوه ، وإن كان إلهاً فكيف سيكون لأوجاعه ، .

إن حكمة هؤلاء اليونانيين ، لبست ثوباً مصرياً ، وظهرت
بكل عظمتها في الإسكندرية ، التي تركزت فيها .

وصلت إليها كل علوم أثينا ، وإنتاج حكمائها ومفكرها ،
وفلاسفتها .

فقد كان معرضها الكبير جامعة عظيمة لكل باحثٍ منقَّب .
ومعهدا النبأى فناً علياً عديم النظير .

ومن الإسكندرية خرج علم النجوم والفلك — فأخذه العرب
عنها — ثم انتقل من العرب إلى أوروبا .

* * *

دولة البطالسة : ٣٣٢ إلى ٣٠ قبل الميلاد .

أراد الإسكندر الكبير ، أن يمزج الشرق بالغرب ، ويؤلف
منهما امبراطورية واحدة ، تكون الإسكندرية عاصمتها ، وقلبها
النا بض .

وقد أخذ فكرة إنشاء الإمبراطورية من المصريين ، لقد
أطلع على تاريخ مصر ، فعرف أنه كان للمصريين إمبراطورية
واسعة تمتد من بلاد الحبشة إلى أطراف الفرات .

فبنى الاسكندرية على مصب النيل ، حيث يلتقى النهر المقدس
بمياه البحر المتوسط .

لكن الاسكندر مات ، وهو فى سن الثامنة والعشرين ،
وترك طفلاً صغيراً من زوجة غير شرعية ، وطفلاً آخر من
حبيبته الفاتنة « روكسان » دعوه الاسكندر الثانى .



بطليموس الثالث عشر والد « كليوباترا »

وبعد موت الاسكندر — قتلوا ابنه هذا مع أمه وأخيه .
ثم هجم أحد القواد على أولمبيا ، أم الاسكندر الكبير ،
فقتلها أيضاً .

ولم يبق من نسل الاسكندر أحد يطالب بالعرش .
فاقتسم قواده مملكته ، فكانت مصر من نصيب بطليموس
ابن لاكوس أحد قواد الاسكندر الكبير ، ويقال إنه كان ابناً
غير شرعي لفيلبس المقدوني والد الاسكندر .

وهذا القائد هو الذي استقل بمملكة مصر تحت اسم بطليموس
الأول ، ثم أسس عرش البطالسة على مصر وليبيا والبلاد العربية .
وقد حكم من البطالسة ستة عشر ملكاً ، ودام حكمهم
في مصر نحو ٢٧٥ سنة .

وكان هؤلاء البطالسة فضل عظيم عليك يا مصر .
فجعلوا الاسكندرية طريقاً عاماً لجميع أمم الأرض ، وملجأً
أميناً لسفن البحار .

ووصل سكان الاسكندرية في أيام البطالسة إلى مليون
من السكان ، تجمعت فيها من جميع مدن الأرض .
وأصبحت الاسكندرية نقطة الاتصال بين الشرق والغرب .
وزالت عظمة طيبة ، وبمفيس ، وسواهما من المدن المصرية
القديمة .

وأصبحت مصر تتركز بأجمعها في النقطة الصغيرة القائمة على
شاطئ المتوسط التي دعيت على اسم الفاتح العظيم .

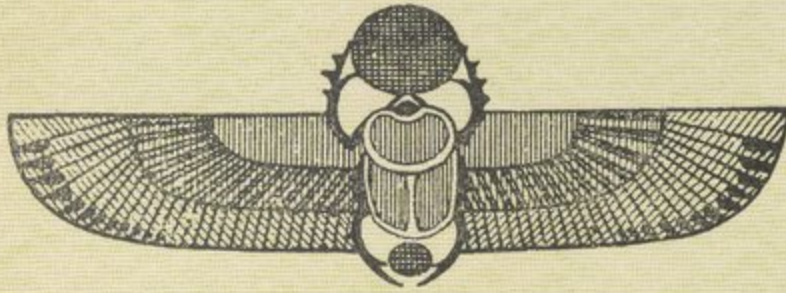
إن ثروة العالم تدفقت إلى الاسكندرية .
وعلم اليونان والرومان ، ومعارف وأسرار قدماء مصر ،
تجمعت في جامعة الاسكندرية ومدرستها ومكتبتها .
وكانت الاسكندرية في هندستها أشبه شيء بنيويورك اليوم .
شارع واحد متسع ، يمتد من شمالى المدينة إلى جنوبها .
ومن هذا الشارع — تتفرع بقية شوارع المدينة غرباً وشرقاً .
هكذا وضع تصميمها المهندس المشهور « دينوقراطس » ،
وأكثر من وضع التماثيل الرخامية على طول الشارع
الكبير .

وحين وضعوا تصميم مدينة نيويورك ، أخذوا ذلك عن مدينة
الاسكندرية القديمة .

ودينوقراطس هذا ، هو الذى بنى هيكل أفسس المشهور ،
والمعدود من عجائب الأرض والمدعو بهيكل أرطاميس .
ويقال إنه لما فرغ دينوقراطس من إنشاء الاسكندرية نظر
إليها الإسكندر وقال :

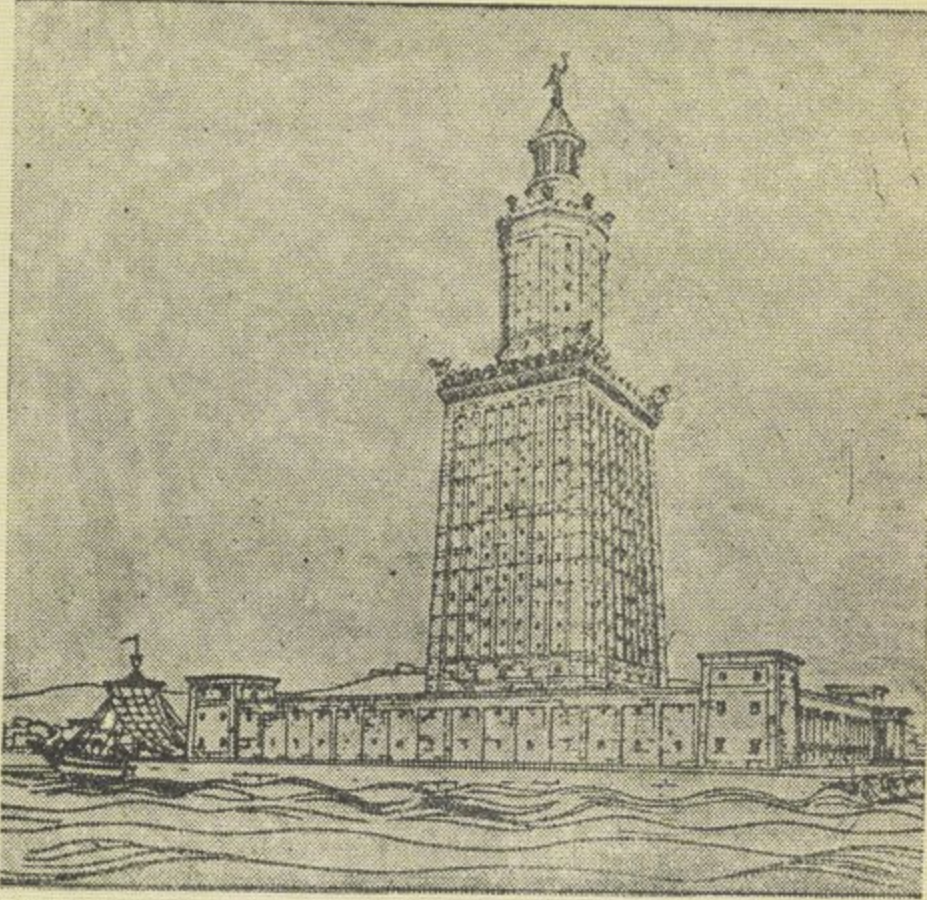
« لقد بنيت مدينة فقيرة إلى الله ، غنية عن الناس » .
ولا تزال الاسكندرية كذلك حتى هذا اليوم .
إنك تجد مدينة جميلة ، واسعة الشوارع ، عظيمة المباني ، تقوم
عليها التماثيل الرخامية فى كل زاوية ، وعلى كل طريق .
إنك تجد هيكل الإلهة إيزيس (أفروديت) تحيط به قصور
البطالسة .

وأمامه على مرتفع صغير يقع هيكل الإلهة ديونيسيس .
وهناك هيكل ومعبد اريزونا ، زوجة بطليموس الثاني .
إن البطالسة قلّدوا الفراعنة القدماء ، فجعلوا أنفسهم آلهة
يعبدهم الشعب ، كما عبدهم الفراعنة قبلهم .
وهناك إلى الأمام ، تجد بناء نفخاً عظيماً ، هو المتحف
التاريخي ، الذي انبعثت منه أنوار العلوم والفنون ، والذي كانوا
يدعونه الميوزيوم^(١) أو هيكل الآلهة .
وإنك لتشاهد القنال ، الذي يصل البحر المتوسط ببحيرة
مريوطس (مريوط) ثم يتصل بعد ذلك بالنيل المبارك .
ثم حفر البطالسة قناة تصل النيل بالبحر الأحمر حيث قامت
مدينتي اريزونا ويرانيس .



(١) ميوزيوم معناها هيكل الآلهة - (موز معناها الآلهة - ديون هيكل) .

منارة الإسكندرية



منارة الاسكندرية الشهيرة

وهذه منارة الاسكندرية ، بناها بطليموس الأكبر سنة ٢٧٠ ق.م .
فكانت من عجائب العالم ، حيث بلغ ارتفاعها أربعائة قدم .
وكانت تتألف من طبقات متعددة ، وعلى رأسها قبة عظيمة
فوقها تمثال يحمل مصباحاً .

وكان لها مرآة عاكسة ، يقال إن الناظر إليها كان يرى فيها ما يحدث في مدينة القسطنطينية .

ويقال : إن المرآة كانت تدار ، فتعكس أشعة الشمس القوية ، فتحرق السفن القادمة إلى الاسكندرية .

إن اختراع تلك المرآة العظيمة ، كان الأساس الأول لاختراع العدسات البلورية في العالم ، وقد وضع تصميمها المهندس العظيم « سوسترانوس » .

وفي عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك ، اتهم العرب يوناني الاسكندرية بأنهم كانوا يديرون المرآة ، فيساعدون الأروام على دخول مرفأ الاسكندرية .

فهدم الوليد بن عبد الملك نصفها ، وندم على ما فعل .

ثم أراد إرجاع البناء إلى أصله — ففشل .

وأراد إرجاع المرآة إلى مكانها ، فسقطت وتحطمت .

وقد شاهدها كثيرون من العرب ، وتحدثوا لنا عنها ،

وعما بقي منها ، أمثال ابن جبير ، وابن بطوطة ، والمقریزی ، وياقوت الحموی .

جامعة الإسكندرية ومكتبتها

وهذه جامعة الاسكندرية ، التي عرفت باسم جامعة الشرق .

لقد كان بطليموس الأول ، من خيرة البطالسة الذين حكموا مصر .

فقد شجّع العلماء ، والأدباء ، وأجزل لهم العطاء .
وأتى لعاصمة ملكه برجال الفن ، والبناء ، والفلسفة ،
والعلم والدين .

وشق الترع ، وأصلح الرى والزراعة ، ونشر التجارة ،
وعمّر الهياكل .

وأنشأ جامعة الاسكندرية ، التى عرفت باسم جامعة الشرق ،
وهى أول جامعة أنشأتها حكومة .

وقد كانت جامعة الاسكندرية ، جامعة لجميع أنواع العلوم
والفلسفة ، والرياضيات ، وأهمها علم الطب ، الذى أصبحت
الاسكندرية مركزاً له .

وفى هذه الجامعة ، ولدت مكتبة الاسكندرية الشهيرة ، ثم تحولت
المكتبة إلى مكتبتين :

كان فى إحدهما مائة ألف مجلد مخطوط ، أحرقها جميعها
بطريك الاسكندرية المتعصب ، نيوفيلوس .

وكان فى الثانية ثلاثمائة ألف مجلد ، وضعها البطالسة بتنسيق
وترتيب ، على الرفوف الجميلة ، المصنوعة من خشب الأرز ، فى لبنان .
وكانت عماراتها من أجل بنايات الدنيا ، وفيها التماثيل
الرخامية ، العديدة المثال ، وهى التى يقال إن عمرو بن العاص
أحرقها سنة ٦٤١ ميلادية ، بناء على أمر جاءه يقول : « إن كان
ما فيها يتفق مع القرآن ، فلا حاجة إليه ، وإن لم يتفق مع
القرآن ، فخرقه أفضل وأولى » .

وهذه سوق الاسكندرية ، حيث يلتقى المصرى باليونانى ،
والرومانى ، والعجمى ، واليهودى ، والأرمنى ، والسورى ، والفينيقي
والنوبى .

بل كانت الاسكندرية تعجّ بجميع أمم الأرض ، حتى من
الهند ، والصين .

هكذا كنتِ يا مصر ! جامعة أمم وشعوب ، وإنك لا تزالين
كذلك حتى اليوم ، وستبقين كذلك إلى الأبد .

وكانت الاسكندرية محطّ رجال الفن ، والعلم ، والأدب ،
والفلسفة ، والدين ، والمال .

قف على رأس هذا الشارع ، وانظر إلى هؤلاء الناس ،
يمرون فى شوارع الاسكندرية !

إنى أقدمهم لك ، وأعرّفك عليهم ، واحداً واحداً .

هذا ديمتريوس فالاروس — مؤسس المكتبة الشهيرة ، ومستشار
الحكومة فى الأدب ، والفن ، والنقش ، والحفر .

وهذا فيلاتس — عالم النحو ، والمؤلف المشهور فى اللغة ،
وأستاذ بطليموس الثانى .

وهذه هى السيدة العظيمة — هيباسيا الفيلسوفة ، والواعظة الشهيرة .
لأنها أشهر عالمة ظهرت فى التاريخ القديم ، وهى أستاذة
الفلسفة ، فى جامعة الاسكندرية .

وهذا اقليدس — واضع علم الهندسة — أنظر إليه ، إنه يمشى مع
تلميذه بطليموس الثانى !

اسمعه يقول لتلميذه: «إنه لا توجد طريق معبّدة إلى العلم» .
إن إقليدس استخرج وهو في الاسكندرية ، نظريته الهندسية
التي أصبحت اليوم — كما قال «اللورد ماكولي» ، يعرفها كل تلميذ .
وهذا هو الدكتور هيروفيلوس Herophilus — أول من
شرح جسمًا بشرياً ، ووضع علم وظائف الأعضاء .
لقد سمحت مصر للأطباء بالحصول على جثّة إنسان مجرم
لتشريحها ، حباً في العلم ، وخدمة للمعرفة ، بينما كان علماء اليونان
يكتفون بتشريح أجساد القروء .
وهذا بطليموس الأول — الذي كان ملكاً ، ومؤلفاً ، في
وقت واحد .

إنه يكتب مذكراته ، وقد تراه صاعداً على درجات المكتبة
التي وضع أساساتها بيده .
وهذا زينودوتوس ، الآتي من أفسس ، ليطلع في الاسكندرية
أشعار هوميروس شاعر اليونان العظيم .

وادخل إلى المكتبة الشهيرة ، تجد في القاعة الشمالية ، رهطاً
عظيماً يبلغ السبعين عالماً ، من أكبر علماء الأرض ، يشتغلون
ويعملون .

هؤلاء هم خلاصة جهابذة عصر البطالسة ، يقومون بترجمة
التوراة إلى اللغة اليونانية .

إن هذا العمل المجيد ، أخذ مائة سنة كاملة لينتهي .

ففي هذه المكتبة ترجمت التوراة لأول مرة .

ومثلها كتابي : زوروسترا ، وأفاستازندا .

وهذا الرجل ، ذو اللحية الطويلة السوداء ، ذو القامة
الممشوقة الجميلة ، هو الكاهن المصري مانيتون ، كاهن عين شمس
الأكبر ، الذي يتصل نسبه بالمصريين القدماء ، من معاصري
الدولة الأولى .

لقد ولد في « سمنود » ، لكنه خدم في معبد الآلهة
في أون « هليوبوليس » .

لقد أحضره البطالسة ليكتب تاريخ مصر ، منذ بدء وجودها .
لقد كتب تاريخ الأديان المصرية .

وهو الآن يضع باليونانية تاريخ الفراعنة المصريين -
ولولاه لضاع الكثير من تاريخ مصر القديم .

وهذا هو الكاهن أخوروس - جاء من أبيدوس ، ليطلع
على الحالة الروحية في الاسكندرية .

وهذا هو كاهن طيبة ، وبجانبه كاهن ممفيس .

اسمعهم يتناقشون في الكتاب الجديد الذي يترجمه البطالسة
ويدعونه التوراة ، إنهم يخشون أن يزاحم كتابهم الديني
المقدس ، المعروف - بكتاب الموتى .

وهذه قاعة الشعراء في مكتبة بطليموس .

أنظر إلى الشاعر « كاليماكوس » ، الذي عينه بطليموس الأول

مديراً للمكتبة فوضع بياناً أو فهرساً (كتالوج) للمكتب التي كانت فيها .

وهذا ثيوقريطوس — من سراكوس — أعظم كاتب في اللغة اليونانية .

وهذا أراثوثينس — Eratosthenes واضع علم الجغرافيا يضع الآن أول خارطة رسمية للعالم ، مبيناً عليها خطوط الطول والعرض . لقد عاد بالأمس من أسوان ، بعد أن جلس في بئر هناك ، يراقب دورة الأفلاك ، ويعين حجم الأرض ، بواسطة الشمس .

لقد تمكن من معرفة حجم الأرض ، وقياس طول قطرها ، فلم يختلف قياسه للأرض عن قياس علماء هذه الأيام ، سوى بخمسين ميلاً .

وهذا Appollonius (أبولينوس) — صاحب القطوع المخروطية — ربما أنه لا يدري وهو يشير في شوارع الاسكندرية الآن — إنه سيأتي يوم يأمر فيه هرون الرشيد — وهو سائر في شارع بغداد — بترجمة كتبه إلى اللغة العربية ، فيترجمها العرب وينتفعون كثيراً منها .

وهذا بطليموس الفلكي — مؤلف كتاب المجسطي ، الذي عرفه العرب وترجموه ، واستفادوا كثيراً منه .

وقد كانوا يعتقدون أن البطالسة آلهة كالفراعة ، فسموا كتابه المجسطي Magestic ، أي كتاب صاحب الجلالة .

وهذا «ديوفانتوس»، واضع علم الجبر، إنه يفكر في قواعد هندسية، وهو نازل من مكتبة الاسكندرية في طريقه إلى منزله. إنه لا يدرى أن سياقى بعد مئات السنين، رجل عربى اسمه: «جابر بن حنان»، يأخذ قواعد ديوفانتوس، ويؤلف منها فى اللغة العربية، علم الجبر الذى دعوه على اسمه بعد ذلك.

وهذا أرسطارخوس — إنه يشتغل بنقل تعاليم فيثاغورس، وينادى بأن الأرض تدور حول الشمس — وقد عين مسافة بُعد الأرض عن الشمس. فجاء العالم غاليليو، بعد قرون عديدة، يقول ما قاله أرسطارخوس.

لكن الناس نسوا أرسطارخوس وعرفوا غاليليو، لأن رجال الدين اضطهدوا غاليليو وحكموا عليه بالموت، فكان هذا الحكم سبباً لشهرته.

وهذا جالينوس، أبو الطب، يمشى مسرعاً، وربما لزيارة مريض فى قصور البطالسة.

إنه يتسهم لنفسه، فقد قررت جامعة الإسكندرية، أن تدرس كتبه الستة عشر لتلامذتها، وطلاب المعرفة فيها.

وهذا أرخميدس المشهور، وقد صرف سنبناً كثيرة فى الاسكندرية، يدرس تجاربه العلمية ويمتحنها.

لقد ولد فى سيراكوسه، لكنه درس فى جامعة الاسكندرية. ثم انتدبته إدارة هذه الجامعة، ليكون أستاذ علم السوائل، والميكانيكا.

إن صوته لا يزال يرنّ في أذنيّ ، وهو يسير عارياً
في الشوارع ، يصيح : « يوريكا ! يوريكا » .

ذلك أن هيروس ملك سيراكوسه ، صنع تاجاً من الذهب
وهو الآن يشك في أمانة الصائغ ، ويريد برهاناً على أن
التاج من الذهب الخالص .

وطلب من أرخميدس حلّ هذا الأمر .
وكيف يستطيع أرخميدس أن يكشف هذا الغشّ ، والمعادن
المشابهة للذهب كثيرة .

وحدث أن دخل الحمام ، والحوض ملأناً بالماء ، فغاص
في الماء .

فخرج من الحمام عرياناً ولشدة فرحه — طاف في الشوارع
يصيح : وجدتها ! وجدتها !

لأنه عرف كم يرتفع الذهب في الماء .
ثم جاء بالتاج ووضعه في الماء ، فلم يرتفع كما يجب ، فتأكّد
لديه أن التاج مغشوشاً ، وليس من الذهب الخالص .
وأمام هذه الحقيقة العلية ، اعترف الصائغ بما فعل .

وانظر إلى تلك الزاوية تجدد بيروسس — كاهن بابل العظيم
الذي جاء إلى مكتبة الإسكندرية ، ليستخرج من مجلداتها تاريخ
أشور ، وبابل .

أنظر إليه ، إنه يتحدث مع مينور الفينيقي ، الذي جاء

إلى الإسكندرية ، ليكتب تاريخ صور ، وصيда .
وهؤلاء الأشخاص المرعين هم أعضاء البعثة العلمية ، المسافرة
إلى بلاد أيبينا (الحبشة) لدرس أسباب فيضان النيل .
نعم إن الإسكندرية في ذلك الزمن كانت هي العالم كله .
وروما وأثينا - كانتا قريتين صغيرتين ، بالنسبة إليها .

تعالَ معي الآن إلى القسم الخارجى من مدينة الإسكندرية
حيث تقوم أحياء المصريين ، على أنقاض الاسكندرية القديمة ،
حيث كانت قرية راكوتى .

إن الإسكندرية في عهدها الأول ، كانت تدعى : راكوتى
الإسكندرية .

وإني لا أدري لماذا أبطلوا هذا الاسم المصرى القديم .
هناك احتكر المصريون علم الدين ، والعلوم التى تتمشى
مع الدين .

هناك ازدهر فن التَّحْنِيط ، لأن الرومان ، واليونان ،
اهتموا به اهتمام المصريين أنفسهم .

وهناك راجت تجارة التَّحْنِيط ، وكانت المورد العظيم
للكهنة ، والعمال .

لقد كان تحنيط الجسم يقتضى سبعين يوماً يقوم الكهنة
خلالها بحفلات ، ومواكب ، وطقوس دينية كثيرة ، تستدعى حضور
أهل الميت ، وأصدقائه ، ممَّا ساعد على رواج الأعمال ،

وبذل الأموال ، فى سبيل الحياة الأخرى .

وهناك خارج الاسكندرية ، على مسافات متعددة ، كانت تقوم
أماكن اللهو ، والعبث ، والمجون ، التى تسير يداً بيد مع العلم ،
والثروة ، والأدب ، والدين .

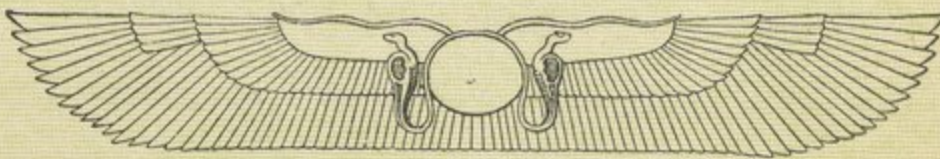
وهذه «كنوباس» ، حيث كان يذهب سكان الاسكندرية ،
للترهة ، والفسحة ، واللذة ، والمتعة ، والاصطياف .

هناك كانت تقوم القلات ، والقصور ، والمنزهات ، وأماكن
اللهو ، ومسارح سيدات الاسكندرية ، من مصريات ، ويونانيات ،
وسوريات ، وفينيقيات ، ويهوديات .

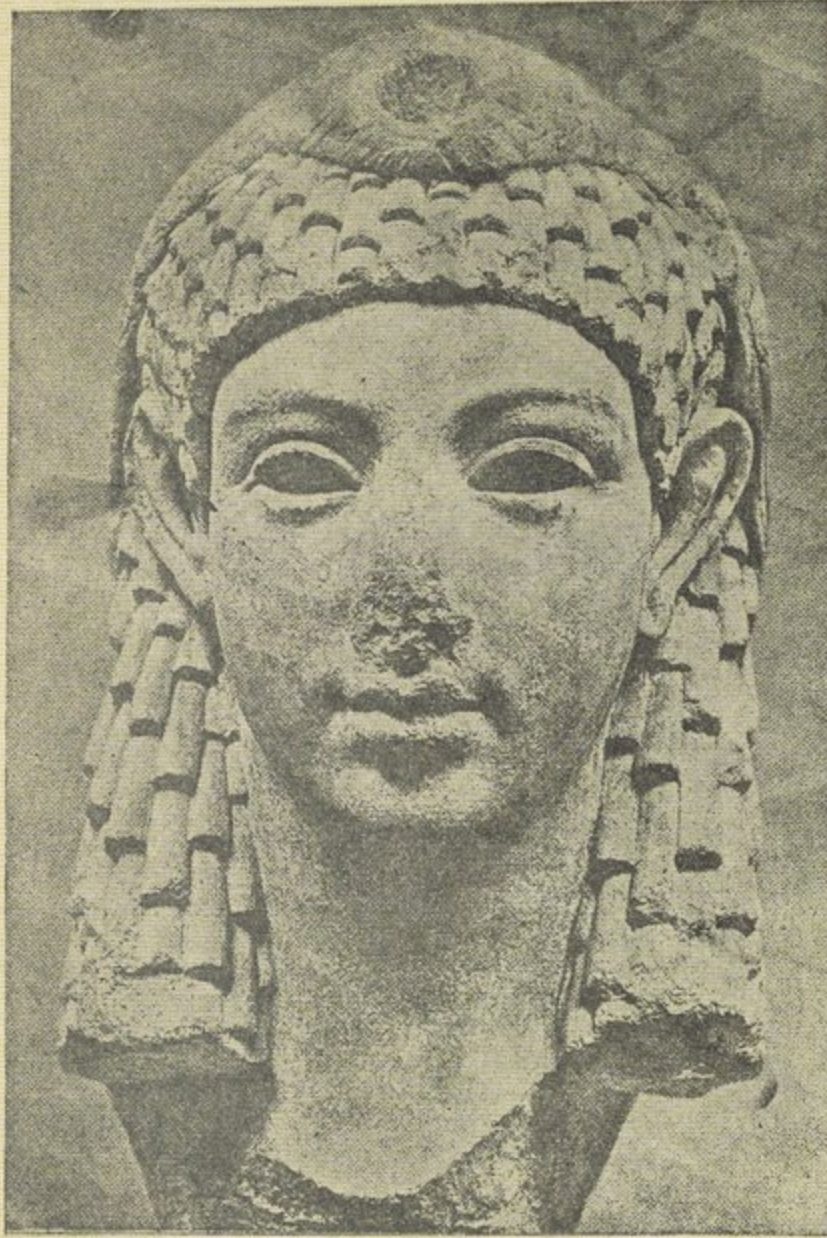
وكانت الحلى والجواهر التى لا يقدرها العقل بثمان - تلمع
مشعة على صدور السيدات ، وهنّ بلباسهنّ الأرجوانى ، الذى
كان يحمل طابع زىّ ذلك الزمن .

ألم تكن تاييس إحدى بنات الإسكندرية ؟ ؟ تاييس الجميلة
الفنانة المتهترة ١١ تاييس الراهبة ، التائبة المتعبدة .

وكم ، وكم من تاييس ، أبهرت البطالسة بحسنها وجمالها ،
ولعبت دورها فى ذلك المجتمع العظيم الرأقى .



كليوباتره

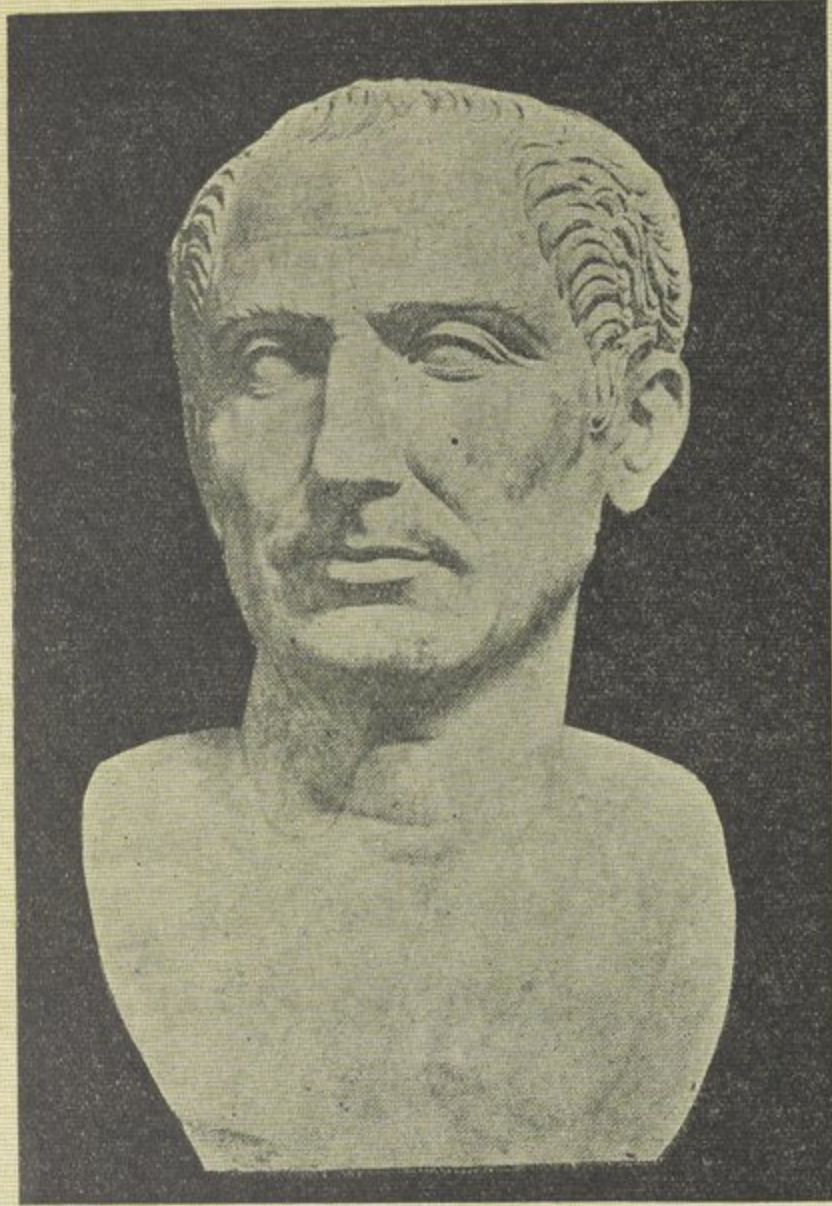


كليوباتره «ملكة وامبراطورة»

ها إني أرى كليوباتره ، تتزوج أخيها بطليموس ، وهو
في سن الثالثة عشر ، وذلك سنة ٥٢ قبل الميلاد .

وهي ابنة غير شرعية لبطليموس الثالث عشر .
وتاريخها مشهور مع يوليوس قيصر .
هذه المرأة التي قال عنها « بلوتارخ » : إن - جمالها يدخل
إلى كل قلب .
ومدحها « هوارس » كثيراً حين شكر السماء ، لأنها أنقذت
الأرض ، من هذه المرأة القاهرة .
هذه المرأة المصرية ، التي تحدت روما وإمبراطوريتها الواسعة
وكادت تأخذ منها عرشها ، وإمبراطوريتها ، وقيصرتها .
هذه المرأة - التي تساقطت الجبابرة عند قدميها .
هذه المرأة - التي غزت الغزاة ، وأخضعت الفاتحين .
وترك يوليوس قيصر زوجته ، وعاصمة ملكه ، وروما بأجمعها ،
ليكون بالقرب منها .
ها هو الآن يقطع النيل في مركب شراعى ، سائراً معها
من الإسكندرية إلى اسوان وجزيرة أنس الوجود (فيلى) حيث
صرفا ألباناً أيام حياتهما ، ونصبا عاموداً أثرياً لتلك الزيارة .
لقد طلق يوليوس قيصر زوجته ، وتزوج كليوباتره ، ثم أخذها
معه إلى روما ، فطمعت أن تضع تاج الرومان على رأسها ، أو على
الأقل على رأس ابنها سيزرون ، الذى ولدته من يوليوس قيصر .
لكن يوليوس قيصر ، سقط تحت خناجر الثائرين ،
وفرت كليوباتره هاربة إلى مصر .
وإن شئت أن تعرف مدى كره الرومان للملكة المصرية ،

فعليك أن تقرأ : فرجيل ، وهوارس ، وأوفيد ، وبروبرتيدس ،
الذين عاشوا في أيام أوغسطس قيصر (اكتافيوس) .



يوليوس قيصر الامبراطور الروماني الشهير وزوج كليوباترة .
لقد كان صوت شيشرون الخطيب الروماني ، يرتن على
منابر روما ، وفي مجلس شيوخها ، لاذعاً كليوباترة بأفظع الهجاء .
إن شكسبير أنصفها جداً في روايته « يوليوس قيصر » .

وهكذا فعل في عصرنا الحاضر الفيلسوف برناردشو ،
في روايته « قيصر و كليوباتره » .

أما أنا تول فرانس ، فتهجم عليها بلا معنى ، وتمثلها امرأة
تدفع الحروب بين يديها كيف سارت .

إن البطالسة وجميع سكان مصر ، (مصريين وأجانب) ،
كانوا يكرهون روما ، وأهلها ، وإمبراطوريتها ، كرهاً عظيماً ،
ويخشون أن تصبح مصر يوماً ما — مستعمرة رومانية .
لقد كان هذا الخوف معلقاً فوق رأس مصر ، كسيف
سوفوكليس .

لذلك كان الجيش المصرى ، والشعب المصرى ، يقف وراء
ملوكه البطالسة ، ويحارب في سبيل مصر .

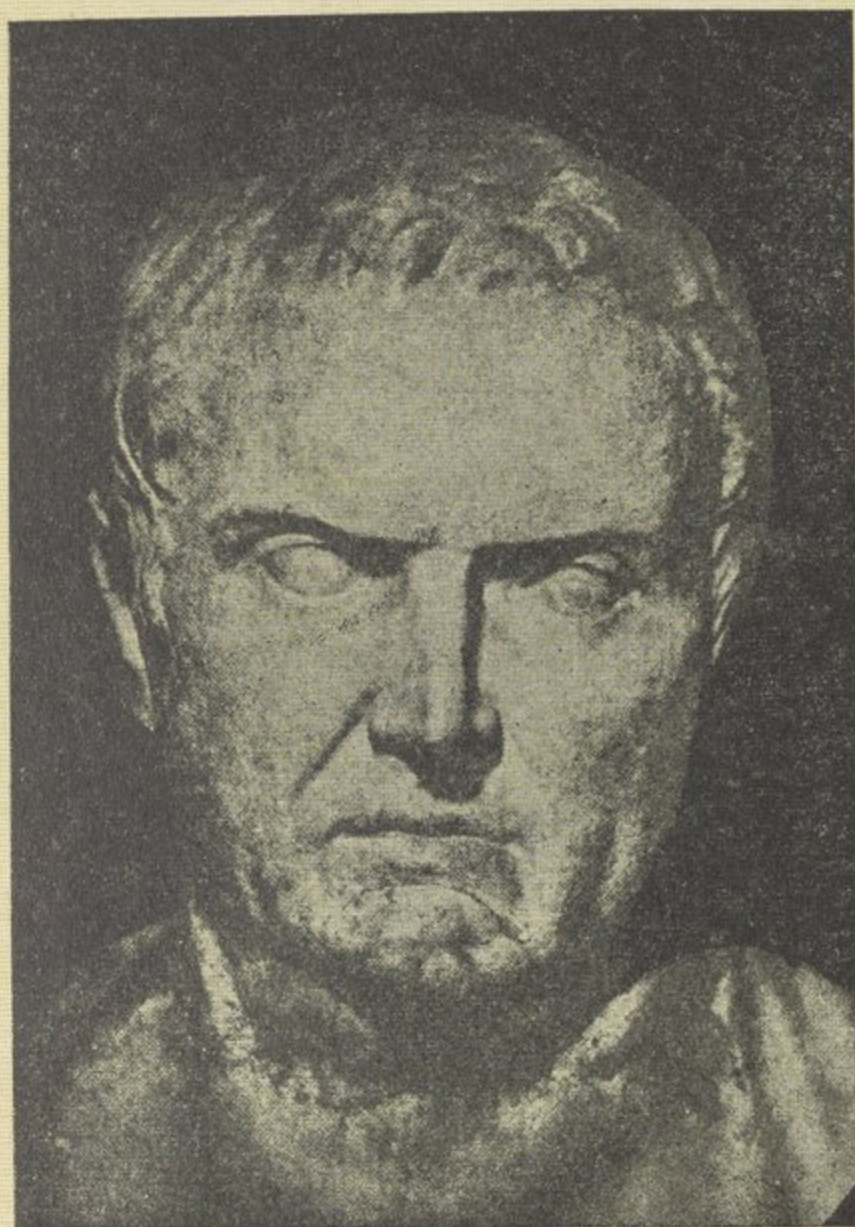
ولو عرفت كليوباتره ، أو عرف والدها بطليموس الثالث
عشر ، كيف يسوس الدولة ، لما سقطت مصر أمام مطامع الرومان .
لكن بطليموس الثالث عشر انصرف بفكره إلى الموسيقى
والفن والغناء ، فأضاع مصر والعرش .

أما ابنته — فاهتمت بجمالها ، أكثر مما اهتمت بعرشها .

وها هي كليوباتره ! أنظر إليها سائرة ، تقطع نهر طرسوس ،
في سفينة شراعية مذهبة ، أرجوانية القلاع والستائر .
لقد تزينت بأفضل ما عندها ، من الثياب ، والحلي ، والجواهر ،

وتعطّرت بأنحر أنواع العطور ، والبُخور ، فكانت أمواج النهر
تموج على نغمت الدفوف والقيثائر .

أنظر إليها الآن ! لقد أحضرت مارك أنطونيوس إلى مصر ،
أسيراً لجمالها ، وعبدًا لغرامها .



مارك أنتوني

هذه المرأة التي باع أنطونيوس وطنه ، وكرامته ، وشرفه ،
وزوجته ، وواجبه ، إكراماً لحبها ، وجمالها .

ألم يدعى « مارك أنطونيوس » ، أنه ابن « هرقل » العظيم .
ألم يقع « هرقل » ، في حب « أولمبيا » ، أم الإسكندر ؟
فلساذا لا يقع « مارك أنطوني » ، في حب « كليوباتره » .
لقد طلق زوجته أوكتافيا الجميلة ، أخت أوكتافوس قيصر ،
التي كانت أجمل امرأة في الإمبراطورية الرومانية ، ويذكر بعض
المؤرخين ، أنها كانت أجمل من كليوباتره نفسها .
هذه المرأة التي أرادت أن تهدم روما الخالدة ، وتضع
مكانها الإسكندرية ، التي كانت تحبها كثيراً .

لكن أوكتافوس يتمشى بسرعة إلى عرش الرومان ،
عرش يوليوس قيصر ، فكان أول بلد فُكّر فيه ، مصر ،
وأول امرأة خطرت على باله ، كليوباتره .
فكّر فيها ، لا ليحبها ، كما فعل يوليوس قيصر ، ومارك
أنطونيوس .

فكّر فيها لينتقم منها ، ويثأر لاخته أوكتافيا الجميلة ، زوجة
مارك أنطونيوس ، التي هجرها ليلهو مع كليوباتره .
ألم ير أخته تبكي ، وتتألم ، وتشقى ، لأن كليوباتره أخذت
منها زوجها القائد العظيم ؟

ولا يزال ذلك العسكري العظيم — مارك أنطونيوس —
جالساً عند قدميها ؟



أوكتافيا أخت أوكتافوس (أوغسطس قيصر) وزوجة مارك أنتوني

وها هي الآن في أنطاكية ، حيث عقد زواجه الرسمي
عليها .

لكن أسطول أوكتافوس ، سار وراءهما إلى مكان بالقرب
من أنطاكية .

لقد ابتدأت المعركة البحرية في أكتيوم ، فهربت كليوباتره
بأسطولها .

وتبعها مارك أنطونيوس إلى الإسكندرية .

لقد أصبح من المحقق سقوط مصر في يد «أوكتافيوس» .

وسقط «مارك أنطونيوس» قتيلًا حين طعن نفسه بسيفه .

أمّا «كليوباتره» فقد فشلت مع «أوكتافيوس» ، فلم يتأثر بجملها

ولم يهتم لمناوراتها وعروضها ، وعرفت أنه يريد أن يحملها

إلى روما ، ليجرّها وراءه في مركبته الذهبية .

لقد أدركت أنها سائرة إلى الموت لا محالة .

فكان همها الأول ، أن تنقذ جواهر التاج العديمة النظير .

فبنت لها حرساً منيعاً وضعتها فيه .

ثم ظهرت عاطفة الأمومة في قلبها ، لأول مرة !

فأرادت أن تنقذ أولادها من هذه النهاية المحزنة .

فأرسلت سيزرون ، ابنها من يوليوس قيصر إلى بلاد

الحبشة ، على أن يسافر منها إلى الهند .

لقد كانت تخاف على سيزرون من أخيه أوكتافيوس .

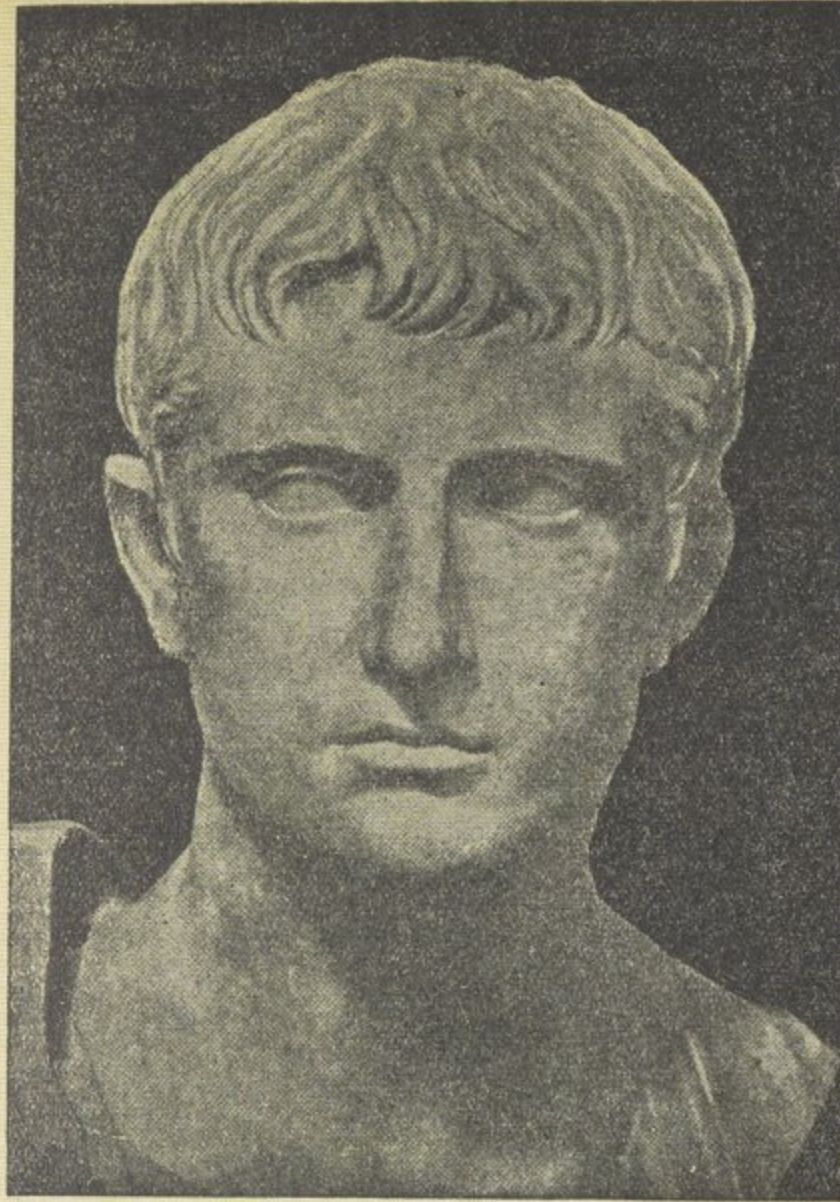
لم تقتل كليوباتره أختها الجميلة «أريزونا» في سبيل العرش !

فلم لا يقتل «أوكتافيوس» أخاه «سيزرون» في سبيل العرش أيضاً ؟

إن أوكتافيوس كان ابن يوليوس قيصر ، بالتبني ، وابن

أخته بالحقيقة .

أما سيزرون فقد كان ابنه الحقيقي من كليوباتره .



أوكتافىوس (أوغسطس قيصر)

وكان أوكتافىوس يخشى أن يكبر سيزرون ، وينازعه الملك ،
والزعامة ، لأن الشعب فى روما ، كان لا يزال يحبّ يوليوس قيصر .
وعلم أوكتافىوس ، أن سيزرون هرب سائراً فى صعيد مصر .
فأرسل الرّسل فى أثره ، واحتال عليه ، وأقنعه بالرجوع إلى
الإسكندرية .

ووعده أن ينادى به ملكاً على مصر .
وكان سيزرون في السابعة عشر من عمره ، لا يعرف
حيل الرجال ، ومطامعهم ، فقبل أن يعود إلى الإسكندرية ،
متبعاً بذلك نصائح معلمه ، ومدرّبه - ردون .
وكان أوكتافيوس قد اشترى ردون بالمال ، وسيزرون
لا يدري .

وأرسل أوكتافيوس جنوده ، وأمرهم أن يقابلوا سيزرون
خارج الإسكندرية ، ويقتلوه !
فقتلوه حسب أمر أوكتافيوس .
واعتذر أوكتافيوس إلى روما ، أن أمه لم تكن رومانية .
أما أنتيلوس ، بن مارك أنطوني من فولفيا ، فقد التجأ إلى
الهيكل الذي بنته كليوباتره ليوليوس قيصر ، حيث لا يجوز
القتل ، وسفك الدماء .
لكن أوكتافيوس أمر جنوده فجروا هذا القتي البريء ،
إلى خارج المعبد ، وذبحوه ذبح الأغنام .

وهذه كليوباتره - أنظر إليها - إنها تبسم للموت .
لقد اختبرت اليوم أربعين نوعاً من السموم ، في أربعين
رجلاً من أسرى الحرب .
لقد ماتوا جميعهم ، بعد أن ذاقوا عذاباً أليماً .
أما الذي لسعته الأفعى ، فقد مات ، دون أن يشعر بألم .

إنها تمدّ يدها للأفعى .
وبموتها تنتهى دولة البطالسة فى مصر .

إن النزاع على عرش روما ، كان عنيفاً ، بين مارك انتونى ،
وأوكتافيوس .

لكن مارك انتونى مات .
ومات ابنه أيضاً .

ومات ابن يوليوس قيصر الوحيد .

فاستطاع أوكتافيوس أن ينادى بنفسه ، إمبراطوراً على
روما ، تحت اسم « أوغسطس قيصر » .

وأفسح له التاريخ صفحات كثيرة ، ضمن طيّات مجلداته .
لقد سجّل التاريخ ، أن إمبراطورية الاسكندر الكبير ،
إنهارت كلها بعد موته ، إلا دولة البطالسة فى مصر — وبقيت
هذه الدولة إلى القرن الثالث بعد الميلاد حين هجم
الامبراطور الرومانى « أورليان » ، على الاسكندرية ، فهدم
قصور البطالسة ، وحطّم دورها ، وأزال معابدها ، وهياكلها ،
واستولى على مصر بأجمعها .

فأصبحت يامصر ، مستعمرة رومانية ، إلى أن استولى
عليك العرب سنة ٦٣٩ بعد المسيح .

وفى عهد « المقوقس » آخر حكام مصر .

وقد اختلف المؤرخون فى من هو هذا « المقوقس » الذى
حكم مصر ، بالنيابة عن الرومان .

لكن المؤرخ الشهير « بطر » يؤكد بالحجج ، والبراهين
 الدامغة ، أن المقوقس كان هو نفسه بطريك الأقباط « كورس » ،
 وقد عيّنه الامبراطور الروماني « هرقل » حاكماً على مصر .
 وقد كان المقوقس هذا - رجلاً قبطياً اسمه « جرجس
 خوكيوس » ، فلما دخل العرب إلى مصر لقبوه « بالمقوقس » .
 ويقول المؤرخون ومنهم « سميث » ، ودائرة المعارف البريطانية
 إن « المقوقس » هذا كان على اتصال وثيق بقيادة العرب
 والإسلام - وأنه كان يرأسهم سراً ، وقد مهد لهم الطريق
 لغزو مصر ، عن طريق سوريا والعريش - ثم سافر إلى
 الإسكندرية وسلمهم إياها - بعد أن هرب الرومان بمراكبهم .
 وأنه اعتنق الإسلام سراً ، ولم يجاهر به مطلقاً .
 وربما أنه اعتنق الإسلام ، طمعاً بالبقاء في الحكم ، فلما أدرك
 عمرو بن العاص غايته ، عزله من الحكم - ولا أدري ، إذا كان
 لهذا السبب بعينه ، لقبه المسلمون « بالمقوقس » .
 أما في مراسلاته معهم - فقد دعوه بعظيم القبط .

وإنني أعتقد ، أن نجم الاسكندرية أخذ في الهبوط ،
 والأفول ، بعد دخول العرب إلى مصر ، وما كان في ذلك
 الوقت ، من احتراق مكتبتها الشهيرة .
 فتفرق فلاسفتها ، وهاجر علماءؤها ، وأطبائها ، وخيرة
 جهابذتها إلى كل بلد ومكان .
 وانتقلت الفلسفة ، والعلم ، والتعلم ، والمدارس ، من

الاسكندرية ، إلى انطاكية في سوريا .
 ولم تقم للاسكندرية قائمة منذ ذلك الحين .
 أما العاصمة ، فانتقلت إلى القسطنطينية ، حيث عسكرت جيوش
 المسلمين ، بقيادة عمرو بن العاص .



مقابر البطالسة في كوم الشقافة في الاسكندرية وهي تحت الأرض كمقابر سقارة
 وهنا يمتزج فن البناء المصري بالبناء الروماني كما ترى في الرسوم والأعمدة

التاريخ المتوسط

العرب سنة ٦٥٠ ميلادية

ها أنى أرى الآن جيشاً عرمرماً ، يخرج من الصحراء ،
مندفعاً نحو مصر .

هذه هى المرة الثانية ، التى يغزوك فيها الرعاة ، يا مصر .
إن رعاة الأمس (الهكسوس) استفادوا كثيراً من علومك ،
ومن شعبك ، ومن تقاليدك .

أما رعاة اليوم (العرب) فسوف يفيدونك كثيراً ، ويعلمون
شعبك ديناً جديداً - إنهم يحملون مشعل التهذيب الحديث ،
والدين الجديد .

هذا الشاب الآتى فى المقدمة ، المعقود فوق رأسه اللواء ،
هو عمرو بن العاص ، داهية السياسة والحرب ، وفاتح مصر .
هو الذى سيصون خلافة معاوية فى الشام ، ويضع الأساس ،
لدولة بنى أمية فى دمشق .

لقد كتب إلى أمير المؤمنين ، عمر بن الخطاب ، يقول :
« مصر ، تربة غبراء ، وشجرة خضراء ، يجرى وسطها

نهر ميمون الغدوات ، مبارك الروحات ، أرضها درّة بيضاء ،
فعنبرة سوداء ، فزرجة خضراء ، فتعالى الله الفعّال كما يشاء .
وجاء كتاب أمير المؤمنين ، سطر واحد يقول :
« لله درك يا عمر ، وصفت لي مصر ، كأنني شاهدها » .

وهذا بطريق الأقباط الأرثوذكس ، يتوسط بين
عمر بن العاص ، والمقوقس عظيم القبط ، كما كان
يخاطبه العرب .
فيسلّمه المقوقس مصر ، ويدفع له جزية ، دينارين عن
كل ذكر .

لقد جاء المقوقس من منفيس ، حيث كان يقيم ، ليسلم
المسلمين مدينة « بابل » (الذي بناها الفرس قبل الميلاد ، في المكان
الذي تقوم عليه مصر القديمة الآن - ولم تكن القاهرة قد
وُجدت بعد) - وحصن « بابل » الذي يقوم مكانه الآن دير
مارى جرجس - فاستلمه العرب من المقوقس .
وكان المقوقس آخر والٍ حكم مصر ، بالنيابة عن الرومان ،
وربما أنه كان من أصل يوناني كما ذكر بعض المؤرخين .

وهذا عمرو بن العاص - اسمعه ينادى في المصريين :
الإسلام - أم الجزية - أم السيف !
لقد ساهم في الخطأ العظيم ، الذي ارتكبه قادة الإسلام قبله

بزمن طويل ، إذ لو استبعد الجزية ، هو ومن جاء قبله ،
لكان الشرق اليوم دولة واحدة ، وديناً واحداً ، وشعباً واحداً .

إننا نحن الأقليات ، فريسة الخطأ القديم .
أتم يا إخواننا مسلمو اليوم ، كنتم نصارى الأمس ، الذين
أحببتم التسامح والتساهل ، فدخلتم في دين الله أفواجاً أفواجاً .
ونحن نصارى اليوم ، إخوانكم المتعصبون لديننا ،
ودينكم بالأمس ، دفعنا الجزية صاغرين ، راضين ، وحافظنا
على ديننا ، آمين ، مطمئنين .

لكننا أوجدنا لكم ولنا مشكلة اليوم ، مشكلة المشاكل ،
مشكلة الشرق ، مشكلة الأقليات ، العقدة التي لولاها لكان الشرق
بأجمعه دولة واحدة ، وأمة واحدة ، وديناً واحداً .

نحن المخطئون ، وأتم المسئولون !!
ولولاكم ، ولولا جزيتكم ، لما كنا كما نحن الآن — بل كنا
بحق ، لنا ما لكم ، وعلينا ما عليكم .
لكن الجزية كانت قبضاً مبرماً على الشرق .
وكانت سبباً من أسباب ذلّه وانقسامه .

وهذا هو عمرو بن العاص ، يترك مصر ، بعد أن ولّاه
عليها عمر بن الخطاب ، لأن الخليفة عثمان بن عفان عزله
من الولاية ، وولّى مكانه عبد الله بن أبي سرح .

الخِلافة الأموية

من ٦٦١ إلى ٧٧٤ ميلادية

سقط عثمان بن عفان ، قتيلاً بخناجر الثائرين ، فانتقلت
الخِلافة إلى بني أمية ، وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان .
هؤلاء هم الأمويون ، يَمُرُّونَ عليكِ يا مصر ، كما مرّت
من قبلهم قوافل الدول ، وجحافل الممالك .

وها هو عمرو بن العاص ، يعود إليك حاكماً للبرّة
الثانية من قبَل الخليفة معاوية بن أبي سفيان .
لقد خطر لعمرو ، وهو يتمشى على ضفاف النيل أن يستقلّ
بمصر ، ويجعلها ملكاً له ، ولأولاده من بعده .

ولا غرو ! فقد كانت مصر ، منذ أول الفتح الإسلامي ، تتبوأ
مركزاً ممتازاً بين جميع ولايات الخلفاء المسلمين .

لكن عمرو بن العاص كان يحتاج إلى المال ، ليؤسّس
دولة له في مصر .

أنظر إليه جالساً مع مشايخ مصر وعمدها ، يسألهم عن
كنوز الفراعنة .

اسمعهم يقولون له ، حين أعيتهم الحيل : إنها مخبوءة في رأس
الأهرام ، ، وعليه - صدرت أوامر عمرو بن العاص ، بهدم
الأهرام من رأسه .

وهذه معاول الفعلة المصريين تشتغل بالهدم .
لقد هدموا خمسة أمتار ، فلم يحدوا شيئاً ، فتوقفوا عن الهدم .
وها إنى أرى « عبد الله بن الزبير » ، يثور على بنى أمية ،
ويدعى لنفسه الخلافة ، فيقوم مع جماعة من مصر ، فيعين من
قبيله « عبد الرحمن بن عتبة » ، والياً على مصر .
لكن « مروان بن الحكم » يبطش بثورته ، ويهزم جيشه
في مصر .

وقد زارك الكثيرون من خلفاء بنى أمية .
هذا يزيد بن معاوية ، وعمر بن عبد العزيز ، وهشام
وعبد الملك بن هشام ، والوليد بن عبد الملك ، يجلسون
حول الأهرام ، مندهشين تائهين في هذه المدينة العظيمة ، التي
جعلت مصر فوق جميع الأمم والشعوب .
لكن الدولة الأموية ، أشرفت على الزوال ، لأن بنى أمية
يحاربون بعضهم بعضاً ، في سبيل الخلافة .
هذا جيش عدوهم اللدود ، « أبي مسلم الخراساني » ، يفتح البلاد ،
ويدعو لمبايعة العباسيين .

لقد بايعوا الخلافة في الكوفة سرّاً ، لأبي العباس .
واندحرت الخلافة الأموية ، في موقعة الزّاب ، بالقرب
من الموصل .

فتراجع الخليفة مروان الثاني ، آخر خلفاء بنى أمية
بجيشه ، عائداً إلى دمشق ، فتبعه عبد الله بن علي العباسي

وخانه أهل الشام ، فهرب إلى مصر ، ملتجئاً إليها ، ليتحصن فيها
ويتخذها قاعدة لاسترداد ملكه المفقود ، وهو يطمع أيضاً أن
ينشئ في مصر ، خلافة إسلامية ، عربية ، أموية .
لكنه فشل أيضاً ، وقتل وهو يقاتل في الصعيد ، في قرية
بوصير .

وبموته انقرض ملك بني أمية ، بعد أن حكم منهم أربعة
عشر خليفة .

وانتقلت الخلافة إلى بني العباس ، فدخلوا مصر ، وأصبحت
مصر تستظلّ بلواء الخلافة العباسية ، وسلطانها الديني .

الخلافة العباسية

من ٧٥٠ الى ٩٠٩ ميلادية

لقد سمع خلفاء بني العباس ، الكثير عنك يا مصر .
فجاؤوا من بغداد ، ليقفوا أمام معابدك ، وهياكل العجيبة .
أنظري إلى المنصور ، الفيلسوف الحكيم ، يأخذ العبر ، من
مصر ، وتاريخ مصر .

وهذا هو هارون الرشيد ، يذهب إلى مقابر طيبة ، وبني
حسن ، ويركع أمام المعابد والهياكل ، قائلاً :
« أشهد أن لا إله إلا الله ، وكل من عليها فان » .

وهذا هو ابنه المأمون ، يزور مصر ، ويأمر ، فتُفتح له
أبواب الأهرام ، ويدخل ، ليفتش عن كنوز الفراعنة الأقدمين
فلا يجد شيئاً .

الدولة الطولونية

أحمد بن طولون من ٨٦٨ إلى ٩٠٤ ميلادية
وبقيت يا مصر خاضعة للدولة العباسية إلى أن قام أحمد
ابن طولون ، ، واستولى عليك ، ووضع أسس الدولة الطولونية .
وكان أحمد بن طولون مملوكاً تركياً ، ولّاه على مصر ،
الخليفة المعترف بالله سنة ٢٥٤ هـ .

لقد جاء ابن طولون إلى مصر فقيراً معسكراً ، لا يملك
شيئاً ، لكنه كان على جانب عظيم ، من العلم ، والأدب ،
والدهاء .

ولما مات ، خلف ثروة لا تقل عن الثلاثة ملايين جنيه
في ذلك الزمن ، أو ما يوازي العشرين مليوناً اليوم .
وكان ابن طولون ، أول من اقتطع البلاد السورية ،
عن مملكة الخلافة ، وجمع بين ملك مصر ، والشام ،
في الإسلام .

وقويت مملكة ابن طولون ، وامتد نفوذه ، حتى أن ملك
الروم ، أخذ يتزلف إليه ، ويتقرب منه ، بالهدايا ، والعطايا .
وادّعى ابن طولون الخلافة لنفسه ، بمصر ، فجنّد له

الخليفة المعتضد بالله ، جيشاً عظيماً ، فلم يستطع التغلب عليه ،
فاضطر إلى مراعاته ، والاتفاق معه .

وكان ابن طولون حكيماً عادلاً ، على جانب عظيم من
الفضيلة ، والتقوى ، وخوف الله ، وحسن السيرة ، وعلو
الهمة ، وبعد النظر ، ولكنه كان قاسياً يستلذ القتل ، وسفك الدماء .
وخاف الخليفة في بغداد على ملكه ، وخلافته ، ورغب
في التقرب من ابن طولون .

واتصل بالخليفة ، أن لابن طولون ، كريمة جميلة ، تعدّ من
أجمل بنات عصرها ، وتسمّى : « قطر الندى » ، فطلب إليه أن
يزوجه إياها ، فكان كذلك .

وحملت معها إلى بغداد ثروة عظيمة ، لا تقدّر بمال .
لكن هذا الزواج السياسي ، أضعف مركز ابن طولون ،
وقضى على مطامعه بالخلافة ، ناهيك أنه أفرغ خزائن مصر ، من
المال ، والثروة .

وعلى أيام ابن طولون ، جرت أحداث في فلسطين ،
والشام ، فتغلب عليها .

ومنها الحرب بين مرّة لبنان ، والأمير نعمان ، متسلّم
مدينة بيروت ، ودام القتال سبعة أيام ، على نهر بيروت ، ونهر
الكلب ، فانتصرت جيوش ابن طولون ، وقطع رؤوس أعدائه
وأرسلها إلى الخليفة في بغداد .

وقد بنى مسجده المعروف باسمه ، على جبل « يشكور » ، في المكان

الذى يقال إن موسى كلم الله منه .
وقد توسع أحمد بن طولون ، فسد ملكه من مصر إلى
الشام ، واستولى على حلب ، وأنطاكية ، وبلاد كيليكية ، وارتفع
علم مصر فوق جميع هذه البلاد الشرقية ، التي ظلت تابعة لمصر ،
إلى أن قام سيف الدولة بن حمدان ، فأسس ملكه في حلب ،
وانتزع أنطاكية ، وكيليكية ، من يد مصر .

وحكم أحمد بن طولون ، سبعة وثلاثين سنة في مصر .
وجاء بعده ابنه «خمارويه» ، الملقب بأبي الجيش ، وفي أيامه
ظهر القرامطة الباطنيون .

وعاد الحكم بعده إلى العباسيين ، في خلافة المستنفي بالله .
فسحقوا الدولة الطولونية الزاهرة ، وأرسلوا جميع الذكور من
نسل أحمد بن طولون إلى بغداد ، كرهائن ، لكي لا يقوم
أحد منهم يطالب بالعرش .

الدولة الأخشيدية

من ٩٠٥ إلى ٩٠٩ ميلادية

لكن العباسيين لم يستطيعوا أن يوطدوا سلطانهم الفعلي
في مصر فحكمها باسمهم زعماء أقوياء ، مثل : ثكن الخزري ،
وذلكا الرومي ، وابن كيغلغ ، إلى أن جاءت دولة
الأخشيديين بزعامه «محمد بن طنج» ، واستخلصت مصر من يد

ابن كيغلف ، أما كلمة « طغج » فمعناها « عبد الرحمن » .
وأنعم الخليفة العباس على « ابن طغج » بلقب الأخشيد ،
أى ملك الملوك .

وخطر للأخشيد أن يبنى دولة مستقلة فى مصر ، له ، ولأبنائه
من بعده .

وأراد أن يخلع نير العباسيين ، ويستقل بالملك ، فأرسل
العباسيون جيشهم بقيادة قائدهم الأكبر محمد بن رائق ،
فجرت بينه وبين الأخشيد ، حروب فى حمص ، ودمشق ، انتهت
باستقرار البلاد الشامية للأخشيد .

وكان سيف الدولة « بن حمدان » ، صاحب حلب ،
يطمع فى دمشق ، ويرغب فى احتلالها ، فجيش جيشاً عظيماً ،
وسار إليها .

لكن محمد بن طغج الأخشىدى ، وقف فى سبيله ، بعد
أن كاد أن يدخلها ، ويستولى عليها .

وجرت المعركة الفاصلة ، فى مرج عذراء ، خارج أسوار
دمشق ، فدارت الدائرة على سيف الدولة ، الذى عاد مكسوراً ،
ولم يطمع فى دمشق بعد ذلك .

وتوفى الأخشيد فى دمشق ، قبل أن يثبت أساس ملكه
فى مصر ، خلفه ولده ، ثم أخوه « على بن الأخشيد » الذى
آل الأمر على أيامه ، إلى كافور .

وكان «كافور» عبداً أسود ، اغتصب عرش مصر من
ابن سيده .

وقد كان من الحبشة ، لكنه كان سياسياً ، وحكماً عادلاً .
وقد جعل منه «المتنبى» شخصية مشهورة في التاريخ ، إذ مدحه
أفضل المدح ، ثم هجاه وذمه ، بأشدّ الهجاء والذم .
لقد فارق «المتنبى» أميره سيف الدولة ساخطاً غاضباً ، فالتجأ
إلى مصر ، يطلب ولاية يحكمها ليكون صاحب دولة كما كان
سيف الدولة صاحب حلب .

نخب كافور آمال المتنبى .
وكانى لا أزال أسمع صوت المتنبى ، يلعلع في سماء مصر ،
وهو ينشد هجاء كافور :

من علم الأسود المخصى مكرمةً
أقومه البيض ، أم آباؤه الصيّدُ
لا تشتري العبد إلا والعصا معه
إنّ العبيد لأنجاس مناكيد

ولما توفى كافور ، قام بعده أبو الفوارس ، أحمد بن علي
الأخشيدي ، ملكاً على مصر .

وساعده الحظ بوزيره القوى ، جعفر بن الفرات .
لكن وجود جعفر ، على رأس الدولة ، أدّى إلى الخصام
مع يعقوب بن كلس ، وهو رجل يهودى ، اعتنق الإسلام ،
وأصبح داعية للفاطميين ، بل من أكبر رجال الدولة ، الذين
عبّدوا الطريق أمام الدولة الفاطمية ، لغزو مصر وفتحها .

فقد فرّ إلى المغرب الأقصى ، هارباً من ابن الفرات ،
ودعا المعزّ لفتح مصر ، بعد أن شرح له أسرارها ، وسهولة
الاستيلاء عليها .

وكانت مصر على جانب عظيم من الفوضى ، والظلم ،
والاستغلال ، مما شجّع المعزّ ، على غزوها .

فلما جاءت دولة الفاطميين ، كان ليعقوب بن كلس ، اليد
الكبرى ، في حكم مصر .

خلافة الفاطميين

من ٩٠٩ إلى ١١٧١ ميلادية

هذا هو القائد جوهر ، على رأس جيش كبير ، أرسله المعزّ
ابن عبد الله المغربي ، سلطان المغرب الأقصى ، فافتتح مصر
وأسس مدينة القاهرة ، التي دُعيت باسمه ، وذلك سنة ٩٥٣
ميلادية .

جاء إلى مصر ، بمائة ألف محارب ، وخمسمائة جمل تحمل
الذهب والفضة .

وكانت الطريق لفتح مصر قد تعبّدت بانقراض الدولة
الأخشيدية ، وهلاك سيف الدولة في حلب .

فأنشأ خلافة الفاطميين في مصر .

إنه الفتح الإسلامي الثاني ، والخلافة الأولى في مصر .

لقد أراد علماء مصر ومشايخها أن يباحثوا المعز في حسبه ،
وأن يطلعوا على وثيقة نسبه إلى فاطمة ، ابنة الرسول الكريم
« محمد بن عبد الله » .

فجمعهم في قصره ، ثم دخل عليهم ، واستل سيفه وصاح :
« هذا حسبي » .

ثم وزع على كل منهم كيساً مملوئاً ذهباً وقال : « وهذا نسي » .
فقالوا جميعاً : « سمعنا وأطعنا » .
وبذلك استتبَّت الخلافة الفاطمية في مصر .

وهذا هو الحاكم بأمر الله ، حفيد المعز لدين الله ، الذي كان
في بدء حكمه أفضل الخلفاء الفاطميين .
وكثرت الطوائف الباطنية على أيامه في مصر ، وكثرت معها
الفتن الدينية ، والدسائس السياسية .

وهذه هي مدرسة « دار الحكمة » التي أنشئت خصيصاً لتعليم
المبادئ الباطنية ، يساعدها في ذلك الأزهر الشريف ، الذي
أنشأه جوهر الصقلي ، لبث الدعاية ضد الدين الإسلامي .
ولكن الأزهر تحول مع الزمن ، ليكون أعظم معهد
لهذا الدين ، وأهم مركز لمذهب المسلمين .

وطغى الحاكم بأمر الله ، وقتل العلماء ، والمشايخ ، وكبار
رجال الدولة ، في سبيل المناداة بنفسه إلهاً .
وهدم الكنائس ، ومنها كنيسة القيامة في القدس الشريف ،

مما كان السبب الأكبر لاستفزاز أوروبا للحروب الصليبية .
و حرق مدينة القسطنطينية بأكملها .
و ادعى الألوهية ، وأن الله نفسه حلَّ فيه .
وغير الحاكم بأمر الله ، اسمه — إلى الحاكم بأمره ، و نادى به
أتباعه إلهاً .

و قد اتفق أكثر مؤرخي العرب ، والأفرنج ، على أن الحاكم
بأمر الله ، أصيب بمسمة في عقله ، فأرسلت أخته ، ست الملك ،
عبيدها ، فاغتالوه في جبل المقطم ، بالقرب من حلوان .
لقد وجد في مصر ، على أيام الحاكم بأمر الله ، الخليفة
الفاطمي ، عشرات من الدعاة الأذكياء ، أمثال حمزة بن علي ،
من بلدة زوزن في إيران ، و محمد بن إسماعيل الدرزي ،
المعروف باسم « نشتوكين » ، و إسماعيل بن محمد التيمي ،
و عبد الله مبارك ، و المقتنى ، و أبو منصور البردعي ، و أبو جعفر
الحبال ، و سلامه بن عبد الوهاب ، و حسن الفرغاني ،
الملقب بالآخرم ، و كثيرون سواهم .

و قد كان جميع هؤلاء الدعاة ، من أصل فارسي ، ينتمون
إلى جماعات سرية باطنية ، غايتها نشر الإلحاد ، والقضاء على
الدين الإسلامي .

و قد وجد هؤلاء ضالَّتْهم في الحاكم بأمر الله ، فأقنعوه أن
العزة الإلهية ، حلَّتْ بعلي بن أبي طالب ، وهي الآن تحلُّ
و تتقمص فيه ، وهو العزة الإلهية ، نفسها متجسدة بشخص

الحاكم بأمر الله .

وإنك لتجد في رسائل حمزة بن علي ، دعوة صريحة
إلى ألوهية الحاكم وتغيير اسمه - إلى الحاكم بأمره .
وقال حمزة : كما أن محمداً ، قد فسخ كل الشرائع التي
جاءت قبله ، فالحاكم بأمره يفسخ الشريعة الإسلامية . وينشئ
لنفسه شريعة جديدة .

ويوصي حمزة بن علي ، بوجوب عبادة الحاكم ، والاعتراف
به ، أنه الإله الواحد وأنه المولى سبحانه هو هو ، في كل
عصر وزمان ، وأنه يظهر في صور بشرية كيف شاء وحيث
شاء ، ويقول أيضاً أن الإسلام قام بالسيف ، والقوة ،
والعنف ، فهو لا يصلح ديناً ، وأن شريعة محمد ، خُتِمت
بالحاكم بأمره .

ثم اختار له علي بن حمزة ، اسماً جديداً هو ، قائم
الزمان ، وأخذوا له البيعة من الرؤساء والسكبراء ورجال الدولة
بصفته - الإله القادر على كل شيء .

لكن المسلمين في مصر قاوموا دعوة ألوهية الحاكم ،
وثاروا عليها ، وعلى القائمين بها ، وضجوا في سبيل ذلك بمالهم
وأرواحهم ، وأولادهم ، وعرضهم .

لقد كان الحاكم يقف وراء الدعاة ، ويقدم لهم الأموال
ويحميهم من أعدائهم ، فلما لم يجد في المصريين من يؤمن
بالألوهية ، أو ينادى بدعوته ، أثار على المصريين أعداءهم من

طوائف الأتراك والعييد ، و فرق المغاربة الذين جاءوا مع
أجداده من المغرب الأقصى ، فهجم هؤلاء على المصريين ،
ونهبوا متاجرهم ، وعبثوا في بيوتهم ودورهم ، وخطفوا
نساءهم وبناتهم ، وحرقوا قسماً كبيراً من أحيائهم ، ودافع
المصريون عن أنفسهم ، فقتل منهم جمع غفير ، ودامت المعارك
ثلاثة أيام بكاملها ، وكادت القاهرة تحترق بكل ما فيها ، لولا أن
الحاكم خشي عاقبة عمله وأوقف عبيده عن النهب والقتل . وكم وكم
من أشراف المصريين انتحرن ، لكي لا يقعن سبايا في يد
المغاربة والعييد . وبعد اغتيال الحاكم ، جلس على العرش ابنه
« أبو الحسن علي » ، ولقب « بالملك الظاهر » ، وحكم مصر تحت
رعاية عمته (ست الملك) .

وقد نقم على سياسة أبيه ، وألغى الأحكام الصارمة ، واعتبر
أن دعوة والده بالالوهية لا أساس لها ، ولا معنى لوجودها ،
ونادى في الناس أنهم أحرار في أديانهم ، وعقائدهم وأن
لا إكراه في الدين .

وقد طارد الملك الظاهر ، دعاة والده ، وأنصاره من
الفارسيين ، وقبض على زعمائهم فشرّد بعضهم ، وقتل أكثرهم
إلا من هرب من مصر ، أمثال الدرزي ، وحمزة بن علي
الزوزي ، واسماعيل التميمي ، الذين فروا إلى حوران والتجأوا
إلى بلاد الشام يبشرون أهلها بالوهمية الحاكم ، وإنك لتجد
جميع ذلك مفصلاً في رسائل « حمزة بن علي » المحفوظة في دار
الكتب المصرية .

وبقيت «ست الملك» أربعين سنة تحكم المملكة المصرية ، باسم
الملك الظاهر ، وتهتم بتدبير شؤونها ، والمحافظة على الخلافة ،
فأظهرت من الحكمة ، وحسن الإدارة ، وحصافة الرأي ،
والحزم ، والعزم ، ما أعاد لدولة الفاطميين ، ما كان لها من
الكرامة ، على أيام خلفائها الأولين ، من أمثال المعز ، وابنه
العزیز . ولولا هذه السيدة العاقلة ، لانقرضت خلافة الفاطميين ،
بعد موت الحاكم بأمر الله . وقد اتسعت مملكة الفاطميين بمصر
على أيام «ست الملك» ، وامتدت إلى الفرات ، ومكة ، والمدينة ،
وفلسطين ، وسوريا ، ولبنان ، بما فيه بلاد المغرب الأقصى .
فأصبح الخلفاء الفاطميون يحكمون من النيل إلى الفرات ،
والخلفاء العباسيون يحكمون من الفرات إلى بغداد ، وأصبح
نهر الفرات ، حداً فاصلاً بين الخلافتين .

أما الخلافة العربية الحقيقية ، التي اكتسحت العالم ،
ورفعت العلم العربي ، فوق جميع المشرق ، فلم تعد في الوجود ،
وأضاع العباسيون في بغداد ، والفاطميون في مصر مجد الخلافة
والعرب ، ولم يكن للعباسيين نفوذ سياسي ، أو حربي ،
أو عسكري ، على الكثير من المقاطعات التي كانوا يحكمونها ،
إذ كانوا يكتفون من عمالهم ، أن يخطب باسمهم ، من على
المنابر ، والمساجد ، وهكذا أصبحت الخلافة في مصر ، شجراً
من الأشباح ، حتى أن بني حمدان ، وهم شيعيون كالفاطميين ،
ثاروا على الفاطميين ، وخلصوا نيرهم ، واستقلوا بحلب وما يتبعها .

إن قيام الدولة الفاطمية ، قضى على الخلافة العباسية .
لكن الفاطميين أنفسهم ، لم يستطيعوا المحافظة على ملكهم ،
وخلافتهم ، لقد صرفوا جهودهم لمحاربة الروم في شمال سوريا .
ثم للقضاء على بني حمدان في حلب ، وللتخلص من القبائل
العربية في فلسطين ، التي كانت تحت زعامة « ابن المفرج » ،
أمير طيء .

ولقد أرسلت العناية الإلهية للفاطميين ، وزراء عقلاء ،
ومستشارين أذكياء ، أخلصوا لهم النصيح ، وأرادوا لهم الخير ،
من أمثال الوزير يعقوب بن كلس الذي وهو على فراش الموت
أرسل وراء العزيز الخليفة الفاطمي ، ونصحه بقوله :
« يا أمير المؤمنين - سالم الروم ما سالوك فهم أمة قوية ،
لا يمكن التغلب عليها . واقنع من بني حمدان ، بالدعوة لك
من على المنابر .

وحارب « مفرج بن الجراح » ، زعيم قبائل طيء والعرب ،
ولاتبق عليه - فهو عدو للفاطميين ، قريباً منهم ، يهددهم كل
يوم ، ويمنع توسعهم في الملك .

لكن الفاطميين ظلوا في حرب مستمرة مع الروم ،
فاستضعفوا بعملهم هذا ملكهم ، وجيشهم ، وانصرف الروم
عن محاربة العباسيين وأشياهم ، إلى محاربة الفاطميين .
وحاربوا « بني حمدان » ، حتى اضطر أحفاد الفتى العربي

الصميم ، « سيف الدولة بن حمدان ، أن يلجأوا إلى الروم لينقذوهم
من ظلم الخلافة الفاطمية في مصر .

أما مفرّج بن الجراح ، أمير قبائل طيء في فلسطين ، فقد
عجز الفاطميون عن الانتصار عليه ، لأنهم وزّعوا قواتهم
لمحاربة الروم ، وبني حمدان ، فوقف في طريق توسّعهم إلى دمشق
وشمال سوريا ولم تنقطع ثورته عليهم ، وعلى ملكهم .

وهكذا انقضى عهد الفاطميين في مصر ، وكان كله عهد
حروب ، وفتن ، ومصائب ، ومشاكل ، وانحلت دولة الخلافة
التي أسسها المعزّ .

ووقعت مصر فريسة للفوضى ، والاضطرابات ، والقتل ،
والظلم ، والاستبداد . والطغيان .

دولة الأيوبيين (١١٧١ إلى ١٢٥٠ ميلادية)

واستدرك الأمر صلاح الدين الأيوبي — الملك العادل —
وسبق الزّمن فعلم الأيوبيون أن في الشرق ملوكاً عادلين ، وأن
لا حاجة لجيوش الصليبيين لإنقاذ النصارى ، أو لحماية الأقليات .
جاء « صلاح الدين بن يوسف بن أيوب » إلى مصر فاتحاً
مع عمه « أسد الدين شيراكوه » .

لقد أرسلهما الملك العادل « نور الدين محمود بن زنكي » صاحب
حلب ، لكي يستوليا على مصر ، ويحكمها باسمه .

فجاء « صلاح الدين » إلى الاسكندرية ، ومنها إلى مصر .

وكانت الخلافة لا تزال للفاطميين ، وعليها الخليفة « العاضد » .
وأرسل نور الدين ، أمراً لصلاح الدين الأيوبي ، بقطع الخطبة
للفاطميين من على المنابر ، وأن يخطبوا للخليفة المستضيء العباسي .
وراجعه صلاح الدين خوف الفتنة ، لكن نور الدين أصرَّ
على تنفيذ أوامره ، فأطاع صلاح الدين . وكان الخليفة الفاطمي
العاضد مريضاً . فمات قبل أن يعلم بقطع الخطبة له في المساجد .
ولما مات — جلس « صلاح الدين » يتقبل التعازي ، ثم استولى
على قصر الخلافة وجميع ما فيه ، فقامت شوكته ، وأصبح ملك
مصر الحقيقي . وقد حكم في مصر أربعاً وعشرين سنة ، وفتح الشام
وجميع البلاد العربية .

وكان السلطان « صلاح الدين الأيوبي » ، أول ملك مدّ يده
إلى الأزهر ، وحوّله من دار للدعاية الباطنية ، إلى جامع
للمسلمين .

وله الفضل الأكبر فيما وصل إليه هذا الجامع العظيم ،
الذي أصبح نقطة الارتكاز للمسلمين ، والجامعة الكبرى للشرق .
بالسخرية القضاء والقدر يا مصر .

إن الجامع الأزهر ، أنشئ ليكون مركزاً للدعاية الفاطمية ،
والجمعيات السرية الباطنية لهدم الإسلام ، والقضاء على الخلافة
العباسية في بغداد ، فتحول بفضل « صلاح الدين » ، إلى مركز
ديني عظيم ، وجامعة كبرى للمسلمين .
ثم بنى القلعة المشهورة في مصر .

وافتح صلاح الدين فلسطين ، وسوريا ، ومدّ ملكه إلى
أطراف العراق .

وحارب الصليبيين ، وله معهم معارك كثيرة مشهورة ،
ووقائع تاريخية مع ملوكهم ، خصوصاً ريكاردوس قلب الأسد ،
ملك الانكليز .

وكان الملك لويس التاسع ملك فرنسا ، قد زحف بجيشه
نحو الضفة الغربية من النيل ، فتصدّى له جيش صلاح الدين
ودارت المعركة في « فارسكور » ، بالقرب من المنصورة ،
فانهزم الجيش الفرنسي ، ووقع الملك لويس التاسع أسيراً
فحمله جيش صلاح الدين إلى المنصورة ، وسجنوه في دار
ابن لقمان ، التي لا تزال قائمة إلى الآن .

وساد السكون والسلام حيناً من الزمن على أيام الدولة
الأيوبية ، إلى أن توفي الملك الصالح ، فجلست مكانه على العرش
زوجته « شجرة الدر » .

أنت يا مصر ، البلد الاسلامي الوحيد ، الذي جلس على
عرشه امرأة .

وكانت هذه المرأة ، رغم ذكائها ، وعقلها ، آخر ملوك
الأيوبيين .

لقد كتب الخليفة العباسي من بغداد ، يقول لأهل مصر :
« إذا لم يكن عندكم رجل في مصر يتولّى الملك ، فأفيدونا
لنرسل إليكم رجلاً من بغداد » .

واضطرت شجرة الدر أن تنازل عن الملك ، فتزوجت
الأمير صفر إيبك الشركسى ، فتولى الملك مكانها . وبذلك انتقل
الملك من الأيوبيين - إلى الشراكسة التركمان .
ولا يزال لشجرة الدر ، قبة عظيمة في شارع الخليفة في
مصر طرازها كطراز قبة الخلفاء العباسيين .
وهي مدفونة تحت هذه القبة .

الشراكسة

من ١٢٥٠ إلى ١٥١٧ ميلادية

وكان الشراكسة يلقبون بالماليك ، لأنهم كانوا عبيداً
للأيوبيين ، إلى أن تزوج صفر إيبك الشركسى ، بشجرة الدر ،
فلقب نفسه بالمعز .

ومن أشهر ملوك الشراكسة في مصر : الملك « الظاهر بيبرس »
الذى تولى الحكم في مصر سنة ١٢٧٧ .

ويقال ، أنه قتل جميع الذكور من ذرية صلاح الدين الأيوبي
ليخلو له الملك . وهو الذى حارب الصليبيين واشتهر بالفروسية
وحسن الإدارة والتدبير ، وقد كان معروفاً باسم « بيبرس
البندقدارى » ، إلى أن لقب « بالملك الظاهر » ، ولم يكتف بعرش
مصر ، بل سار بجيشه إلى الشام ، وافتتحها ، وأقيمت له الخطبة
فيها ، من على منابر الجوامع .

وفتح فلسطين ، وحمص ، وحماه ، وحلب ، وعرفه ، وطرابلس .
وقد قطع جميع الأشجار من بساتين طرابلس ، ودمر
القرى الواقعة بالقرب منها . فنزل إليه اللبنانيون ، المعروفون
بالمردة ، فاضطر إلى الذهاب إلى حصن الأكراد ، ومن هناك
إلى حلب وأنطاكية .

وأرسل جيوشه فغزت بلاد الأرمن .
ويقال أنه مات مسموماً في دمشق ، انتقاماً منه ، لقتله
الملك العادل آخر ملوك بني أيوب ، والقضاء على دولة الأيوبيين .
واستولى على الملك بعده ابنه ، فخلعوه وأقاموا مكانه
الملك المنصور قلاوون الصالحى ، الذى وطّد حكم المماليك ،
في الشام .

ومن ملوكهم ، الأشرف ، قايتباى ، الذى حكم مصر مدة
طويلة ، وحارب في الشام ، ولبنان .
وقد كان آخر ملوك الشراكسة ، قانوسة الغورى ، وهو
المشهور بمصر بالسلطان الغورى .

وسار السلطان الغورى إلى بلاد الشام ، لمحاربة السلطان
سليم الأول ، الذى اكتسح البلاد السورية ، وأخضعها للملك .
وأراد السلطان الغورى القضاء على جيش بني عثمان قبل
أن يصل إلى مصر ، والتقت جيوشهما في مرج دابق بجوار حلب ،
وأرسل السلطان سليم الأول رسله إلى الملك الغورى ، مسترضياً
خاضعاً ، واحتال عليه ، فانطلت الحيلة على السلطان الغورى .

ثم فجأة هجم السلطان سليم الأول العثماني ، على جيش الملك
الغوري وقتل الغوري في المعركة ، وجيء برأسه إلى السلطان سليم .
ونادى المصريون ، بعد موت السلطان الغوري « بطومانباي » ،
ملكاً وبايعوه على مصر ، فجاء السلطان سليم الأول ، إلى مصر
وقتل الملك الجديد طومان باي ، واستولى على الدولة المصرية ،
وضمها إلى أملاك آل عثمان .

وكان السلطان الغوري آخر ملوك الشراكسة الذين حكموا
مصر ، والشام ، ولبنان ، ومسجد الغوري معروف ومشهور
في شارع الغورية في مصر ، ويعتبر تحفة من تحف الدهر . .
ولما دخله السلطان سليم اندهش من زخرفته وقال لمن حوله :
هذا مخزن تاجر لا جامع ؟ ! .

الأتراك

من ١٥١٧ إلى ١٧٦٥ ميلادية

ها إنى أرى الأتراك الآن ، بقيادة سلطانهم سليم الأول
ابن بيلازيد العثماني ، يهجم على مصر فيفتحها ، ويستولى
عليها سنة ١٥١٧ .

لقد بقيت يا مصر ولاية عثمانية ، تحكمك الآستانة إلى
سنة ١٧٦٥ ميلادية ، حيث اتفق السلطان مصطفى الثالث ،
مع المماليك البحرية (وهم غير مماليك الأيوبيين الشراكسة)

وولّاهم عليك - وترك لهم الحكم والسيادة ، على شرط أن
يجمعوا له الأموال الأميرية ، ويرسلونها إلى الاستانة العلية ،
تحت مراقبة وزير تركي ، يبق في مصر ، ليمثل الباب العالي
أى عظمة السلطان العثماني .

وفي زمن السلطان سليم الثالث ، تمرّد هؤلاء المماليك على
دولة الأتراك ، وعصوا أمرها ، ورفضوا جمع الضرائب ،
وامتنعوا عن إرسال الأموال الأميرية إلى الاستانة العلية .

دولة المماليك

سنة ١٧٦٥ ميلادية

وحكم المماليك باسم الأتراك ، وظلموا واستبدّوا ، فعانى
المصريون الأمرين من حكمهم وظلمهم .

وكانت اتفاقية سلاطين الأتراك مع المماليك ، سياسة خرقاء
بل السبب الأكبر للقضاء على الحكم التركي في مصر ، لأنهم
أخطأوا جداً في تسليم مصر للمماليك ، يستبدّون بشعبها
كيف شاؤوا وأرادوا .

نابليون

سنة ١٧٩٨ ميلادية

وجاء نابليون إلى مصر سنة ١٧٩٨ ميلادية ، يقود مائة
وثلاثين ألف محارب ، ونزل بالقرب من الإسكندرية .

وأرسل السلطان العثماني، حملة كبيرة لمحاربة نابليون، وإخراجه من مصر.

وانتصر نابليون على الأتراك، ورجع معركة أبي قير البرية. واتحد المماليك لمحاربة نابليون بقيادة مراد بك، لكن نابليون شردهم إلى أقصى الصعيد، وهرب الكثيرون منهم إلى الحجاز.

وانكسر أسطول نابليون في معركة أبي قير البحرية، وأصبح نابليون وجيشه شبه أسراء في مصر، فعاد نابليون إلى فرنسا في مركب شراعى ووصل سالماً، رغم الأدميرال نلسون وأسطوله العظيم، الرابض في مياه البحر المتوسط.

وترك القيادة في مصر لصديقه الجنرال كليبر، لكن شاباً سورياً متعصباً متحمساً من مدينة حلب هجم على كليبر، وطعنه بخنجر، فأرداه قتيلاً.

وسقط كليبر في المكان الذي تقع عليه لوكاندة شبرد الآن، وانتهت بذلك الحملة الفرنسية على مصر.

الدولة العلوية الخديوية

محمد علي باشا

من ١٨٠٤ إلى ١٨٤٩ ميلادية

وخرج الأومباشي الصغير نابليون من مصر، فدخلها الأومباشي الكبير محمد علي باشا.

لقد حضر محمد على ، مع الجيوش السلطانية التركية ، لمحاربة
الفرنسيين ، وإخراجهم من مصر .

لقد دخل مصر جندياً بسيطاً ، فأصبح ملكاً عظيماً .
واشتهر هذا الجندي الباسل ، بالشجاعة والإقدام ، والعدل ،
والحلم ، وسرعة الخاطر ، والذكاء الحاد ، فارتقى بسرعة من أومباشى
إلى قائمقام .

ثم تقلد زمام الأحكام بمصر سنة ١٨٠٤ ، وتعهد بمبلغ معين
من المال ، يدفعه لدولة الأتراك ، ونادى الشعب به « باشا مصر » ،
فاضطر الباب العالي ، إلى الاعتراف بحكمه .

وكان حكم محمد على باشا مثالا عالياً للعدل ، والإنصاف ،
والرحمة ، والفضيلة .

ولم تر مصر عدلاً ونزاهة في الحكم ، كما عرفت في عهد هذا
العاهل الكبير .

وليس في تاريخه ما قد ينتقد عليه ، سوى مذبحه الماليك
المشهور ، وربما أنه كان على حق فيها .

وكاد هذا المؤسس العظيم لعرش مصر المجيد ، أن يمد
سلطانه على جميع ممالك الشرق ، من رأس الرجاء الصالح ، إلى
الآستانة العلية .

فحارب الوهابيين بمكة ، وانتصر عليهم .
وأرسل ابنه إبراهيم باشا ، فافتتح سوريا ، وفلسطين ، ولبنان
والأناضول .

وكان جيشه الظافر يمرّ في لبنان ، وفي كل مكان ، وهو
مثال الجندي الكامل ، فلا نهب ، ولا سلب ، ولا تعدّ على
أموال الناس ، ويوتهم وأملاهم .

ولا يزال أهل لبنان ، يذكرون إبراهيم باشا ، وعدله ،
ونزاهة حكمه حتى هذا اليوم . وربما أن محبة اللبنانيين للمصريين ،
جاءت عن طريق محبتهم لإبراهيم باشا .

وكاد أن يصل هذا الجيش المنتصر ، إلى أسوار القسطنطينية .
لكن أوروبا خافت من بطش الدولة المصرية الجديدة ،
فأرسلت جيوشها وأساطيلها وأرجعت الفاتح العظيم ، إبراهيم باشا
إلى الحدود المعروفة اليوم ، بحدود الدولة المصرية .

إن أوروبا فضّلت أن تتركيا المريضة ، رابضة على البوسفور
لا أن تر الدولة المصرية ، الفتية ، الجديدة ، رافعة عليها ،
على الآستانة العلية .

وعادت مصر ، فأنكمشت ضمن حدودها التي نعرفها اليوم .
وحكم مصر بعد محمد علي - الخديوي إبراهيم باشا - ثم
أخوه عباس باشا - ثم عمه محمد سعيد باشا - ثم ابن أخيه
إسماعيل باشا ، بن إبراهيم باشا ، بن محمد علي باشا الكبير -
ثم توفيق باشا - ثم عباس حلمي باشا - ثم السلطان حسين
كامل - ثم جلالة الملك فؤاد الأول ، مؤسس الدولة
المصرية الجديدة وصاحب الأيادي البيضاء على مصر .

المملكة المصرية

وأرى فيك اليوم يا مصر ، شعباً تفرّد بسلامة خلقه ،
وطيبة قلبه .

فالمصرى يكاد يكون صنفاً لوحده ، بين أمم الأرض ،
في ظرفه ، وأنسه ، ودماثته ، وهشاشته ، وبشاشته .
لقد طفتُ العالم يا مصر ، وزرت أوروبا ، وأمريكا ،
وقسما كبيراً من الشرق ، فرأيت الأمم والشعوب ، وخصوصاً
الألمان ، والأمريكان ، والانجليز ، يهجرون بلادهم ، ومع
رحبها تضيق بهم ، فيقصدون سواها ، ويجعلونها وطناً لهم .
أما المصرى فلا يهجر مصر ، ولا يخرج منها ، ولا يرضى
أن يعيش بعيداً عنها . بل إذا انتقل في مصر نفسها ، من بلد
إلى بلد آخر ، تأوّه وأنشد : يا هـل ترى نرجع الاوطان ، .
في مصر لا تضيق رحب البلاد بالسكان ، ولا تخرج بهم
مذاهب رزقهم .

والتفتُ إلى فقرائك يا مصر ، وهم جيش عظيم ، يملأون
الشوارع ، في كل مدينة ، ويعدّون بالملايين والملايين ، في كل
مزرعة ، وعزبة .

رأيتهم حفاة الأقدام ، مكشوفى الرؤوس ، عراة الصدور .
لكنى نظرت إلى وجوههم ، وإلى أبدانهم ، فإذا هى قوية

نشيطه مرحة ، تلوح عليها هيئة الشعب . وهم يضحكون للحياة .
ساخرين من الكون ، راضين بما قسم الله لهم ، معتبرين
القناعة كنز لا يفنى ، لأنهم لا يعرفون ما هو الجوع ، في بلاد
تبشم^(١) فيها الناس ولا تفنى العناقيد^(٢) .

إن حياة هذا الفلاح يامصر ، تتصل بأعظم أجداد التاريخ ،
منذ قديم الزمان ، إلى الآن .

هذا هو ابن الفراعنة - الأقدمين الميامين .
أنظري إلى وجهه ، وملاحه ، وتقاطيع جبينه ، وسواد عيونه .
إنه شديد الشبه ، بأجداده الفراعنة .
وإنك لتجد في شوارع مصر ، عشرات من خوفو ،
ورمسيس ، وأحمس ، وساتي ، واخناتون ، وتوت عنخ آمون .
بل بين هؤلاء الفلاحات ، كثيرات من أمثال هتشبستوت ،
وأميس ، وتي ، ونفرتيتي .

قف في أى شارع في مصر ، وحدّق وتأمل في وجوه الرجال
والسيدات .

(١) تبشم تشبع .

(٢) إشارة إلى قصيدة المتنبي التي يعرض فيها بملكها كافور الأخشيدي ومنها هذا البيت .
نامت نواظر مصر عن تعابها فقد بشتن ولا تفنى العناقيد

إنه ليخيّل إليك ، أن في مصر بوتقة واحدة ، يصبون
فيها أنموذجاً واحداً من الرجال والنساء هو شكل الفراعنة
الأقدمين ، لم يتغيّر منذ ذلك اليوم — إلى هذا اليوم .

فمنذ سنين ، كان العمال المصريون يحفرون التراب ،
للتّقيب عن الآثار ، تحت إدارة مسيرو .
فوجدوا تمثالاً من الخشب ، يعود إلى أيام الدّول الأولى .
فصاح العمال حين رأوه « هذا شيخ بلدنا ، لأن ملاحه ،
تطابق ملاح شيخ بلدهم — أو كأن شيخ البلد في القرن العشرين
شديد الشبه بشيخ البلد في القرون الأولى ، من التاريخ .
وعُرف التمثال من ذلك اليوم ، بتمثال « شيخ البلد » وهو
موجود الآن في متحف القاهرة .

وهو تمثال من أيام الدولة الثانية — لكنه شديد الشبه
بكثيرين من مصريّ هذه الأيام .

وكم ، وكم ، من رجل في البلد ، وفي المدينة ، على تشابه
تمام ، مع رسوم الفراعنة الأقدمين .

هؤلاء المصريين !! لم يتغيّر شكلهم الجسديّ منذ آلاف السنين .

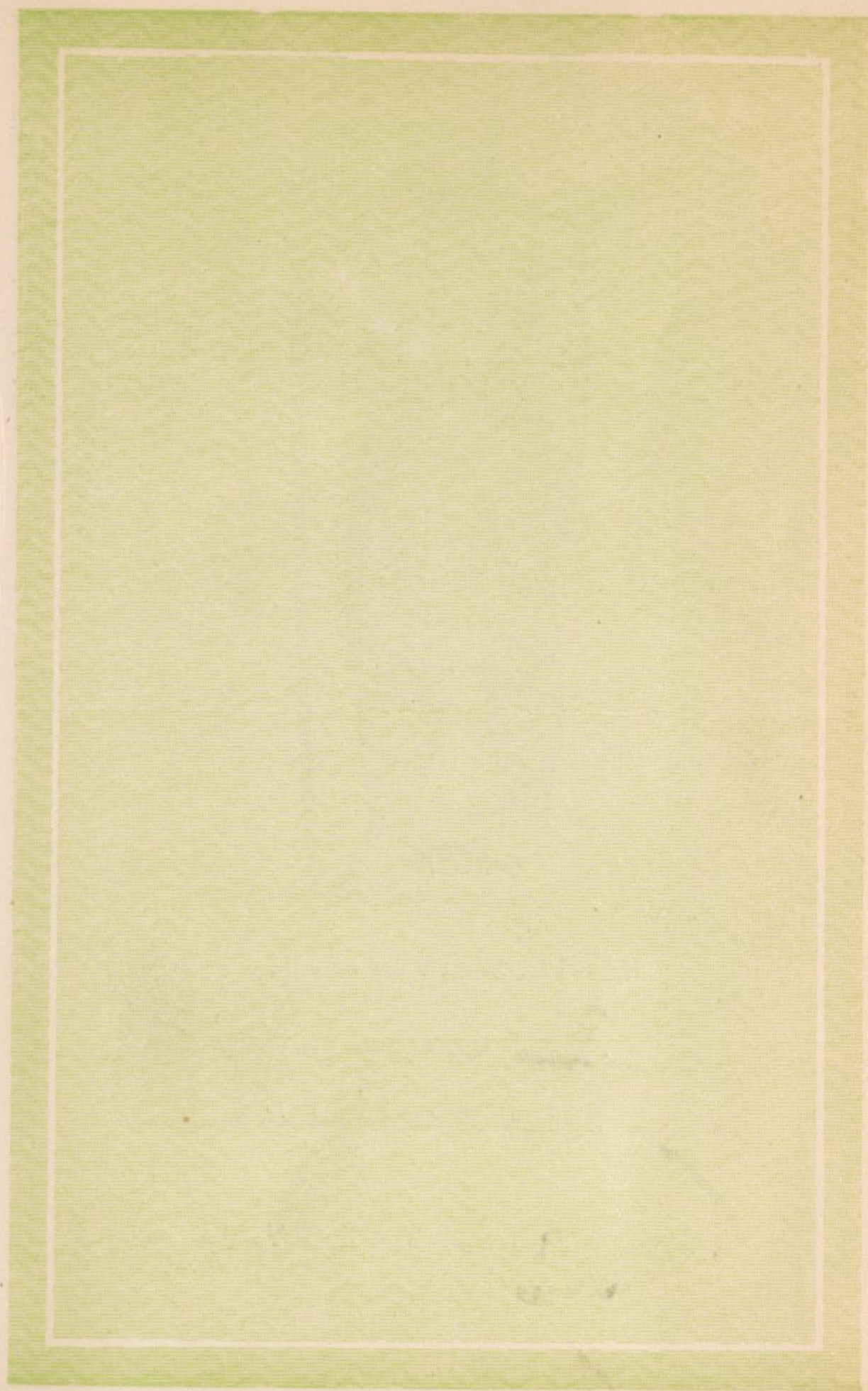
أنظر إليهم جيداً ، وأنت تسير في شوارع القاهرة ، أو عزب
الأرياف .



شيخ البلد — تمثاله كما كانت منذ سبعة آلاف سنة

فَهُمْ هُم بِالْأَمْسِ — فِرَاعْنَةُ الْعَالَمِ .
وَهُمْ هُم الْيَوْمَ — أَحْفَادُ أَوْلَئِكَ الْفِرَاعْنَةِ .

فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ! !



رباعيات عمر الخيام

بقلم توفيق مفرج

صدرت الطبعة الثالثة من رباعيات عمر الخيام لوضعه
صاحب هذا الكتاب وقد طبع ثلاث مرات في خلال سنتين.

* * *

وقد جاءت هذه الرسالة إلى المؤلف من حضرة صاحب المقام
الرفيع ، الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا ، بعد أن تفضل
فاطلع على الكتاب عند انتهاء الطبع . ويسر المؤلف كثيراً ،
أن ينشر هذه الرسالة هنا ، مفتخراً شاكراً ومنها ما يأتي :

* * *

« تحية طيبة — وبعد :

فقد تصفّحتُ كتابك « رباعيات عمر الخيام » ، فأعجبت به ، ولا غرو ،
فقد حوت مقدمته بحثاً فلسفياً ، إجتماعياً ، مستفيضاً ، كما جاء المجهود الذي
بذلته في ترجمة هذه الرباعيات ، بمجهوداً عظيماً ، أهنتك عليه .

وتقبل خالص تحياتي ،

مصطفى النحاس

٦ فبراير سنة ١٩٤٧

كلمة شكر وتقدير

لحضرات الكتاب، والأدباء، والمجلات، والصحف المصرية
تفضل فريق من كبار الكتاب، والأدباء، وبعض المجلات والجرائد
كالملقطف، والأهرام، والمصرى، وصوت الأمة، والمقطم، والبلاغ،
والبورص أجبسيان، والمصور، والسوادي، ورابطة الشباب، والشعلة،
والصباح، فنشروا عن كتاب عمر الخيام بعد صدور الطبعة الأولى ما أوجب
على الشكر الجزيل لحضراتهم، والممنونية على تشجيعهم لشخصي
وتقريظهم لكتابي.

* * *

وقد وصلتني رسالة من أديب فاضل من صفوف الشعب المصرى
الكريم. وأنى أشكر لحضرته حسن ظنه بى وأنشر من رسالته ما يأتى :

* * *

ربما يندهش سيدى عندما يتلو توقيعى على هذه الرسالة، ولكنى أقدمت
على تحريرها - وسموت بها لمخاطبتك - لأنك أحدثت فى حياتى انقلاباً -
من الواجب على أن أشعرك بمدى تأثيرك السحرى على القراء - وكيف
أنك تسوسهم بحلو حديثك، وكال معنك، وعلو سجايك - إلى جنات
النعيم - وفردوس دنيا الخلود - وكيف تعود بهم إلى الهاوية - وتسلمهم
إلى الشيطان، وتدعوهم إلى ارتشاف بنت الحان - وهم فى كلا الحالين
أطوع لك من بنائك. وها أنذا فرد من آلاف القراء. وآلاف المعجبين.
أسجل إعجابى على صفحات كتاب بسيط - يصلك من أقل الناس - كما
وصلتك رسالة من زعيم البلاد. فتكون بذلك قد جمعت قلوب الشعب من
أكبرهم مقاماً وسمواً وعظمة إلى أصغرهم ذكراً وعلماً وأدباً.

الداعى

مصطفى طاهر عذب

محكمة حلوان الوطنية

من بحث طويل في مجلة "المقتطف" الغراء

منذ سنين أخرج الأستاذ توفيق مفرج كتابه «آلام وأحلام» الذي ضم مجموعة من خواطر المؤلف أرسلها شعراً منشوراً في نغم متساو وعاطفة جياشة وكان لي نصيب الإشادة بذلك الكتاب في هذه المجلة وقتذاك، ثم مضت الأعوام والأستاذ توفيق مفرج في عزلة عن قرائه حتى طلع عليهم أخيراً بكتاب جديد عن رباعيات عمر الخيام. طبعه على ورق جميل بالألوان وزينه بواحد وثلاثين رسماً عن حياة عمر الخيام.

وليس الكتاب ترجمة لرباعيات الخيام. وإنما أتبع المؤلف فيه غير ما اتبع كثير من نقلوا إلى العربية هذه الرباعيات سواء عن الإنجليزية أو الفارسية. فقد درس المؤلف فلسفة الخيام دراسة تعمق واستوعب في نفسه هذه الفلسفة والاتجاهات الخيامية ثم خرج من الجو الخيامي بروح ونغم جميل. فهو قد وضع رباعيات الخيام من خلال فلسفة الخيام. شرب كأسه فاستطاع أن يؤلف من النشوة التي أخذ بها أناشيد جديدة فيها خمر معتقة قديمة، لها جمال الجديد في تصويره، وجلال القديم في تعبيره.

هذه هي الطريقة التي انتهجها الأستاذ توفيق مفرج فأحسن النهج ووفق في الوصول إلى أفق الخيام، وشرب من كأسه فانتشى، ولم تأخذه النشوة الساحرة دون أن يستطيع التعبير الصادق عن تلك الروح التي فتنت الكثيرين وخلدت في آداب الأمم بفلسفة وشعر خالدين على مر الزمان، وإننا لنعتقد صدور هذا الكتاب فتح جديد في اللغة العربية. ويكفي تقریظاً للكتاب الرسالة التي أرسلها رفعة النحاس باشا إلى مؤلفه بعد اطلاعه عليه.

من رسالة لصاحب الفضيلة الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين الأكبر كتاب قيم، يدل على جهدهم الأدبي الموفق، وعنايتهم الكبيرة.

من بحث لحضرة الأستاذ اسكندر الربياعي نقيب الصحفيين في بيروت وصاحب جريدة الصحفي التائه. صاحب كتاب عمر الخيام — مليونير أدب، ومليونير ذهب.

كتاب آلام وأحلام

بقلم توفيق مفرج

لدينا مجموعة مما تكرم به كبار المؤلفين وعظماء الكتاب والمفكرين لكتاب «آلام وأحلام»، فنشر منها بعضها مقدمين لجميع الذين تكرموا علينا بالتشجيع أو الثناء غاية الشكر ولحضراتهم واجب الفضل. ونعتذر للذين لم يتمكن من نشر رسائلهم ونشكرهم.

هذا مقال ممتع طويل، لحضرة صاحب المعالي المؤرخ الفيلسوف الدكتور محمد حسين هيكل باشا، رئيس مجلس الشيوخ الحالى ووزير المعارف سابقاً. وقد نشر معاليه هذه الرسالة فى جريدة المقطم الاغر. نختصر منها ما يأتى :

الأستاذ توفيق مفرج، رجل عديد نواحي الحياة، فبينما يعمل فى السياسة إذا به ينتقل منها إلى الصحافة محرراً، ثم يعمل فى نواحي غير التحرير من الصحافة. وقد نشر أخيراً كتابه «آلام وأحلام»، فكان مظهرأ جديداً من مظاهر تعدد نواحي حياته. ولقد اشتغل بالصحافة والأدب وكتب وألف، فأحب هذا النوع من الكتابة والتأليف أيضاً مما يجعل لهذا الكتاب طابعاً خاصاً جديراً بأن يكون ناحية جديدة من نواحي حياة الأستاذ «مفرج». ما تكاد عينك تقع على صورة الكتاب حتى تأخذك الدهشة. ورق جميل ملون تلويناً غريباً. وتفتحه فتأخذك لجمال طباعته دهشة أخرى. فكل صفحة ملونة بلون وردى مع أن الورق جميل فى غير حاجة إلى هذا اللون الذى يلفت النظر. كذلك ترجع عند دهشتك فترى أن المؤلف اختار هذا اللون لنا. فإذا قدرت هذا الجمال الذى ذكرته فيما كتب الأستاذ توفيق مفرج فكذلك لأننى أحسست حين قراءته بهذه الهزة التى يحس الإنسان فيها أمام الجمال الفنى. الفن فى تعدد نواحي جماله يسحر دائماً — وكل إبداع فى الفن حسن. لهذا نقدم للأستاذ «توفيق مفرج»، تهنئتنا بكتابه الذى كشف عن صورة ناحية من نواحي حياته المتعددة.

آلام وأحلام

رأى صاحب الفضيلة المغفور له الأستاذ الأكبر

الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا

شيخ الجامع الأزهر وقد نشره فضيلته في مجلة الهلال الغراء
ألف الأستاذ توفيق مفرج مجموعة من الشعر المنشور وأصدرها ضمن كتاب
أنيق بعنوان «آلام وأحلام»، وقد كتب فضيلة الأستاذ مصطفى باشا عبد الرازق
هذه الكلمة التي تغنيها عن تقرير الكتاب. (مجلة الهلال)

في كل صناعة أهل الفن والهواة، وكثيراً ما يكون للهواة أثر عظيم في
نهضة الفن ومجهود خصب. لكن الأدب كان دائماً من بين الصناعات قوى
الروح، قاهر السلطان.

فهو يحيل هواه صناعات، ويغلب كل استعداد لهم وكل صفة وكل عمل حتى
لا يكونوا إلا أدباء. وإنما لنعرف في التاريخ العربي شواهد تغلب فيها الأدب
حتى على الأمانة والملك كما في حال ابن المعتز الذي ذهب عنه ملكه وسلطانه
ولم يحفظ له الدهر إلا لقب الشاعر الأديب.

وهل يعرف الناس والقاضي الفاضل، إلا كاتباً، والبهاء زهيراً، إلا شاعراً.
أما الوزارة والرياسة، فقد طغى عليهما الأدب وغمرهما غمراً.

على أن العصور الحديثة تظهر هواة لا يزالون ظاهرين في عوالم أخرى.
وإنما لا ندري أضعف سلطان الأدب فلم تعد له غلبته الأولى؟ أم أن روح
الزمن أصبح يأبى أن يكون الأدب وحده شغلاً شاغلاً إلا إن هيأته له الفطرة،
ليبتدع نماذج من جمال البيان وسحره، يهتدى بهديها ذوق البشر.

وكتاب «آلام وأحلام»، للسيد توفيق مفرج أثر أدبي من آثار
هواة الأدب.

نعرف ذلك في شكل الكتاب من قبل أن نقرأه، إذ نجد فضل ترويض
لون الغلاف، والورق، وتناسب الأشكال، وتنويع الخطوط، وترتيب الأوضاع.

وكل أولئك يشعر بنوع من التأنيق قلباً تجده إلا عند هواة الفنون الجميلة ،
العارفين لفضلها ، الخبيرين بما يكون للطف المهارة في عرضها من خلاصة وتأثير .
وتعرف ذلك من الكتاب حين تقرأه ، فإن الكتاب ، مجموعة قصائد
ومقالات من الشعر المنشور الذي يحاول أن يحدث في النفس أثر الأوزان
والقوافي ، وموسيقى النظم من غير سبيل الأوزان والقوافي المعروفة ، وإن لم
يخل من نوع التقطيع يشبه أن يكون تنغيماً مع الركون إلى ألوان من الاستعارات
المستغربة والصور .

ومع تحري ألفاظ وتراكيب ، كثيراً ما يكون لنبوها عن الألف —
روعة بين الإعجاب والعجب .

ست وتسعون صفحة لا يقصد بها كاتبها أن يهدم شيئاً في الحياة ولا أن يبني .
ولإنما قصد بها أن يرسم من آلامه وأحلامه العزيزة ، صورة يطمع أن
يخلدها ، ما لجمال الفن والأدب من خلود .

هل يصنع ذلك إلا هواة الأدب ، الذين يتخذونه لذادة لأذواقهم ، وإطاراً
جميلاً لما تحفظه نفوسهم من ذكريات باكية أو ضاحكة .

وهواة الأدب ، أجراً على التحلل من قيوده المرسومة ، وابتداع البدع فيه .
حتى ليسرفوا في ذلك أحياناً .

وبالجملة فالأستاذ توفيق مفرج يستحق كل ثناء على ما أخرج للناس من
كتاب أنيق ، فيه للناس روعة ، وللنظر جمال وبهجة .

* * *

من كتاب للأستاذ الكبير محمد فريد وجدي

لم أقرأ من الشعر المنشور أجود ولا أطيب مما قرأته في « آلام وأحلام » ،
فالكاتب كما أبدع فيما كتب ، أبدع فيما صنع . فجاء كتابه كله إبداعاً في إبداع .

* * *

من نقد طويل نشر في مجلة المقتطف

« آلام وأحلام » ، صورة مصغرة لهذه الحياة — هو كتاب الفن في جبين
اللغة العربية ، هو مجموعة من النغم السامي اقتطفها المؤلف من سماء الإلهام .

وكتاب لشاعر مصر والأقطار العربية خليل بك مطران أرسله المؤلف ونشره في جريدة الأهرام .

إلى حضرة صديق الأملعى توفيق بك مفرج .

كتابك « آلام وأحلام » راقنى منظره لإتقانه الذى لم أر له مثيلا فى كتبنا العربية . وراعنى ما ضمنته من طريف الفكر ، وبارع البيان ، وجديد الأسلوب . ولقد طالعت شغفاً به إلى أن فرغت منه ، وصدرت عنه بهذه الآيات ، تلقفها الطرس عن القلم لساعتها ، فإن لم تكن وافية بما أردت ، رجوت أن تكون دالة عليه ، وهى :

أقول للحنن الأبرّ الذى	أهدى وما إهداؤه باليسير
يا مخرجاً ما جاش فى صدره	وجال أخفى جولة فى الضمير
طرائف الأفكار أجريتها	فى أى قول عبقرى منير
منتظم ، منتشر ، ضاحك	باك ، شجى ، متشظّ ، قرير
يحرك الطود إذا ثار أو	يهدأ رفقا فيهن السرير
هذا هو الشعر الطليق الذى	ليس له كاتبه بالأسير
رقت معانيه وألفاظه	فهو شعاع الوحي وهى الأثير
	المخلص

خليل مطران

* * *

من مقال لحضرة الاستاذ خليل بك ثابت رئيس تحرير المقطم وعضو الشيوخ « آلام وأحلام » مطبوع طبعاً متقناً على ورق جميل لوّنت أرضه تحت الحروف فجاء بهجة للناظرين — ولذة للقارئين .

* * *

من مقال لصاحب الفضيلة الشيخ احمد مراد البكرى شيخ مشايخ الطرق الصوفية مجموعة فذة من صور الحياة ، فكل مقالة منها فلسفة بذاتها فى أدق تصوير فى الإيجاز والإيجاز .

* * *

11752121

B 12396400

١١٢

فهرس الكتاب

٨٢ التاريخ القديم	٣ الإهداء
٩٣ التاريخ المتوسط	٥ مصادر الكتاب
١٠٢ الدول الحديثة	٧ يا مصر
١٢٠ نقرتي — أو — تادوجيبا	٢٤ التحنيط
١٥٥ الدول الحديثة	٢٦ الطب عند قدماء المصريين
١٦٩ التاريخ الحديث والعصر اليوناني المصري	٢٩ هياكل ومعابد قدماء المصريين
١٧٦ منارة الاسكندرية	٣٧ لغة المصريين
١٨٧ كليوباترة	٣٩ ديانة المصريين
٢٠٠ التاريخ المتوسط	٤٢ عبادة الأشجار
٢٠٣ الخلافة الأموية	٤٤ الدين
٢٠٥ الخلافة العباسية	٤٩ عبادة العجل
٢٠٦ الدولة الطولونية	٥٣ القلط
٢٠٨ الدولة الأخشيديّة	٥٤ آلهة قدماء المصريين
٢١١ خلافة الفاطميين	٦٠ كتاب الموقى
٢١٨ دولة الأيوبيين	٦٤ النقش والحفر في أعمدة الهياكل
٢٢١ الشراكسة	٦٥ دكا، ودبا،
٢٢٣ الأتراك	٦٧ مرافعة الميت أمام القضاء الإلهي
٢٢٤ دولة المماليك	٦٩ الشعب المصري
٢٢٤ نابليون	٧٠ قصة أوزوريس ومرائي إيزيس
٢٢٥ الدولة العلوية الخديوية	٧٥ العائلة
٢٢٨ المملكة المصرية	٧٨ اليونان مستعمرة مصرية
	٨٠ الدول المصرية

© A.D.C.



Q.U.A. ⑨



3 APR 1989

